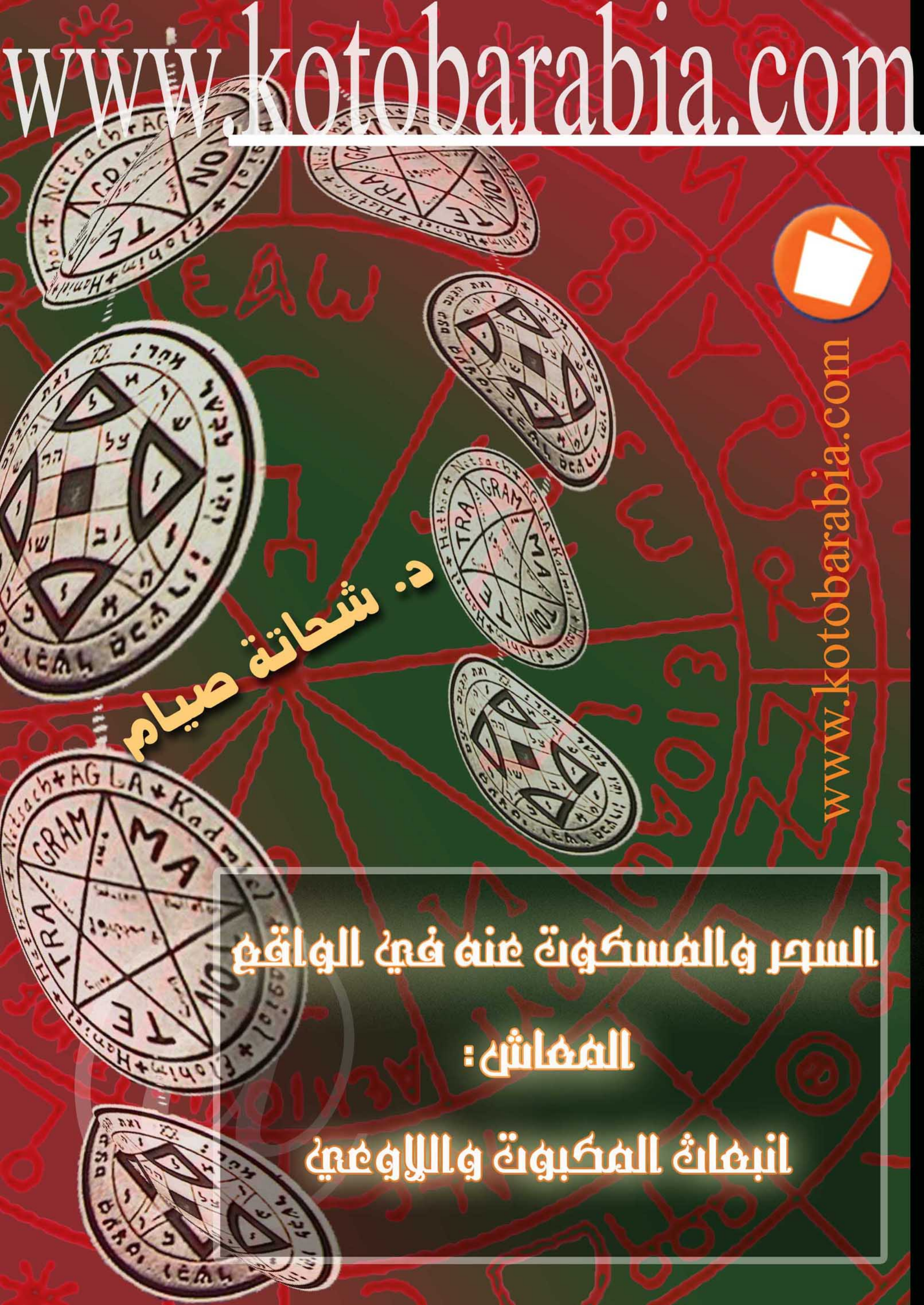


www.kotobarabia.com
د. شحاتة صيام
السحر والمسكوت عنه في الواقع
المعاش:
انبعاث المكبوت واللاوعي
www.kotobarabia.com

السحر والمسكوت عنه في الواقع المعاش

انبعاث المكبوت واللاوعي

تأليف

د. شحاتة صيام

أستاذ علم الاجتماع

بجامعة القاهرة

الفهرس

مقدمة نظرية ومنهجية

منذ أن وقف الإنسان في بواكير حياته متأملاً ظواهر الطبيعة وغوامض الكون، ومحاولاً أن يغلف نفسه بنوع من الحماية مما يواجهه من صعوبات أو مهالك، فإنه حاول سبر غور مكنونات الغوامض، التي آمن منذ بداياته أنها ترتبط بقوى غير مرئية تتربص به وتحاول النيل منه، لذا نجده راح مرة يحاول اتقاء شرها، ومرة أخرى ترويضها واسترضائها، لتكون معه لا عليه، إنه من هنا فقد جاء السحر ونشأت الكهانة والدين، وهو ما يعني أن السحر والدين حسب الشروط الوجودية الأولى جاءا متعانقين.

والحقيقة أن هذه التوأمة لم تدم طويلاً، إذ دب الصراع بينهما، وحاول كلا، منهما أن يختزل الآخر أو ينفيه إلى الأبد وهو ما يعود إلى طبيعتهما المتفارقة، حيث كان يعبر الأول عن غرور الإنسان الذي خلع على ذاته قدرة خاصة في التحكم في ظواهر الكون، بينما الآخر كان يعبر عن التواضع البشري تجاه الظواهر الكونية، وبغض النظر عن التناقض في طبيعة السحر والدين، فإننا نود أن نشدد

على أنهما ساهما في صياغة مجموعة من العقائد والطقوس التي أفرزت إيمانًا راسخًا مفاده أن الكون بمـا يضـم مـن ظواهر مرئية يتحكم فيها قوى خفية تفوق قدراتها عما يتمتع به الإنسان، ناهيك عن أن هذه القوى تتقاسم أعمـال الخيـر والشر، وهو ما دفع الذات البشرية إلى استخدام كلمات قدرة وصيغ وأسماء وأعداد، وممارسة شعائر وطقـوس معينـة، ومن ثم تقديم قرابين وإقامة الصلوات والعبادة.

إنه على هدي ما تقدم يتضح أن أول فهم للعالم القديم كان يتمثل في سيادة الأرواحية [١]، التي ما هي إلـى حالـة بديهية وأولية وطبيعية، التي اسـتطاع الإنسـان الأول مـن خلالها أن يسحب الأوضاع البنيوية الجوانيـة علـى العـالم

([١]) يشير مفهوم الأرواحية بأنه نمط أولي للتفكير، يقر بطريقة عميـاء لوجود القـوى غيـر المرئيـة (الشـياطين ـ الجـان ـ المـردة)= =ومشاركتها للإنسان في كل شيء، فضلاً عن قدرتها على الإتيان إما بالخير أو الشر للمزيد راجع:

ـ هنري دوجلاس، الطهر والخطر، ترجمة عدنان حسن دار المـدى، الطبعة الأولى، سوريا، ١٩٩٥ م، ص ٣٥.

ـ سيجموند فرويد، الطوطم والتابو، ترجمة أبو ياسـين، دار العلـوم، الطبعة الأولى، اللاذقية، ١٩٨٣ م، من ص ٩٧ ـ ١٠٠.

البراني وفق ما يسمى بالإحيائية التي تشير إلى سيادة القوى فوق الطبيعية على الكون برمته، وهو ما يعني أن الأرواحية كانت بمثابة النظام الفكري للإنسـان القـديم، أو قـل أنهـا النظرية الأولى عن العالم التي أهدته تركيبات ذهنية خاصـة لإدراك وتفسير أو رؤية العالم.

وبيد أن الأرواحية أو الإيمان بوجود القوى الخفيـة، يشكل عنصرا رئيسيا من العناصر المكونـة للثقافـة، فـإن محاولة إخضاعها لمصالحه ورغباته والسحر يعدان جـزءا من منظمة اجتماعية - ثقافية، حاول الإنسان عن طريقهمـا أن يؤسس معارفه ومخزونه الثقافي ورموزه لتنظيم العلاقات الوجودية التي سمحت بفهم العلاقة بينه وبين ما يحيط به. لقد استطاع الإنسان عبر ما يسمى بالأرواحيـة تكـوين رؤيـة خاصة عن العالم، وهو ما دفعه على طول تاريخه أن يؤمن بوجود القوى فوق الطبيعية، وهو ما يحكـي عنـه تـاريخ الحضارات الكبرى سواء القديمة أو الحديثة. فمنذ الآشـورية والبابلية والكلدانية والفرعونية والرومانية والسلافية واليونانية والعبرية والمسيحية والإسلامية، وحتى الهندية، وقد ترسـخ الإيمان بالقوى الخفية، ومن ثم البحث في إمكانية خضـوعها

وتطويعها للسيطرة البشرية، وهو ما يشير إلى أن الأرواحية أو الإيمان بالقوى غير المرئية وتفعيل الطقوس السحرية لـم يكن حكرا على حضارة معينة، وإنما تنسحب على أي زمان ومكان [1].

وعلى الرغم من أن السحر يمثل حقيقة وجوديـة لا مراء فيها، سواء في ارتباطه بالدين فـي نشـأته الأولـى، أو باعتباره منظومة ثقافية وجهت ذهنية وتصرفات سـلوك الإنسان، إلا أن ثمة فريقين متصارعين حول هذه الظـاهرة، ففي الوقت الذي يؤمن بها البعض إيمانًا نهائيا وفقًا لمرجعية ثقافية أو دينية معينة، وهم ما نطلق عليهم بـالمتكيفين مـع السحر، فإن هناك من يقفون موقفًا مناقضا باعتباره ضـربا من الخيال واللاعقلانية ولا تمثل حقيقة فيزيائية ومرئية، وهم ما ندعوهم بغير المتكيفين [2].

([1]) حول ذلك راجع:

سامية الساعاتي، السحر والمجتمع، مكتبة الأنجلو المصـرية، الطبعـة الأولى، القاهرة، ١٩٨٢ .

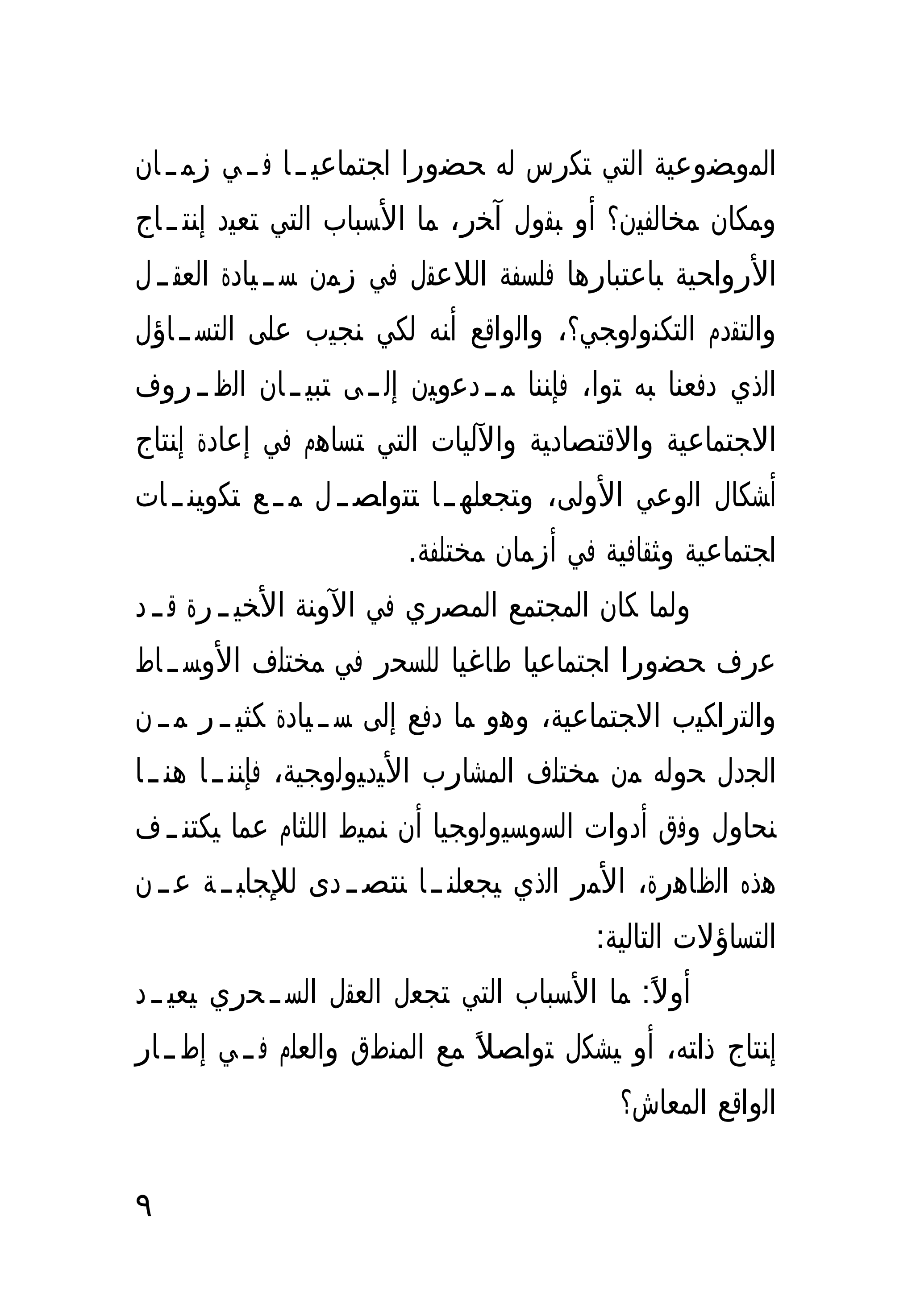
([2]) جمال نصار ولؤي فتوحي، الباراسكولوجيا بين المطرقة والسندان، دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥ م.

وإذا ما نحينا جانبا الفريق غير المتكيف، ودخلنا إلى العالم الأول - أقصد المتكيف - فإننا نكون بصدد الحديث عن فريق يعتقد اعتقادا كاملاً في انطولوجية السحر، ومن ثم يؤمن بشكل كلي بالقوى غير المرئية، وهو ما يدخلهم في سياق ما يسمى بالوعي الخيالي الروحاني، الذي يتوكأ على أسس جوهرية مفادها الخضوع والانصياع، وتقديم القرابين وإقامة الطقوس لإفراغ المكبوت والمستور على كل ما هو بنيوي، إن تركيزنا بالأساس على الفريق المتكيف مع السحر، يرجع إلى أن الإيمان بالسحر ومشايعته يدير ظهره إلى كل ما هو عقلاني أو موضوعي، ومن ثم يعبر عن وعي ذاتي متخارج، يعكسه طبيعة التكوين الثقافي الأيديولوجي للذات، التي استطاعت وفقًا له أن تشكل حدود معرفتها وخبراتها الوجودية [1].

وبيد أن الوعي الذاتي الخيالي الذي يفرزه الإيمان بالأرواحية يمثل مشروع العالم القديم، فما هي الأسباب

---

(1) كارل جوستاف يونج، التنقيب في أغوار النفس، ترجمة نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٦ م، من ص ١١ - ١٣.



الموضوعية التي تكرس له حضورا اجتماعيـا فـي زمـان ومكان مخالفين؟ أو بقول آخر، ما الأسباب التي تعيد إنتـاج الأرواحية باعتبارها فلسفة اللاعقل في زمن سـيادة العقـل والتقدم التكنولوجي؟، والواقع أنه لكي نجيب على التسـاؤل الذي دفعنا به توا، فإننا مـدعوين إلـى تبيـان الظـروف الاجتماعية والاقتصادية والآليات التي تساهم في إعادة إنتاج أشكال الوعي الأولى، وتجعلهـا تتواصـل مـع تكوينـات اجتماعية وثقافية في أزمان مختلفة.

ولما كان المجتمع المصري في الآونة الأخيـرة قـد عرف حضورا اجتماعيا طاغيا للسحر في مختلف الأوسـاط والتراكيب الاجتماعية، وهو ما دفع إلى سـيادة كثيـر مـن الجدل حوله من مختلف المشارب الأيديولوجية، فإننـا هنـا نحاول وفق أدوات السوسيولوجيا أن نميط اللثام عما يكتنـف هذه الظاهرة، الأمر الذي يجعلنـا نتصـدى للإجابـة عـن التساؤلات التالية:

أولاً: ما الأسباب التي تجعل العقل السـحري يعيـد إنتاج ذاته، أو يشكل تواصلاً مع المنطق والعلم فـي إطـار الواقع المعاش؟

ثانيا: ما طبيعة خطاب السـحر ووظيفتـه وصـيغه وطقوسه وممارساته وإفرازاته الخيالية؟

ثالثًا: ما الطبيعة الاجتماعية للمتكيفين مـع السـحر، وما الدوافع الاجتماعية والثقافية التي تجعلهم وفق هذا العقل يغتربون عن واقعهم؟

رابعا: ما طبيعة المخزون المعرفي للمتكيفـين مـع السحر الذي جعلهم يبدلون ما هو أرضي بما هو غيبي وغير مرئي لإشباع احتياجاتهم بطريقة جوانية؟

والواقع أنه لكي نجيب على التساؤلات السابقة فـإن ثمة أشياء ضرورية تفرض نفسها علينا، فمن خلال ما يسمى بأنثروبولوجيا الخيال السوسيولوجي، فإننا سوف نقوم بتحليل العقل السحري وما يحمله من خطاب لتبيان منظومة الفكـر المتكيف والمتماهي مع السحر، كما أننا سوف نقوم بتوضيح المواقف المتباينة من السحر وطقوسه وممارساته، وهو مـا يفرض ضرورة إجراء دراسة إمبريقية [1]. ولتعميق كل مـا تفرزه المنهجية السابقة فإننا سوف نقوم بتفعيل منهج دراسـة

---

(1) للوقوف على طبيعة الدراسة الميدانية وإجراءاتها المنهجية، راجـع الفصل الرابع.

الحالة للغوص في أعماق هذا العقل للوقوف على الممارسات المختلفة للعقل السحري [١].

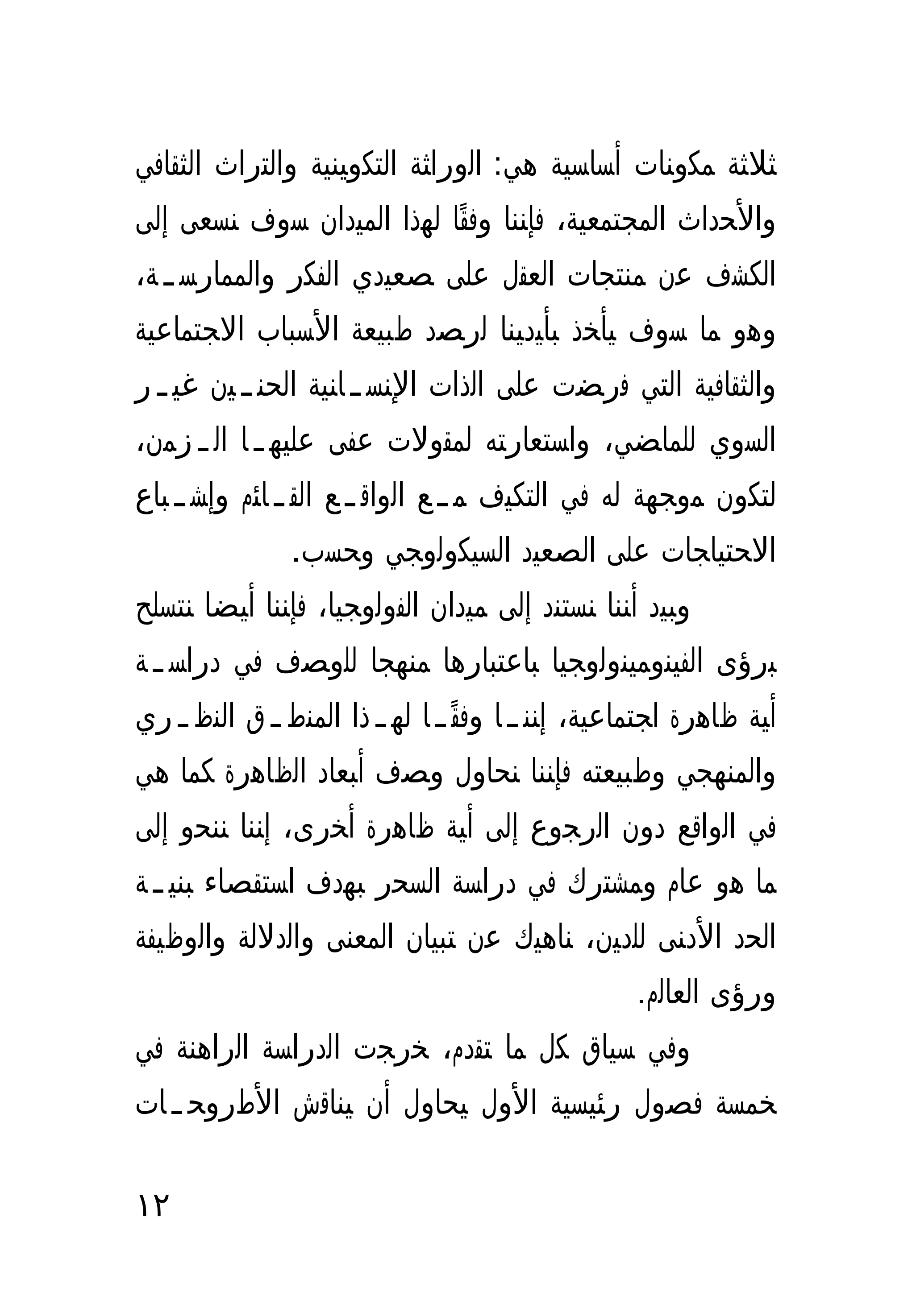
إننا وفق الوجه السابق فإن الدراسة الراهنة سـوف تركز على ثلاثة أنساق رئيسية ومتداخلة، هي نسـق الفكـر أو الاعتقاد System of Belief، ونسق الفعل أو الطقـوس Action System، ونسق التفاعـل الاجتمـاعي Social Interaction system، تلك التي من شأنها أن تأخذ بأيـدينا لإجلاء الحقيقة عن الجوانب البنائية للظاهرة محل البحـث. ولا يغرب عن الذهن إننا حسب الأنساق السابقة نكـون قـد ولجنا ميدانًا جديدا هو ميدان الفولوجيا [٢]، الذي يعـد أحـد ميادين العلم الذي يهتم بمنتجات الذهن أو العقل (أيديولوجيا، ديانات أو معتقدات، آداب) التي ترتبط بعلاقة وشيجة بالثقافة والمجتمع والشخصية، وحيث إن الذات الإنسانية تتكون مـن

---

(١) انظر الفصل الخامس، والذي أوضحنا فيه لنماذج دراسـة الحالـة وتحليلها.

(٢) للمزيد حول هذا المفهوم راجع:

تركي الحمد، هل من جديد في الفكـر السياسـي: الفكـر السياسـي، متغيرات العصر، عالم الفكر، الكويت، أكتوبر - ديسـمبر ١٩٩٦ م، ص ٦٨.


ثلاثة مكونات أساسية هي: الوراثة التكوينية والتراث الثقافي والأحداث المجتمعية، فإننا وفقًا لهذا الميدان سوف نسعى إلى الكشف عن منتجات العقل على صعيدي الفكر والممارسـة، وهو ما سوف يأخذ بأيدينا لرصد طبيعة الأسباب الاجتماعية والثقافية التي فرضت على الذات الإنسـانية الحنـين غيـر السوي للماضي، واستعارته لمقولات عفى عليهـا الـزمن، لتكون موجهة له في التكيف مـع الواقـع القـائم وإشـباع الاحتياجات على الصعيد السيكولوجي وحسب.

وبيد أننا نستند إلى ميدان الفولوجيا، فإننا أيضا نتسلح برؤى الفينومينولوجيا باعتبارها منهجا للوصف في دراسـة أية ظاهرة اجتماعية، إننـا وفقًـا لهـذا المنطـق النظـري والمنهجي وطبيعته فإننا نحاول وصف أبعاد الظاهرة كما هي في الواقع دون الرجوع إلى أية ظاهرة أخرى، إننا ننحو إلى ما هو عام ومشترك في دراسة السحر بهدف استقصاء بنيـة الحد الأدنى للدين، ناهيك عن تبيان المعنى والدلالة والوظيفة ورؤى العالم.

وفي سياق كل ما تقدم، خرجت الدراسة الراهنة في خمسة فصول رئيسية الأول يحاول أن يناقش الأطروحـات

النظرية حول السحر والأسطورة، ويـأتي الفصـل الثـاني ليعرض وضعية وموقف الدين من الأسطورة والسحر فـي إطار الأدبيات النظرية والأديان، وفي الفصل الثالـث نقـدم تحليلاً لخطاب السحر وما يحمله من بناء ووظيفة ومضامين وتكنيكات واستخدامات، ثم في الفصل الرابـع حاولنـا مـن خلال دراسة إمبريقية أن نقف علـى الطبيعـة الاجتماعيـة والثقافية والدينية للمتعاملين مع السحر وموقفهم منه، وأخيرا في الفصل الخامس فقد قمنا بعرض مجموعة مـن النمـاذج للعالمين بالسحر والمتعاملين به لكي نكشف من خلالها عـن طبيعة الفكر والممارسة.

وقبل أن أنهي هذه المقدمة أود أن أتوجه بالشكر إلى كل من قدم لي المساعدة، وأيضا من رفض المساعدة، إذ كان لموقفهم الدافع الأساسي لإخراج هذا العمل بالصورة التي هي عليه الآن. إننا هنا نكون قد حاولنا ونرجو أن نكون على قدر ما حاولنا، أن نكون قد أصبنا.

وا ولي التوفيق

المؤلف.



الفصل الأول

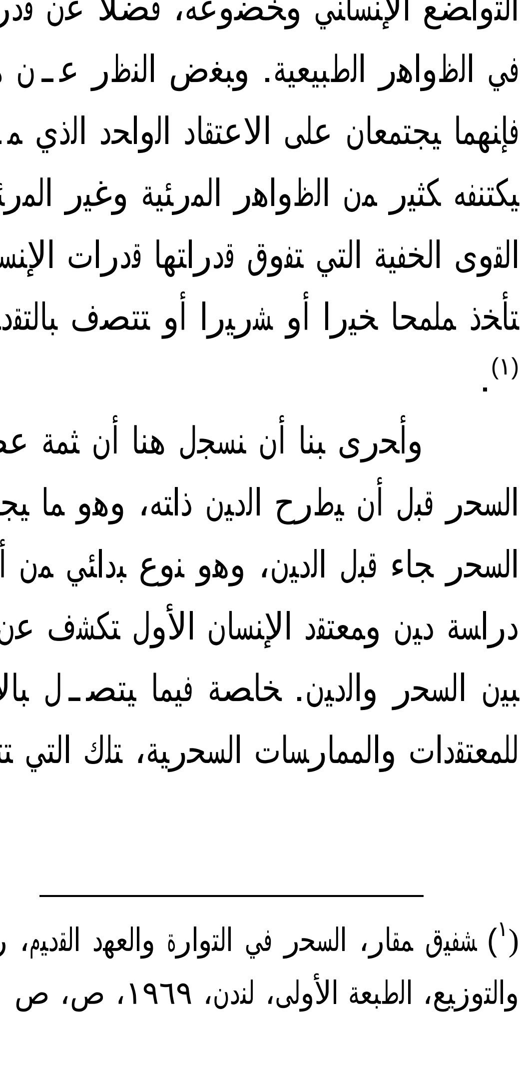
السحر والأسطورة في رؤى سوسيولوجية

مغايرة: المفهوم والنظرية

مقدمة:

كدح الإنسان ذهنه فـي تأمـل الكـون وظـواهره الغامضة، فراح تـارة يحـاول وضـع التـدابير، ويصـيغ الإجراءات، بهدف اتقاء خطرها، ومن ثم جذبها إلى صـفه لتكون له لا عليه، إن تأمل الإنسان لهذه الظواهر جعله يفكر بأن هناك من القوى فوق الطبيعية التي يعيد بها تيسير كـل شئون الكون، إنه مذ ذاك وقد عرف السحر ونشأ الدين، لقـد جاء السحر والدين غير مفترقان، أو قل توءمان متلازمـان، أنتجهما خوف الإنسان وفضوله وسعيه الحثيث لتأمين ذاتـه، وإشباع احتياجاته، وبالتالي فرض إرادتـه وسـلطته علـى ظواهر الكون المختلفة. إن ذلك هو ما حدا بالإنسـان إلـى التفكير في القوى غير المرئية التي أيقن أنها القـادرة علـى تفعيل كل شيء.

وعلى الرغم من أن السحر والدين قد عرف التوءمة والتلازم، فإن ذلك لم يدم طويلاً، حيث دب الصراع بينهمـا، بسبب أن السحر كان يعبر عن الغرور الإنسـاني، وقدرتـه على التحكم في ظواهر الطبيعة عن طريق إطلاق التعاويـذ، وإقامة الشعائر والطقوس للتقرب بها إلى القوى العليـا، وأن



الدين يعبر عن التواضع الإنساني وخضوعه، فضلاً عن قدرته على التحكم في الظواهر الطبيعية. وبغض النظر عن التواضع الإنساني وخضوعه، فضلاً عن قدرته على التحكم في الظواهر الطبيعية. وبغض النظر عن هذا الصراع، فإنهما يجتمعان على الاعتقاد الواحد الذي مؤداه أن العالم يكتنفه كثير من الظواهر المرئية وغير المرئية المسئول عنها القوى الخفية التي تفوق قدراتها قدرات الإنسان، والتي قد تأخذ ملمحا خيرا أو شريرا أو تتصف بالتقديس أو التدنيس [1].

وأحرى بنا أن نسجل هنا أن ثمة عصورا عرف فيها السحر قبل أن يطرح الدين ذاته، وهو ما يجعلنا نزعم أن السحر جاء قبل الدين، وهو نوع بدائي من أنواع الدين. إن دراسة دين ومعتقد الإنسان الأول تكشف عن العلاقة الوشيجة بين السحر والدين. خاصة فيما يتصل بالأساس الديني للمعتقدات والممارسات السحرية، تلك التي تتضح بجلاء إذا

---

(1) شفيق مقار، السحر في التوارة والعهد القديم، رياض الريس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، لندن، ١٩٦٩، ص، ص ٢١ ـ ٢٢.

ما تتبعنا الأفكار الدينية التي تدرجت من الأفكار البسيطة إلى الأفكار الناضجة التي أعطتنا إياها الأديان السماوية [1].

وبرغم تأكيدنا على أسبقية السحر عن الـدين، إلا أن الإنسان الأول الذي عرف السحر، كان تفكيره تفكيرا دينيـا يحمل ملامح أسطورية، أو بمعنى آخر، كان فكـر الإنسـان الأول فكرا هجينًا، يتعانق فيه الفكر الأسطوري مـع الفكـر الديني، إنه وفق هذا الارتباط فإننا يمكن أن نميز بين نوعين من الدين، الأول هو ما يطلق عليه الدين الديناميكي، والآخر هو ما يسمى بالدين الاستاتيكي، فالأول يشير إلى الفكر الذي جاء به الأنبياء والمصطفين وفق عقيدة معينة وهو ما نطلـق عليه المقدس، أما النوع الآخر فإنه يستند إلى مجموعة مـن الأفعال الجسمية والطقوس في مجتمع منغلق يتوكـأ علـى الميتافيزيقا، وهو ما يطلق عليه النزوة الحيوية أو المـدنس. ولما كان المقدس هو أسمى وأرفع من المدنس، فـإن الأول

---

(1) فراس السواح، دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الـدافع الديني، منشورات علاء الدين، الطبعة الثانيـة، دمشـق، ١٩٩٤، ص ١٩٠.

يمثل الدين الذي هو عقيدة جمعية، والآخـر يمثـل العقائـد السحرية التي يؤمن بها جماعة معينة [1].

إنه حسب هذه التفرقة، فقد دفع كوكبة من المفكـرين مجموعة من الرؤى حول السحر والدين، والمتأمل في هـذه الأطروحات يستطيع أن يضع يديه على وجود رؤى متباينة، بل ومتصارعة، ففي الوقت الـذي يـرى فيـه الـبعض أن الظاهرة الدينية هي نوع من الوعي الزائغ أو الغائب، فـإن هناك من يرى أنها انعكاس للوجود القائم، وتعبر عن طفولة الفكر البشري أو هي تفكير جواني لما هو براني. ولما كانت هذه الظاهرة قد اهتمت بها مدارس فكرية متعددة سواء مـن قريب أو بعيد، إلا أننا في الصفحات القادمة سوف نعـرض لأهم المحاولات التي وقفت موقفًا مؤيدا أو رافضا.

أولاً: الرؤية التطورية:

تعتبر الرؤية التطورية أولى النظريات التي تحكمت ووجهــت لوقــت طويــل نفــر مــن السوســيولوجيين

([1]) علي سامي النشار، نشأة الدين، مركز النماء الحضاري، الطبعـة الأولى، حلب،١٩٩٥، ص، ص ١٩ ـ ٢١.

والأنثروبولوجيين لخبر الواقع خاصة أثناء القـرن التاسـع عشر، إذ من خلالها تمكن الفكر الغربي أن يجمع كثير مـن المعلومات حول الشعوب البدائية، بهدف الوقوف على الحالة الأولى التي كانت عليها، ومن ثم توصيف طبيعتها في ضوء مفاهيم التقدم والنمو التدريجي الذي يبدأ مـن البسـيط إلـى المعقد [1]. لقد آمـن أصـحاب المدرسـة التطوريـة بـأن المجتمعات الإنسانية خبرت مراحل تطوريـة واحـدة فـي النواحي الثقافية والعادات والتقاليد والدين والطقوس، وحتـى تكوين الأسرة والحضارة. لقد انشغل رواد هـذه المدرسـة بالبحث عن قوانين التقدم، ورءوا أن المجتمعـات الإنسـانية تتجه دائما ناحية التقدم، وأن هذه المجتمعات فـي تنظيمهـا تتحول من حالة البساطة إلى حالة التعقيد والتمايز [2]. وفـي إطار هذا الإيمان (خاصة فـي الأنثروبولوجيـا) فقـد رأت النزعة التطورية أن أساطير الشعوب البدائية، تعـد توطئـة

---

(1) أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، المركـز القـومي للبحـوث، الاجتماعية والجنائية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٠.

(2) Leach E., Social Anthropology, Fontana, London, ١٩٨٢, p. ٦٣.

لدراسة التطور الثقافي، وعلى هـذا يتضـح بجـلاء لـدى "أوجيست كونت" الذي رأى أن الأسـطورة تتـوازى مـع المرحلة الدينية، خاصة الفيتشية ومرحلـة الاعتقـاد بتعـدد الآلهة، وأيضا لدى "تيلور" الذي رأى أن الأساطير تطـورت مع حياة الناس من البدائية الوحشية حتـى الوصـول إلـى المرحلة الحضارية، وأن حيوية الطبيعـة وتقمـص الأرواح لكل الظواهر المحيطة بالإنسان آنذاك، دفعه إلى النظر إلـى ظواهر الكون مثل: (الشمس والقمر والنجوم والنار والزلازل والبراكين والرياح) باعتبارها كائنات روحية حية تعج بالحياة مثلها مثل الإنسان، وهو ما جعله يصيغ مجموعة من الحكي الخيالي حولها [1].

إن اعتقاد "تيلور" بوجود كائنات روحيـة وإسـباغ التفسير الروحي على العالم الطبيعي، أو مـا يطلـق عليـه (بالنسمية) جعله يرى من خلال ثنائية الـروح والجسـد أن الآباء الأولين الذين قدمت لهم الصلوات مـا هـي إلا أرواح

([1]) جاك لومبار، مدخل على الأنثولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضـاء، ١٩٩٧، ص، ص ٦٧ ـ ٧٠.

تتولى حماية ورعاية من يتقرب إليها بالصلاة، وأنها أيضـا تنتقل وتتحرك وتحافظ على بقائها بعد الموت، فضلاً عن أنها تدخل في أجساد معينـة فتصـيبها بـالمرض أو الجنـون أو المس. وحيث إن هذه الأرواح من وجهة نظـره تمتـاز بالتنقل فإنه من اليسير أن يتم تدجينها أو تقييد حركتها، وهو ما يطلق عليه (بالفتشية) أي التعبد للأشـياء التـي تسـكنها الأرواح، إما التماسا لحمايته، أو تجنبا لخطرها وضـررها، وهو ما نعتبره الحد الأدنى للدين [١].

ويبدو أن "تيلور" قد آمن بوجود عالم روحي يسـكن الإنسان، فإنه في الوقت عينه لم ينف ذلك عن الطبيعة، وهو ما جعل الأرواح تشغل مكانة سامية بجانب الآلهة[١]. لقد آمن الإنسان آنذاك بوجود قوى غير ملموسة (الأرواح والأشـباح للأسلاف والحيوانات والنباتات) أو غيـر منظـورة تسـكن الواقع الاجتماعي ذلك الذي اعتبره مقدمـة لظهـور الفكـر الديني من تعدد الآلهة حتى سيادة الإله الواحد [٢].

---

(١) علي سامي النشار، نشأة الدين، مرجع سابق، ص ٣٦

(٢) أ. كاردينر و أ. بيريل، هؤلاء درسوا الإنسـان، ترجمـة أمـين الشريف، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص، ص ٩٣ ـ ٩٤.

وعلى نفس نهج "تيلور" فهناك "أندريه لانـج" الـذي أدرك أن الإنسان في مراحله الأولى قـد أحـاط الظـواهر الطبيعية بنوع من الروحية، ومنها أعطى صفة التوالد الذاتي للموضوعات الأسطورية الخرافية، وحيث إن "لانج" يشـايع "تيلور" فيما قدمه في الطرح السابق، إلا أنه يخالفه في مـنح الأسطورة أسبقية عن وجود الـدين، لقـد وضـع "لانـج" الأسطورة في مرحلة لاحقة بعد وجود الدين، خاصة أنه يرى أن الأسطورة جاءت وفق قوى مشخصة التصق بها الإنسان بعد أن خاب ظنه في القوى المجردة التي سـادت المرحلـة الدينية.

لقد وضع " لانج " تصورا يتناقض مـع مـا قدمـه "تيلور" إذ ينظر إلى التصور الديني القائم على العقل والسمو، على أنه يتناقض مع التصور الأسطوري، الذي يعتبر إفرازا للخيال ومحركًا للثروات، وهو في ذلك يرى أن وجود الناس في إطار التصور القائم على العقل الذي نكص عن تحقيـق رغباتهم، دفعهم إلى البحث عن موجودات خفية ذات صفات

طلسمية لتحقيق إشباعاتهم [1] ويبدو أن "لانج" يخالف "تيلور" على النحو السابق فإنه قد شايعه في كثير مما طرحه، ولعل هذا يتضح في إيمانه بأن التوحيد هو صورة حيوية منحطـة من العبادة، إذ إن الإنسان حمل في نفسه فكرة العليـة التـي سمحت بوجود عقيدة تؤمن بوجود آلهة خلقت الكون، تتباين في قدراتها عن الإنسان الذي هو ناقص ولا يستطيع أن يفعل شيئًا، ومن ثم فهو ضعيف في مقابل قوة الخـالق، لقـد رأى "لانج" أن وجود مثل هذا الاعتقاد آنذاك، كان يعد إيمانًا نقيـا وطاهرا وخاليا من العكارة، ثم ما لبث هذا العنصر أن تلوث فجاء العنصر الأسطوري، إنه وفق إيمان "لانج" بما سـبق، جعله يرى أن المرحلة الأولى التي سـاد العنصـر الـديني الجميل، جاء عن منطق عقلي وسام، بينما العنصـر السـيئ الآخر، فإنه جاء عن منطق لا عقلي، بل ومنحط في آن [2].

([1]) كارل يونج، التنقيب في أغوار الـنفس، ترجمـة نهـاد خياطـة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٩.

([2]) علي سامي النشار، نشأة الدين، مرجع سـابق، ص، ص ١٥٤ - ١٥٧.

وإذا ما تركنا كلا من "تيلور ولانج" وتوجهنـا إلـى "فريزر" الذي لا ينفصل عنهما، خاصة في إيمانهما بوحـدة الطبيعة الإنسانية والتاريخ الواحد، فإنه وفقًا لفكرة التطـور يرى أن الإنسانية خبرت مراحل ثلاث هي السـحر والـدين والعلم، وأن السحر لديه يمثل الوعي البدائي للإنسان، وأنـه مرحلة سابقة عن الدين، ففي بواكير حياة الإنسان ركن المرء لتحقيق رغباته إلى استخدام التعاويذ والطلاسم، بهدف التقرب إلى الآلهة، وللمزيد من ذلك، حاول تقديم القرابين ومـارس الصلوات [١]. وحيث إن "فريزر" قد وضع السحر في مقدمة المراحل، فإنه قارب بين السحر والعلم، وجلعهما يتناقضـان مع الدين، إذ يقوم الدين على وجود قوى عاقلة تـتحكم فـي العالم، بينما السحر والعلم يفترضان وجود قوى غير عاقلـة غير مشخصة تفرض سيطرتها على الوجود القائم، وتـتحكم في أحداث الطبيعة عن طريق قوانين ثابتة وصارمة تعمـل بطريقة آلية [٢].

([١]) كولن ولسن، الإنسان وقواه الخفية، ترجمـة سـامي خشـبة، دار الآداب، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٥٧.

([٢]) محمد رياض، الإنسان...، مرجع سابق، ص ٥٤٦.

لقد رأى "فريزر" أن السحر لا يستند إلى معتقـدات بعينها وإنما يرتكز على مجموعة من المبادئ التي تتشابه مع مبادئ العلم، التي هي في الوقت ذاته تخضـع لجمـع مـن القوانين التي تفصل أحداثها بنظام حتمي للسـبب والنتيجـة، والتي يمكن التنبؤ بها، إنه في هذا السياق، يتوقف على القائم بالسحر أن يكتشف هذه العلاقات، ومن ثـم توجيههـا وفقًـا لأهدافه، ولكن دون الاستعانة بأية رؤى غيبيـة. وإذا كـان "فريزر" يسلم بوجود تشابه بين العلم والسحر، فإنه في الوقت عينه يسلم بوجود تباين بينهما، إذ يرجع ذلك من وجهة نظره إلى أن أشكال السحر وأنماط السلوك وحتى المعتقد، لا يمكن إخضاعها لعمليات التجريب كما هو متبع في المنهج العلمي، والحق أن ذلك دفع "فريزر" إلى القول أن السـحر وأشـكاله المختلفة تدخل في إطار ما يسمى بالعلوم العقائديـة السـيئة التي يؤمن بها نفر غير قليل من الأفراد [1].

ولكي يوضح "فريزر" أشكال السحر فهو يرى أنـه يقوم على مبدأين، الأول هو ما يعرف بقانون التشـابه، أمـا

---

(1) Frazer G., The Golden Bough, The Macmill press, London, ١٩٥٨, pp. ٥٠ – ٥٥.

الآخر فإنه يستند إلى علمية الاتصال، فالأول يأتي من قانون (الشبيه ينتج الشبه) وعن طريق المحاكـاة، بينمـا الآخـر يفرض التأثير على شخص معين بفعل تأثير عملية الاتصال من شخص آخر، إنه حسب ذلك فـإن التعاويـذ والطلاسـم القائمة على قانون التشابه هو ما يطلق عليه بسحر المحاكاة، أما النوع الآخر هو ما يسمى بالسـحر الاتصـالي أو عـن طريق العدوى [١]. ويضيف "فريزر" أن ممارسـة السـحر ببعديه الاتصالي أو التشابهي إنما هو نوع من التطبيق لأحد قانوني الفكر الإنساني، وهو مبدأ تداعي المعاني عن طريق التشابه، ومبدأ تداعي المعاني عن طريق التجاور أو الاتصال في المكان والزمان، وهو ما يعني أننا بصدد مبادئ جوهرية

---

(١) يرى فرويد أن السحر بنوعيه التعاطفي أو الاتصالي ما هو إلا نوع من النرجسية، الذي يدعوه بطغيان الأفكار، أو ما يطلـق عليـه فـي التفسيرات النفسية بالعصاب الخاص بالتصرفات الإكراهية، الذي يشير إلى أن الأفراد يفكرون بطريقة حيوانية أو عاطفية وهو ما يمثل لـديهم تفكيرا فعالاً في تحقيق الإشباعات، أي أن الإنسان يسـحب أوضـاعه النفسية الداخلية على العالم البراني، حول ذلك يمكـن الرجـوع إلـى: سيجموند فرويد، الطوطم والتابو، ترجمة بو علي ياسين، دار الحوار، الطبعة الأولى، اللاذقية، ١٩٨٣، ص، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

وأساسية في الفكر الإنساني، حيث إنه عن طريق تطبيق هذه الأفكار بطريقة سليمة، فإننا نصبح أمام طريقـة يمكـن أن تقودنا إلى العلم، بينما إذا كنا بصدد التطبيق بطريقـة غيـر سليمة، فإنا نكون بإزاء نوع من السحر الذي ما هو إلا نسق كاذب أو زائف للقانون الطبيعي، أو على حسب قوله: ...أنه علم كاذب أو زائف، بقدر ما هو فن عظيم.. [1].

إنه حسب الصياغات السابقة التي دفع بها "فريـزر" حول السحر يكون الإنسان إبان طفولته الفكرية، كان يـتحكم في ظواهر الكون والطبيعة مـن خـلال إطـلاق التعاويـذ والطقوس السحرية، وبعد أن خاب ظنه، وتوصـل إلـى أن الطبيعة لا تنصاع إلى أوامره نتيجة لخضوعها لقوى روحية، فراح يتحول إلى عبادة هذه القوى، إذ راح يسـتدر عطفهـا ويتقرب إليها بتقديم الأضاحي والقرابين، إنـه وفـق هـذا الطرح، فإن "فريزر" يسلم بأن الإنسان آنذاك وقد تحول عن

---

[1] سيجموند فرويد، الطوطم والتابو..، المرجـع السـابق، ص، ص ١١٣ ـ ١١٤.

السحر وأخذ يدور في فلك الدين وهو ما يعني أن السحر كان سابقًا على الدين، بل ويعد أول أنواع الدين [1].

وعلى ما تقدم فإن يجدر بنا أن نذكر في هذا المقام، أن تمييز "فريزر" بين السحر والدين، إنما يأتي من خلال فهم خاص لما هو ديني وما هو غير ديني. لقد أوضح "فريـزر" أن الدين قد جاء بعد سيادة السحر، خاصة بعد ظهور الآلهة المشخصة، وأن كل المعتقدات التي سادت قبل ذلك تدخل في أضموحة السحر، وهذا ما يعد في تصورنا نوعا من الزيـغ، إذ إن هذه الفترة لم تعرف التفرقة الواضـحة بـين السـحر والدين، فضلاً عن أن السحر كان توطئة لظهور الدين، وأن ظهور الآلهة المشخصة هو الذي أدى إلى فصل واسـتقلال السحر عن الدين فيما بعد [2].

إن العرض السريع الذي قدمناه لأهم أفكار المدرسة التطورية بصدد العلاقة بين السحر والدين، وأسبقية وجودهما

---

(1) فوزي العنتيل: بين الفلكلور والثقافة الشـعبية، الهيئـة المصـرية العامة للكتاب، الطبعة الأولـى، القـاهرة، ١٩٧٨ ص، ص ١٧١ ـ ١٧٤.

(2) فراس السواح، دين الإنسان..، مرجع سابق، ص ١٩٣.

وطبيعتهما، يوضح إلى أي حد أن أصحاب هـذه المدرسـة حـاولوا انتـزاع ظهورهمـا مـن سـياقهما الاجتمـاعي، والاقتصادي، والثقافي، ناهيك عن النظر إليهما باعتبارهمـا جزءا من البنية الفوقية أو جزءا من منظومة ثقافية أفرزتهـا بنية وجودية في زمان ومكان معين.

ثانيا: الرؤية الوظيفية:

تعود جذور المدرسة الوظيفية إلى الفكر الوضـعي الذي يؤرخ له مع بدايات القرن التاسـع عشـر، وقـت أن تعانقت المرحلة الوضعية مع العلم، ووقفت موقفًا معارضـا من الأفكار اللاهوتية والميتافيزيقية، وإذا كانت الوظيفية تعود في أساسها إلى المرحلة الوضعية التي ظهرت في المجتمـع الأوروبي بشكل عام، والفرنسي بشكل خاص، فإنها تـرتبط في نشأته الأولى بالنظرية العضـوية التـي مـن خلالهـا استطاعوا أن يصلوا إلى أن المجتمع مثله مثل الكائن الحي، له مجموعة من الوحدات التي لكل منها وظيفة محددة، وبين كل من هذه الوظائف علاقات تعمل على التكامل والاستمرار البنائي. لقد استند الفكر الوظيفي على فكرة أن لكـل نظـام وظيفة محددة، وأن لكل وظيفة دورا محددا، وأن ثمة تكاملاً

بين هذه الأدوار وبعضها البعض، وأن الغرائز الحيوية وفقًا لرائد هذه المدرسة "مالينوفسكي Malinowsky " هي أساس المؤسسات المجتمعية، وأن نشاط البشر يعود إلـى حاجـات بيولوجية بالأساس. إننا نفهم مما سبق أن المبدأ الأساسي لهذه المدرسة يتحدد في الوظيفة التي تتقرر لكل عضو أو نظـام في المجتمع [١].

إنه حسب الطرح السابق فقد احتلت الوظيفية مكانًـا مميزا في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، خاصة فـي دارسة الثقافة والشخصية، التي انطلقت في تناولهما مـن أن تفسير الظاهرة الواحدة يستوجب البحث عن علة فاعلة، وعن الوظيفة التي يؤديها، وعلى هدي ذلك فقد اهتمـت بـأمرين الأول هو دراسة الدور الذي تقوم به بعض هذه الظـاهرات قياسا على الظواهر الأخرى، والآخر دراسة الدور الذي تقوم به هذه الظاهرة المذكورة قياسا على المجتمع ككل [٢].

---

(١) Clark S., The foundation of structwalism, Haveser pres, Sussex, ١٩٨١, pp. ١٣ - ١٥

(٢) جاك لومبار، مدخل إلى الأنثولوجيا.. مرجع سابق، ص، ص ١٥٩ ـ ١٦٢.

ومع أن الوظيفية ترجع أصولها إلى "مونتسيكيو" الذي أوضح كيف تتشج الظواهر الاجتماعية مع بعضها اتشاجا وظيفيا، وإلى "سبنسر" الذي ماثل بين الرؤى العضوية ورؤية المجتمع في ترابط أجزائه، إلا أننا سوف نبدأ هنا من "دور كايم" الذي خلع على الوظيفية خطابا نظريا واضحا، و"دور كايم" مثله مثل كثير من المشايعين للوظيفية، لم يعر اهتماماً كبيرا بالتطور التاريخي، أو حتى بنمط الإنتاج السائد، الطبقات الاجتماعية القائمة وما يدور بينها من صراعات اجتماعية. وبعيدا عن نكوص "كايم" عن تناول مثل هذه القضايا، إلا أن ما يحسب له أنه يرى أن ما هو اجتماعي يستقل عن الأفراد، ويحدده التصورات الجمعية التي هي بمثابة الوعي الاجتماعي. لقد رأى "كايم" أن التصورات الجمعية تمثل لحمة الحياة الاجتماعية، أو هي بالأحرى عوامل تماسك الجماعة واستمرارها. وعلى ذلك فهو يرى أن (التوتمية) تسبق الديانات، وحيث كان التقديس للرمز الذي يمثل الروح الثابتة في كل أنحاء الكون، هو تجسيد مادي وإسقاط للروح الجماعية وصورة العقل الجمعي في غيابه. لقد كان (التوتم) رمزا لقوى غيبية مقدسة، التفت

حولها الجماعة ففرضت مجموعة من الأخلاقيات، التي من شأنها أن دفعت إلى الإيمان بوجود قوى خفية تمارس سلطتها وضبطها عليهم [1].

إن المتأمل لرؤية "كايم" السابقة هو تركيزه على ما هو اجتماعي، بشكل يفوق تركيزه على القوى الغيبية، إذ يرى أن الديانات الأسطورية تمثل نوعا من الاتحاد ووحدة الجماعة التي تفرض التزاما أخلاقيا وتصورا جمعيا معينًا، وهو ما يدفعنا إلى الزعم بأن "دور كايم" في طرحه لا يختلف كثيرا عما يقدمه أصحاب التطورية، وخاصة "تيلور" الذي كان أقرب إلى الرؤية التاريخية، خاصة في تقديمه لتطور عملية الاعتقاد.

وبيد أن "كايم" يتفق مع "تيلور"، فإنه يختلف مع آخرين من نفس مدرسته، خاصة "فريزر" و "لانج" وهو ما يتضح في الأطروحات حول عبادة الأرواح والقوى المشخصة والفرق بين الدين والسحر، لقد رأى "دور كايم" أن ثمة فرقًا جليا بين الدين والسحر، حيث إن الأول يعود إلى مشاعر جمعية، بينما الآخر هو نتيجة إدراك فردي. فالدين

---

(1) شمس الدين الكيلاني، من العود الأبدي...، مرجع سابق، ص ٧٢.

هو نظام متماسك من المعتقدات والممارسات التـي تتعلـق بأشياء مقدسة ومحرمة تفرض ذاتيتها على طائفة معينة. إنه بذلك يكون الدين لديه أمر جماعي، ويتميز عن السحر الذي يكون فرديا وينسحب عليه مفهوم المدنس، الذي لا يخضـع لحيز الممنوعات الدينية. إن "دور كايم" وفق التعريف الفائت "يرى أن أصول الدين - على عكس التطوريين - لا يرجع إلى عبادة الطبيعة والقوى الكونية أو مـا يسـمى بالنزعـة الطبيعية، وعبادة الأرواح أو ما يسمى بالنزعـة الإحيائيـة أو الأرواحية، بل تعود إلى أقدم عنصر من عناصر الدين هو ما يطلق عليه بالتوتمية [١].

وإذا كان "دور كايم" قد أطلق صفة السـحرية علـى الطقوس والممارسات البدائية في الدين، فإن "هربرت سبنسر" كان قد شيد رؤية تتطابق مع ما قدمه، وهي التي تستند على مساهمة الأرواح في تكوين الدين، وتعـرف باسـم نظريـة (المانيزم) إنه من خلال هذه الرؤية يرى "سبنسر" أن الثقافات البدائية تعتقد أن أرواح الموتى التي كانت للسحرة والزعماء

---

(١) هاري دوجلاس، الطهر والخطر، ترجمة عدنان حسن، دار المدى، الطبعة الأولى، سوريا، ١٩٩٥ م ص، ص ٤١ - ٤٣.

تلعب دورا محوريا في حياة أسرها السابقة، سواء في الخير أو الشر، والمدقق فيما طرحه "سبنسر" يجد أنه يتقارب مع ما قدمه "تيلور" وخاصة في سياق نظريته المعروفـة بالتسـمية أو بالأنيمزم Animism، الذي مفادها أن الأرواحية هي أقدم أشكال الدين، وأن كل الأشياء في هذا الكون لهـا روح، وأن الإنسان البدائي أنتج أفكارا بدائية طغـت علـى المعتقـدات الدينية، تلك التي خلفها عبادة السلف [1].

ويمكننا أن نضيف في إطار النظريـة السـابقة، أن "سبنسر" يرى أن الإنسان الأول آمن بأن له نفسان، واحـدة مرئية، والأخرى خافية، وتسأل عن قبـول فكـرة الأرواح أو الجانب غير المرئي في الحياة تلك التي لا تأتي من خلال نفسه الخافية. بقدر ما تأتي من خلال الإيمان بقـدرة أرواح الموتى والحيوانات والنباتات، على جلب الخيـر أو الشـر، أو الصحة، أو المرض أو الفقر والثروة، أو المطر والجفاف، أو اللذة والألم، ولكي تقوم الأرواح بأي مما سـبق، فكـان عليها استقطابها أو تملقها، إما عن طريق الصلاة أو تقديمك القرابين تلك التي تمثل عند سبنسر بداية مرحلة العبادة، ومن

(1) فراس السواح، دين الإنسان..، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

ثم تأليه هذه الأرواح، وهو ما ساهم في تفعليها الرهبان الذين برعوا في فن الطقوس والإتيان بالخوارق والمعجزات [١].

وبالنظر إلى ما قدمه "موس" الذي يصر - مثله مثل دور كايم - على التمسك بالتفسير الاجتماعي الكلي، ومن ثم يرفض فصل الاجتماعي عن دراسة الإنسان البدائي، فإننـا نجده يتناقض مع "سبنسر"، خاصة فـي تناولـه للظـواهر الاجتماعية، باعتبارها كلا متكاملاً، دون النظر إلى الظواهر النفسية والرمزية، وبيد أن "موس" قد تباين عن الوظيفية في الأمر السابق، فإن ذلك دفعه إلى الاهتمام بثلاث قضايا هي: الصلاة والتضحية والسر، إذ من خلالها أوضح أن كل أنواع الأضاحي ما هي إلا عملية تحويل من الخير الشـائع إلـى الخير الديني، وهو ما يجعل التضحية فعل ديني يتوسل بهـا لتغيير الحالة المعنوية للشخص الـذي يقـوم بتقـديمها، إن "موس" هنا يحاول أن يفكك العناصر المختلفـة فـي الفعـل الأسطوري الديني، لكي يشخص من يقوم بتقديم الأضـحية وما يستعمل من أدوات في هذا الشأن، وأخيرا كيف يتم إقامة

---

(١) أ. كارديز و أ. بريبل، هؤلاء درسوا الإنسان، مرجع سابق، مـن ص ٦٣ - ٦٤.

الاتصال بين العالم المقدس والعالم المقدم للأضحية بغـرض إشباع الاحتياجات.

وإذا كان "موس" حاول رصد العوامل المختلفة فـي الفعل السحري، فإنه أيضا حاول توضيح الفرق بـين الـدين والفعل السحري الأسطوري، إذ رأى - في محاذاة ما قدمـه فريزر - أن المفهوم الأخير ينسحب على قـانوني التشـابه والعدوى أي يسميها هو بالتعـاطف. إنـه يـرى أن هـذين القانونين كافيان لإحداث الطقس السحري بفاعلية، أي أنه لا يحتاج إلى وساطة أي عميل روحي كما هو فـي التضـحية التي هي بمثابة فعل ديني، لقد عارض "موس" هنا بين الدين والسحر، إذ رأى أن الأول يتجه إلى قطب التضـحية، أمـا الآخر فإنه يتجه إلى قطب الأذى والضرر. لقد حاول هو أن يربط بين السحر والأشكال السحرية التي هي علـى غـرار (المانا) فرأى أنها تعتبر الفعالية الحقيقية للأشياء، وفي ذلـك يقول: ..هكذا بينما يتجه الدين باتجاه الميتافيزيقا وينصـرف إلى خلق الصور المثالية، يخرج السحر عبر ألف شق وشق، من الحياة الصوفية التي يستمد قواه منها لينخرط في الحيـاة

الدنيوية، ويضع نفسه في خدمتها.. إنه يتجه باتجاه العيـاني الملموس، كما يتجه الدين باتجاه المجرد... [1].

إن ما سبق يوضح إلى أي حد عارض مـوس بـين الأضحية من جهة والسحر من جهة أخرى، فبينما يـرى أن الأضحية تعتبر ظاهرة مجتمعية بالأساس، فـإن السـحر لا يعتبر كذلك، حيث ينطوي على حالات عاطفية أكثـر منهـا شعائر وسلوك، وهذا ما يجعله قريبـا جـدا مـن أعمـال وتصورات دور كايم خاصة حينما رأى أن فعاليات السـحر في المجتمعات البدائية بمثابة ديانة تعويضية، تستطيع الذات من خلالها أن تعوض نفسها بعملية السحر المزيفة، إذ تكون الطقوس محض وهم، إن موقف موس من الفعاليات السحرية البدائية جعله يوسمها بأنها ما هي إلا جزءا مـن الفلسـفات، أو هي نوع من التأمل المنهجي، الذي يعد جزءا مكونًا مـن أجزاء العقيدة، وأساليب الممارسة في هذه المجتمعات.

وإذا كنا قد تحدثنا في إطار الوظيفية عن مسـاهمات موس ودور كايم وسبنسر، فإنـه لا يفوتنـا الإشـارة إلـى

---

(1) جاك لومبار، مدخل إلى الأنثولوجيا، مرجع سابق، ص، ص ٢١٩ ـ ٢٢٢.

مساهمات "مالنيوفسكي" الذي خالف رؤية دور كايم، وأرجع السحر إلى انفعالات الأفراد من خلال التمثيل الجسدي الـذي تفرض عليه رغبـة فـي النصـر أو الانتقـام. إن نظـر مالينوفسكي إلى السحر في ضوء الانفعالات، جعله يرى أن مثل هذه الأفعال هي بمثابة ويسكي الفقراء، ذلك الذي يجلب إليهم المرح أو السعادة، وكذا يتغلبون بها علـى المصـاعب التي يواجهونها. لقد كان السحر الدستور الاعتقـادي الـذي عمل به العقل الأول لكي يعيش الحاضر ويؤمن المسـتقبل. إن الأسطورة السحرية كانت بمثابة غايات عملية تهدف إلى ترسيخ عادات التأثير في الكون من خلال الطقوس والشعائر وكلمات القدرة، التي كانت تمثل تجهدا حركيـا يقـوم بـه الإنسان لترضية قوة ما لإشباع احتياجاته ذلك الجهـد الـذي يعتبر نوعا من المحاكاة لظاهرة طبيعية، أو أنه يعد تصـورا مسبقًا من منظور ثقافي معين، تقوم به الجماعة، بناء علـى إيمان خاص بها [١]. إنه وفق ذلك تكون الأسطورة أو الفعل

([١]) محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب من الجاهليـة وولادتـي، الجزء الأول، دار الفارابي، الطبعة الأولـى، بيـروت، ١٩٩٤ م، ص ٣٨.

السحري ذو علاقة وثيقة لكل ما يفرزه الخيال البشري سواء كان يتصل بما هو قائم، أو حتى من أجل تجاوزه.

وإذا كنا في هذا المقام قد أشرنا إلـى مالينوفسـكي، فإنه يتوجب علينا إلا نغفل مساهمات "إيفانز بريتشارد" حول هذا الموضوع. لقد تعارض "بريتشارد" مـع "مالينوفسـكي" وأخذ منه موقفًا رافضا مما طرحه حول عملية الـربط بـين خوف الإنسان الأول من غوائل الطبيعة، وتغلبه عليها مـن خلال السحر حيث إن الأفراد في إطـار المجتمعـات التـي درسها الذين يصابون بمس سـحري، كـانوا لا يخـافون، أو حتى يصابون بالسخط والإحباط، لأن ثمة اعتقاد لديهم بأن الإله صديق حميم لهم، وهو سوف يعينهم على الخروج مـن أزماتهم [1].

إنه في إطار ما تقدم، فإننا يمكننا القول أنـه علـى الرغم من الاختلافات البسيطة وليست الجوهرية بين أصحاب الرؤى السابقة إلا أن ما يجمع بينهم ما يلي:

---

(1) هاري دوجلاس، الطهر والخطر، مرجع سابق، مـن ص ١٢٢ ـ ١٢٤.

١- أن الأسطورة السحرية هي حقيقة اجتماعية ثقافيـة، تدخل في إطار الحقيقة المجتمعية التي ترتبط بقـيم ثقافية وطقوسية معينة، تتحدد من خلال علاقة الذات بالآلهة وأرواح الأسلاف.

٢- تعتبر الأسطورة جهدا فكريا لتفسير العـالم، أو قـل إنها علما بدائيا يسعى إلى تفسير الواقـع والطبيعـة والإنسان، بطريقة غيبية سابقة على المنطق.

٣- تساهم الأسطورة السحرية في التعبير عن المعتقدات ومعتنقيها في إطار اجتماعي - ثقافي، ناهيك عـن رصدها لمجموعة من القواعد والسلوك الممارس في زمان ومكان معين.

٤- تأتي الأسطورة السحرية وفق لغة خاصة، وأشـكال تعبيرية وتخيلات وتأملات وأحكام تـرتبط بزمـان ومكان معين، أو قل أنه المكبوت أو المسكوت عنه، أو رؤى العالم في سياق ثقافي اجتماعي خاص.

٥- جاء الدين في مرحلة تالية للسحر، أو أن السحر هو مقدمة لبدايات الدين، ناهيك عن أن ثمة تباينًا بينهما خاصة فيما يتصل بما هو فردي، وما هو اجتماعي.

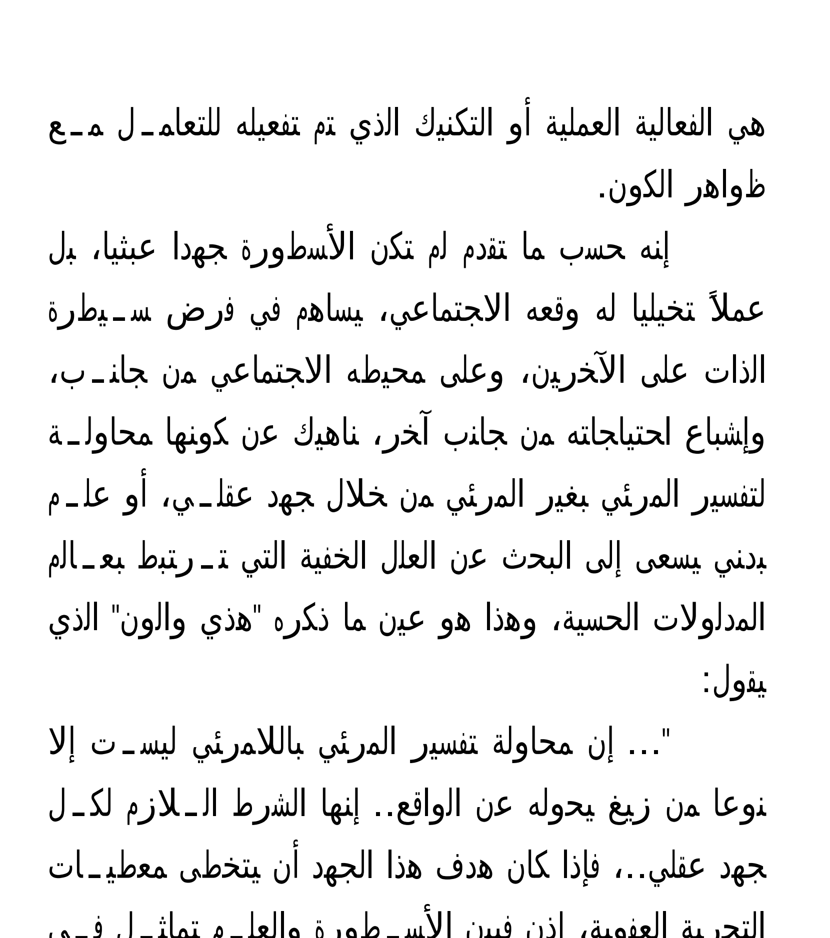
ثالثًا: التفسير الماركسي:

تقبض الماركسية على الأسطورة من خلال البحـث في نمط الإنتاج السائد، والنموذج الذي يقدمه لحياة الإنسـان وعلاقته بالعالم المعاش، والواقع أن ذلك دفعهم إلـى تقـديم تفسير للأسطورة السحرية في ضـوء الأبعـاد الاجتماعيـة واللغوية والمعرفية وحتى النفسية، إنهم من خلال هذه الأبعاد حاولوا تقديم مجموعة من التوليفات التي قدمتها الأسـطورة عن علاقة الإنسان بعالمه ورؤيته للكون. وأحـرى بنـا أن نسجل هنا أن دراسة الماركسية للأسطورة وفعلها السحري لم يأتِ وفق طريقة منهجية أكاديمية، وإنما جـاء مـن خـلال التعـرض لطابعهـا المعرفـي والاجتمـاعي ووظيفتهـا الأيدولوجية، بهدف الكشف عن الوسـط الاجتمـاعي التـي عاشت في كنفه".

فعلى هدي ما قدمه ماركس حول مفهوم عملية العمل والعلاقات الاجتماعية، باعتبارهما الرحم الذي ولدت فيه كل أشكال النشاط الإنساني، الذي يعبر عن وجود الإنسان، نجـد أن "كوندراتنكو" يقسم العلاقات الاجتماعية إلى نحوين، الأول هو علاقة الناس ببعضهم البعض، أما الآخر فهو العلاقة بين

هؤلاء والطبيعة، وفي ذلك يرى أن العلاقة مع الطبيعة هـي التي أوجدت الميثولوجيا التي جاءت مـع بـدايات الـوعي الإنساني للكشف عن التفسيرات المعقولة للطبيعة الغائبة.

وإذا كان "كوندراتنكو" قد درس عن طريـق عمليـة العمل والعلاقات الاجتماعية سواء على المسـتوى الفـردي أو الاجتماعي ليوضح طبيعـة الصـراعات بـين الإنسـان والطبيعة، وبين الإنسان والإنسان لتوزيع الخيرات الماديـة، واهتمامه بالوعي الإنساني الأول، فإن "يوليوس ليـبس" قـد اهتم بدارسة أصول الثقافة الإنسانية، إذ حاول أن يقف علـى التساوق بين الثقافة ونمط الحياة السـائدة، وأن يـربط بـين المحاكاة والدراما الدينية لدى الحضارات القديمـة الراقيـة، حيث يذهب إلى أن الثقافات القديمة ما هي إلـى نـوع مـن العروض الاستعراضية التي تقدم للقوى الغيبية التـي آمـن الإنسان الأول أن بيدها كل شيء حتى يضمن إرضائها ومن ثم يشبع احتياجاته، ويضيف "ليبس" أن الفعاليات الفكرية التي تضمنها الفن الاستعراضي الأول، كان يعتبـر ضـربا مـن السحر تم استخدامه بغرض السيطرة على العالم أو قل إنهـا كانت تعبيرا نظريا عن علاقة الإنسان بعالمه، إذ كان الطقس



هي الفعالية العملية أو التكنيك الذي تم تفعيله للتعامل مع ظواهر الكون.

إنه حسب ما تقدم لم تكن الأسطورة جهدا عبثيا، بل عملاً تخيليا له وقعه الاجتماعي، يساهم في فرض سيطرة الذات على الآخرين، وعلى محيطه الاجتماعي من جانب، وإشباع احتياجاته من جانب آخر، ناهيك عن كونها محاولة لتفسير المرئي بغير المرئي من خلال جهد عقلي، أو علم بدني يسعى إلى البحث عن العلل الخفية التي ترتبط بعالم المدلولات الحسية، وهذا هو عين ما ذكره "هذي والون" الذي يقول:

"... إن محاولة تفسير المرئي باللامرئي ليست إلا نوعا من زيغ يحوله عن الواقع.. إنها الشرط اللازم لكل جهد عقلي..، فإذا كان هدف هذا الجهد أن يتخطى معطيات التجربة العفوية، إذن فبين الأسطورة والعلم تماثل في

الوظيفة.. كلاهما يبحث عن عالم العال الخفي المختلط بعالم المدلولات الحسية.." [1].

وإذا كان "ليبس" يذهب إلى أن الأسطورة هي علـم أولي أو علم بدائي، فإن جارودي في الإطـار ذاتـه، يقـدم الأسطورة السحرية على أنها علم أولي، وهو ما دعاه إلـى طرح تفرقة بين الأسطورة والرمز وهلوسة الأحلام، فبينمـا الرمز لديه يعبر عـن الرغبـة أو ترجمـة للرغبـة، فـإن الأسطورة من خلق الإنسان ذلك الذي يعني أن ميلاد العقـل ونشوء الوعي هو تاريخ نشوء الإنسان. إنـه مـن خـلال الأسطورة، فقد كيف الإنسان أدواته لإشباع احتياجاته، ولكن بدون عمل، إذ جعل من اللغة ومنظومتها الدلالية، الإشارات المعبرة عن النشاطات والموضوعات وهو في ذلك يذكر: ".. أن الاكتشاف المثير لواقع أن الأشياء الطبيعية يمكن تحويلها إلى أداة قادرة على التأثير في العالم الخارجي وتحويله، كان من المحتم أن يفضي على فكرة أخرى في ذهـن الإنسـان

---

(1) يوليوس ليبس، بدايات الثقافة الإنسانية، ترجمة كامـل إسـماعيل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٨، ص ٧٦، ص، ص ٢٧٧ ـ ٢٨١.

البدائي، الذي كان يجري ويستيقظ ببطء من أن بإمكانـه أن يحقق المستحيل بواسطة أداة سحرية، وأن الطبيعة يمكـن أن يسخرها بدون حاجة إلى العمل، وكما كـان الإنسـان الأول متأثرا بأهمية التقليد والمحاكاة فقد استنتج أنه ما دامت هـذه الأشياء متشابهة، فإن سلطاته علـى الطبيعـة يمكـن بهـذه الوسيلة، أن لا تقف عند حد، لذا من الخطأ السـخرية مـن خرافات الإنسان البدائي، أو من محاولات ترويضه للطبيعـة عن طريق المحاكاة.." [1].

إن استخدام الإنسان للطبيعة عن طريق المحاكاة يعد صورة نظرية لما يسمى بالوعي الأسطوري في ذلك الوقت، والذي من خلالها يمكن الزعم بأن الأسطورة والسـحر قـد جاءا متوازيان في نشأتهما، لأن كـل منهمـا لـه انعكاسـه ووجوده الذهني في دماغ الإنسان. لقد راح الإنسـان الأول من خلال السحر والأسطورة إلى السيطرة على العالم، الأمر الذي يجعلنا مع "ليبس" نتفق بأن السحر يمكن أن ينظر إليـه على أنه أقدم صيغة لفلسفة الحياة والدين.

---

(1) شمس الدين الكيلاني، من العود الأبدي..، مرجع سابق، ص ١١٣، ص ١١٥.

إن المتأمل في الطرح السابق يجد أنه كان يشدد على الإطار التاريخي الذي كانت في كنفه الأسـطورة والسـحر، وكنوع من الوعي الاجتماعي للإنسان الأول، فضـلاً عـن اتصالها الوشيج بمستوى تقدم العمل وأدواته (مستوى تنظـيم العمل والإنتاج). إنه من خلال هذا الفهم، فقد توصل أصحاب الرؤية الماركسية إلى أن الوعي الأسطوري يعكـس واقـع التطورات التي شهدتها المجتمعات القديمة خاصة على صعيد تسارع وتيرة الإنتـاج وتقسـيم العمـل وتخلـق الطبقـات الاجتماعية. إنه مع التخصص في العمل فقد أدى إلى بـروز فئات اجتماعية مؤثرة على الصعيدين المـادي والروحـي، الأمر الذي ساهم في تحول ممارسات السحر من إطار البنية التحتية إلى إطار البنية القومية، تلك التي تعبر بشكل بالغ عن بروز وتكوين فئة الكهنة، إن الوضع الذي تطرحه الماركسية في هذا الصدد يوضح كيف أن الأسطورة تمثل شـكلاً مـن أشكال الوعي الذي ظهر قبل ولادة الدين، ذلك الـذي يمثـل أحد أنساق الوعي البشري في مرحلة التفاوت الاجتمـاعي، والذي نجم عنه بروز الطبقات المهيمنة المتسلحة بتصورات

ما ورائية بدأت من التوعية وانتهت بفكرة تعدد الآلهة التـي قبضت على زمام الأمور في الطبيعة والمجتمع.

ويمكننا أن نضيف إلى مـا سـبق، وفقـًا للطـرح الماركسي أن الإيمان بالأسطورة والسحر، كان يـأتي مـن خلال ضعف قوى الإنتاج في المجتمعات الأولى، ذلك الـذي أعمى الإنسان عن الوقوف على أسـباب الحقيقـة المفسـرة للظواهر التي كانت تحدث له ومن حوله. إن هذا العمى هـو ما جعل التفسيرات الأسطورية هي الوحيدة التي بها نسـدل الأستار على الوقائع والظواهر التي كانت تعايش المجتمعات الأولى، ولما كان الخطاب الأسطوري آنذاك بمثابة التعويض عن عجز الإنسان عن الوصول إلى إجابات حقيقية، فضـلاً عن كونه يعبر عن ضعف الإنسان جسـديا وعقليـا تجـاه الطبيعة، فإن ذلك هو ما سمح له أن يخلق رؤى خاصة يتميز بها على الأوضاع التي كان يعايشها، لقد كانت التصـورات الدينية الأولى انعكاسا لواقع انفصل عن ذاته، فهي لم تكـن مثلما يتصورون أن الدين يسعى إلى تأييد أوضاع قائمة، بل كان على العكس، إذ كان أداة لتحقير العقل من أجـل عـدم تجاوز واقعه، ولما كانت الأسطورة كذلك، وأنها جاءت قبل

سيادة قسمة العمل، أو بالأحرى قبل ظهور الطبقات فإنها هنا تتعارض مع الدين، أو قل أنها ليست بدين على حسب ما يرون، لأن الدين هو صيغة القسمة الطبقية [١].

رابعا: البنيوية وتحليل الأسطورة:

إذا كانت الاتجاهات النظرية السابقة قد أوضحت العلاقة المتفصلة بين الأسطورة والسحر والدين، فإننا هنا نركز على اتجاه آخر اشتهر بتحليل الأسطورة من خلال المقولات النظرية التي عرضنا لها قبل قليل، مضافًا لها التحليل النفسي والجيولوجيا، لقد حاولت البنيوية وفق مكوناتها النظرية أن تطرح ذاتها باعتبارها ثورة على الأفكار السابقة عليها، أو قل لكونها موضة فكرية تسعى إلى إيجاد منهجية جديدة أسماها كل من "شتروس" و "بارت" بالبنائية المنهجية التي تعتمد على النماذج المنطقية الرياضية

(١) سيد القمني، الأسطورة والتراث، دار سينا، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٣ م، ص ٢٤.

التي لا تتداخل فيها الملاحظة لكي تفسر النسق في إطار بناء مستمر، وتقدم تفسيرا استنباطيا [1].

إن تناول البنيوية للأسطورة مـن خـلال المـنهج السابق، يأتي من اعتبار أساسي مؤداه أن الأسـطورة هـي بديل موضوعي ومعرفي شامل، يستطيع معالجة النظر فـي الكون، ويطرح إجابات تبتعد عـن الفرديـة والاعتقـادات البسيطة وتعدد الآلهة. ولما كانت الأساطير القديمة هي رؤية العالم، فإنها أيضا هي الاعتقاد الديني، إن ما سبق هو ما دفع البنيوية إلى الذهاب بأن الأسطورة تعد شكلاً متممـا لبنيـة الدين وإن كانت لم تأخذ صفة الإلزام أو الإيمان [2]. ولكـن كيف تناولت البنيوية تحليل الأسطورة سواء باعتبارها تشير إلى منطق أو معنى معين، أو كونها تحمـل دلالـة رمزيـة بعينها، أن ذلك هو ما سوف نعرج عليه في السطور التالية:

([1]) جون ستروك، البنيوية وما بعدها، من ليفي شتروس إلـى دريـدا، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد ٢٠٦، الكويـت، ١٩٩٦. ص، ص ٦٧ ـ ٦٨.

([2]) رولان بارت، الأسطورة اليوم، في: سحر الرمز، ترجمـة عبـد الهادي عبد الرحمن، دار الحوار، الطبعة الأولـى، اللاذقيـة، ١٩٩٤، ص ٥٧.

أ - منطق الأسطورة والمعنى:

يعتبر منطق الأسطورة من العناوين الهامـة لـدى البنيوية ورائدها "ليفي شتروس"، وهو ما يتضح في دراسـته لأساطير الهنود الأمريكيين، حيث كان يهدف إلى الوقـوف على حجم الاتصالات المتبادلة بين منطق الأسطورة والأنواع الأخرى من المنطق، تلك التي تبدأ بمنطق الإحساسات وتمر بمنطق الصـور وتنتهـي بمنطقـة العلاقـات. وحيـث إن "شتروس" فعل في هـذا الإطـار المـنهج الأنثروبولـوجي البنيوي، فإنه سعى إلى اكتشاف البناءات اللاشعورية العميقة للنفس الإنسانية، أو حسب قوله، أنه حـاول الكشـف عـن بواطن العقل، فضلاً عن إرجاع المعطيـات التـي تظهـر مشوشة إلى منظمها الأصلي، والوصول إلى المستويات التي تكشف الحكمة التي تختبئ وراء سراب الحرية، ولكي يصل إلى ما سبق فإنه حاول دراسة أنظمـة القرابـة والطقـوس والأدعية التوتمية لتوضيح صعوبة الفصل بـين الضـغوط الاجتماعية والضوابط الداخلية، وبين الميثولوجيا، والتي منها توصل إلى أن الأساطير هنا ليس لها وظيفة عملية ومباشرة في هذا الصدد، حيث تبتعد عن الواقع ولا تنصب فيه، لقـد

رأى "شتروس" أن ما يأتي نتيجة الأساطير إنما يكـون دون قيد، بمعنى أن النفس تكون قد تحللت من كل شيء، وتتـرك لها الأعمال بعيدا عن ارتباطها بأي شيء آخـر، إن الـنفس البشرية لا تكون مقيدة بقوانين في خلق أساطيرها، وهذا مـا يظهر أيضا في جميع المجالات [1].

إنه على هدي ما سبق فـإن "شـتروس" يـرى أن الأساطير تعد إفرازا مباشرا للتفكير الإنساني بشكل عام، وأن الحديث عن اللاشعور في هذا المقام يمثل حجرا كئودا أمـا أي تفكير سواء كان متوحشًا أو بدائيا أو حديثًا، فاللاشـعور هو فارغ دائما، أو بمعنى آخر هو غريب عن الصور، مثلما تغترب المعدة عما يوجد بها من طعام، إنه من وجهة نظـره أن اللاشعور هو جهاز خاص له وظيفة محددة تنحصر فـي فرض قوانين بدائية على عناصر تأتي من الخارج. إنه مقولة

---

(1) كلاود ليفي شروس، البنيوية، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقـافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٩٥، ص، ص ٣٧ ـ ٣٩.

الفكر الجمعي الذي يرد الأشياء إلى طبيعتها في إطار نسـق رمزي لكي يكثر من معقوليتها [1].

يفهم مما سلف، أن "شتروس" في الوقت الذي يهـتم بالسياق الذي يحوي الظاهرة، فإنه يخص هنـا المضـمون، فحقيقة الأسطورة لديه لا تأتي في المحتوى المتميز، وإنمـا تأتي في علاقات منطقية مجردة عن المحتوى، فالأسـاطير تشير إلى شيء محدد، وتصور عن الـنفس والعـالم الـذي شكلت ملامحه، وصيغت بها النفس البشرية ذاتها، إنها وفـق هذا المنطق فهي تفسر بعضها البعض، أو تغير من بعضـها البعض، أنه حسب ما سبق فإن "شتروس" يعرف الأسـطورة بأنها مجموعة من الروايات التي تأتي عن شيء محدد، وهو في ذلك يهتم بالعلاقات المنطقية بين مكوناتهـا الأساسـية، وليس كما يفعل الآخرون، حينما يبحثون عن الأصل البدائي لها. إن الاهتمام بالعلاقات المنطقية بين مكونات الأسطورة، جعله يبتعد عما يدور في ذهن المتلقي، وهو ما قاده إلى فهم

---

(1) Badcockl, Levi – Strauss, Struclturalism and socoiological theory, Huntclinson, London, ١٩٧٥. pp. ٣٢ – ٣٤.

البناء اللاشعوري للنفس الإنسانية، الذي يوضح التركيبات الثقافية المختلفة [1].

إنه وفق التعريف السابق، فإن "شتروس" يقسم الأسطورة إلى نوعين، الأول هو مجموعة من الأساطير التي تمثل نتفًا أو خرقًا من القصص المفككة التي توضع في تسلسل دون وجود رابطة بينها. أما النوع الآخر، فهو على النقيض حيث يشار إليه باعتباره نوع من القصص شديدة التجانس التي تتسم بالتسلسل المنطقي، والتي تكون أشبه بالملحمة الشعبية، وهو ما يمثل الشرط البدائي في عناصر الأسطورة، إن ذلك يعني أن هذه المجتمعات شهدت ما يسمى بتعاظم عملية التنظيم والترابط وعدم الانحلال. إن تمييز "شتروس" بين المجتمعات المتجانسة وغير المتجانسة وفق تصنيفه للأسطورة، جعله في الوقت عينه يسلم بأن أية أسطورة تفصح عن وجود مستويات سطحية متكررة في أضمومتها، وهو ما يكشف عن وجود سنن جمعية وخطاب

---

(1) عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٩، ص، ص ٣٧ ـ ٣٨.

عفوي لا شعوري، وهو ما جعله يتوصل إلى أنهـا ليسـت مجرد حكايات وهمية جميلة، بل هي محاولات تسـعى إلـى حل التناقضات التي عرفها الوجود الإنسـاني، وأنـه لكـي يقبض على بنية الأسطورة وجد أنها تنطوي علـى معنـى معين، يرتبط بتنسيق العناصر المعزولة التـي تـدخل فـي تكوينها، والتي يمكن أن نستدل عليها من خلال نظام اللسان واللغة [1].

إن الأسطورة بالنسبة لشتروس لـم تكـن محـض خرافة، وإنما هي في الواقع رسالة، مـع أن مرسـل هـذه الرسالة غير معروف، إلا أنه كان يحدد بدقة من هو المتلقي، إن المتلقي هنا هو الإنسان المتوحش في ذلك الزمان، بينمـا كان المرسل هم الأسلاف القدماء الذين أرسلوا هذا الفكـر، وإذا كنا حددنا المرسل والمستقبل في الأسطورة، فإنـه مـن السهولة بمكان أن نُفتت الأسطورة إلى مجموعة من الأجزاء والحوادث التي تعج بها. وهذه الحوادث تشير إلى العلاقـات بين الشخصيات الفردية في الأسطورة، أو إلى الوضع الـذي

([1]) كلود ليفي شتروس، الأسطورة والمعنى، ترجمة صبحي حديـدي، دار الحوار، الطبعة الثانية، اللاذقية سوريا، ١٩٩٥، ص ١٧.

يحتله أفراد معينين مع تبديل هذه الأدوات أو الأوضاع، وهذا ما ينبغي أن نضع جلّ اهتمامنا نصابه [1].

ب ـ البنيوية والأسطورة كرمز:

يعتبر "بارت" من أهم ممثلي الاتجاه البنيوي الـذين اهتموا بدلالات الحكي الأسطوري ودلالاته، فهـو يـرى أن الأسطورة هي نوع من الكلام، ولكنه ليست أي نوع، حيـث إن اللغة تفرض نوعا معينًا من الكلام والظروف لكي تصبح أسطورة، وحيث إنها كذلك فهي تعد نوعا مـن الاتصـال، وتحتوي على رسالة معينة أو موضوعا أو مفهوما أو فكـرة لها دلالة معينة. إنها وفق ذلك فهي شكل مـا فـي حـدود تاريخية محددة، له شكل استعمالي معين في إطـار مجتمـع محدد. وحيث إن الأسطورة نـوع مـن الكـلام، وطريقـة للاتصال، فإن "بارت" لا يعرفها بموضوع إبلاغهـا، وإنمـا بالطريقة التي يتم بها الإبـلاغ، لـذا يمكـن القـول أن أي

---

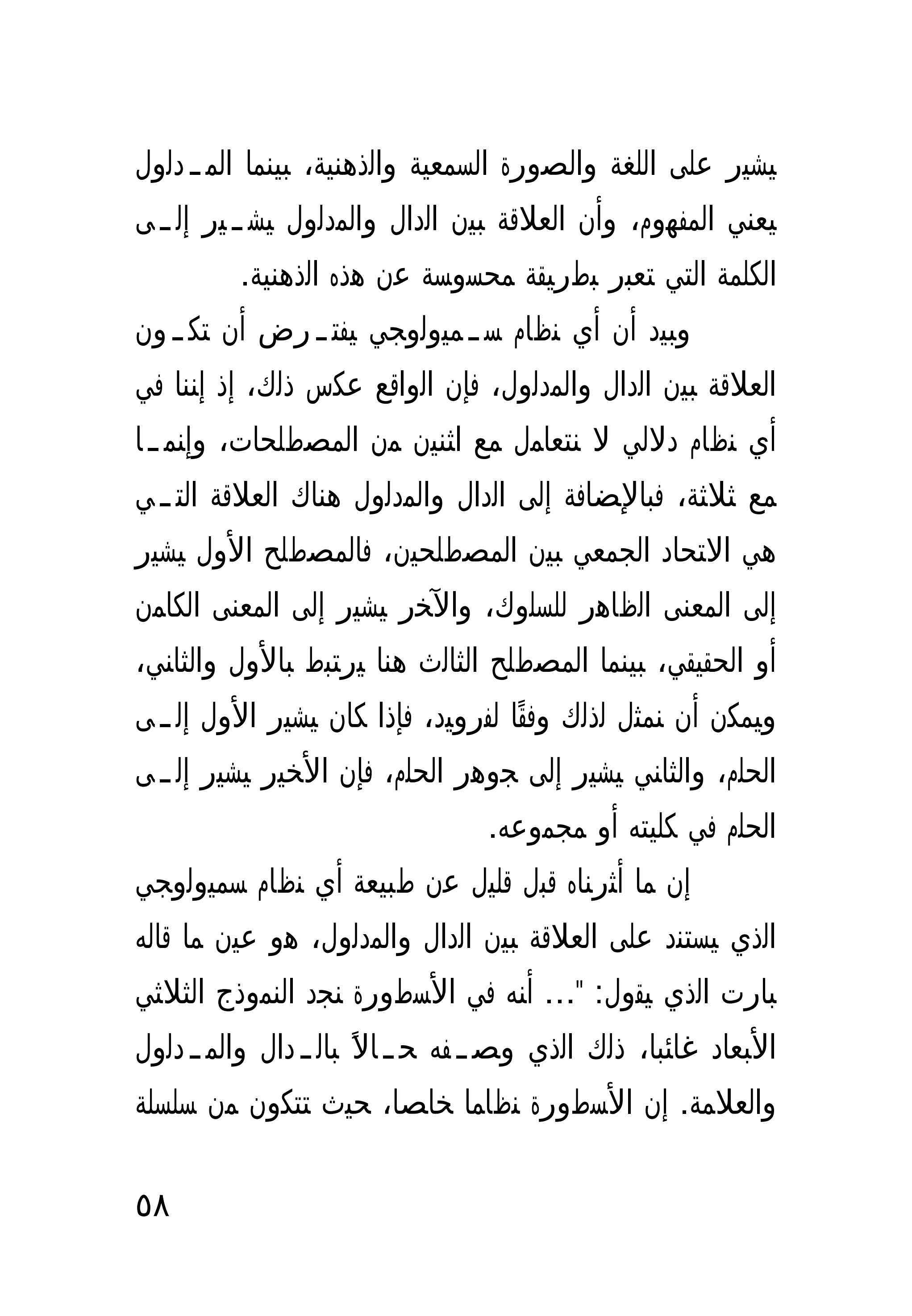
(1) أدموند ليـنش، كلـود ليفـي شـتراوس، البنيويـة ومشـروعها الأنثروبولوجي، ترجمة ثائر ديب، دار كنعان الطبعة الثالثة، سـوريا، ١٩٨٥، ص ٨٥.

موضوع يمكن أن يكون أسطورة. إن الأسـطورة مقرونـة بطريقة الاستخدام الاجتماعي لها، وبما تحمله من مواد خام، ذلك الذي يحول الحقيقية إلى كلمات عبر التاريخ الذي يختار اللغة، فالكلام الأسطوري يأتي من خلال التاريخ الـذي قـام عليه عمل سابق، ويقضي وعيا دالا عليها، الأمر الذي يمكن أن يكون خطابا أو رسما أو صورا يحمل معنى معينًا [1].

إنه وفق هذا المعنى فإن اللغة سواء كانـت مكتوبـة أو حوارا أو شفاهة تمثل لدى "بارت" وحدة ذات معنى سواء كان شفويا أو بصريا، إنها بذلك تصبح الأسطورة متماسـكة مع اللسانيات في علم أنظمة العلاقات أو مـا يطلـق عليهـا بالسميولوجيا، والأسطورة حسب هذا المعنى تصبح جزءا من السميولوجيا، التي تفترض دلالة معينة لها مضمون يكشـف عن القيم والدلالات والعلامات والإشارات، إن اهتمام بارت بالشكل الذي يأتي عبر أي خطاب جعله يـدخل الأيـدلوجيا والميثولوجيا في إطارها باعتبارها تدرس الأفكار في شـكلها الكلي، إن دخول الميثيولوجيا والأيديولوجيا في إطارها يأتي من خلال افتراضها لوجود علاقة بين دال ومدلول، فالـدال

---

(1) رولان بارت، الأسطورة اليوم، مرجع سابق، ص ٥٩.



يشير على اللغة والصورة السمعية والذهنية، بينما المـدلول يعني المفهوم، وأن العلاقة بين الدال والمدلول يشـير إلـى الكلمة التي تعبر بطريقة محسوسة عن هذه الذهنية.

وبيد أن أي نظام سـميولوجي يفتـرض أن تكـون العلاقة بين الدال والمدلول، فإن الواقع عكس ذلك، إذ إننا في أي نظام دلالي لا نتعامل مع اثنين من المصطلحات، وإنمـا مع ثلاثة، فبالإضافة إلى الدال والمدلول هناك العلاقة التـي هي الاتحاد الجمعي بين المصطلحين، فالمصطلح الأول يشير إلى المعنى الظاهر للسلوك، والآخر يشير إلى المعنى الكامن أو الحقيقي، بينما المصطلح الثالث هنا يرتبط بالأول والثاني، ويمكن أن نمثل لذلك وفقًا لفرويد، فإذا كان يشير الأول إلـى الحلم، والثاني يشير إلى جوهر الحلم، فإن الأخير يشير إلـى الحلم في كليته أو مجموعه.

إن ما أثرناه قبل قليل عن طبيعة أي نظام سميولوجي الذي يستند على العلاقة بين الدال والمدلول، هو عين ما قاله بارت الذي يقول: "... أنه في الأسطورة نجد النموذج الثلاثي الأبعاد غائبا، ذلك الذي وصـفه حـالاً بالـدال والمـدلول والعلامة. إن الأسطورة نظاما خاصا، حيث تتكون من سلسلة

سميولوجية، ذات نسق أو نظام دلالي.." ذلك الـذي يكـون الدلالة (بمعنى المجموع المشترك للمفهوم والصورة) فالنظام الأول يصبح مجرد دال في النظام الثاني (بمعنى المجمـوع المشترك للمفهوم والصورة) فالنظام الأول يصبح مجرد دال في النظام الثاني، يجب علينا أن نتذكر هنا أن مـادة الكـلام الأسطوري (اللغة نفسها، الصورة الفوتوغرافيـة، الرسـم، الملصقات، الطقوس، الأشياء والموضوعات.. إلخ) بـالرغم من تباينها في البداية، فإنها تختزل إلى وظيفـة دالـة نقيـة بمجرد أن تتلقفها الأسطورة، فالأسطورة ترى فيهـا نفـس المادة الخام، واتحادها هو أنها جميعا تهبط إلى حالة من اللغة المجردة، وسواء نتعامل مع الأبجدية أو الكتابة البدائية (كتابة الرسوم) ترى الأسطورة فيه المجموعة علامات فقط، علاقة مجموعية، أي المصطلح الأخير للسلالة الدلالية الأولى. وهذا المصطلح الأخير هو الذي سوف يصـبح المصـطلح الأول للنظام الأكبر الذي يبنيه، والذي هو جزء منه فقط. كل شيء يحدث، لو أن الأسطورة استبعدت النظـام الشـكلي للدلالـة الأولى.. [1].

([1]) المرجع السابق، ص، ص ٦١ ـ ٦٨.

مما سبق يمكن أن نقول أنه فـي الأسـطورة ثمـة نظامان دلاليان، بينهما علاقة واشجة، إنهما نظـام اللسـان ونظام اللغة الذي يميـل بـارت إلـى تسـميتها (اللغـة ـ الموضوع) فمن خلال اللغة تسعى الأسطورة إلـى نظامهـا الخاص والدلالي لكي توضح الصورة التي كان عليها العقل، إنه حسب ذلك فإن بارت يدعو الأسطورة أو ما تعد اللغـة، أو اللغة البعدية، التي هي بمثابة لغة ثانية من خلالهـا يـتم الحديث عن اللغة الأولى (أقصد اللغة ـ الموضوع).

إن المتأمل فيما سبق يستطيع أن يقول أن تحلـيلات بارت للأسطورة، جاءت وفق اعتبارين، الأول هـو الشـكل ودلالاته الذي جاء بطريقة متكيفة مع ما هو قائم، والآخر هو المضمون الذي يعبر بقوة عن وظيفة الأسطورة في أي واقع. وهو في هذا المقام يذكر: ".. أن الأسطورة تحمـل وظيفـة ثنائية هي الشكل والمضمون، ففي حين يقدم دال الأسـطورة بطريقة غامضة، فهو يكون معنى وشكلاً في نفس الوقـت، مختلفًا في جانب، وفارغًا في الجانب الآخر، الدال كمعنـى يفترض مسبقًا قراءة محددة التقطتها من خلال عينـي. إنـه يمتلك حقيقة حسية (عكس الدال اللغـوي الـذهني كليـا)..

وعندما يصبح المعنى شكلاً، فإنه يغادر احتماليته ويدعها في الخلف. إنه يفرغ نفسه ويصبح عقيما.. يتبخر التاريخ ويبقى الحرف فقط.. يوجد هنا استبدال في عملية القراءة.. نكوص أو تراجع غير طبيعي من المعنى للشكل.. من الدلالة اللغوية إلى الدلالة الأسطورية.." [1].

إنه حسب الشكل الذي أوضحه بارت، نجد أن المضمون الأسطوري ما هو إلا عملية ملائمة ومتكيف، وأن هذا المضمون يرتبط بشكل وثيق بالوظيفة التي تؤديها الأسطورة، تلك التي تمثل نوعا من الميل أو النزوع نحو أشياء محددة في داخل النظام الدلالي للأسطورة، وفي هذا السياق يذهب بارت إلى أن النظام الدلالي يمتلك مجموعة غير قليلة من الدلالات تشير دائما إلى المضمون الأسطوري الذي يمتلك نوعا من الترتيب والتنظيم يشكل منظومة واحدة. ويضيف بارت أيضا، أنه إذا كانت المضامين الأسطورية تحمل دلالات كثيرة، فإن هذه الدلالات لا تحمل ثباتًا، بمعنى أنه يمكن أن تسود أو في الوقت عينه تتبدد أو تختفي، وهذا

(1) المرجع نفسه، ص، ص ٦٨ ـ ٦٩.

لأنها تحمل الصفة التاريخية، إن التاريخ يمكن أن يساهم في صيرورتها، وفي الوقت نفسه يعمل على طمسها [1].

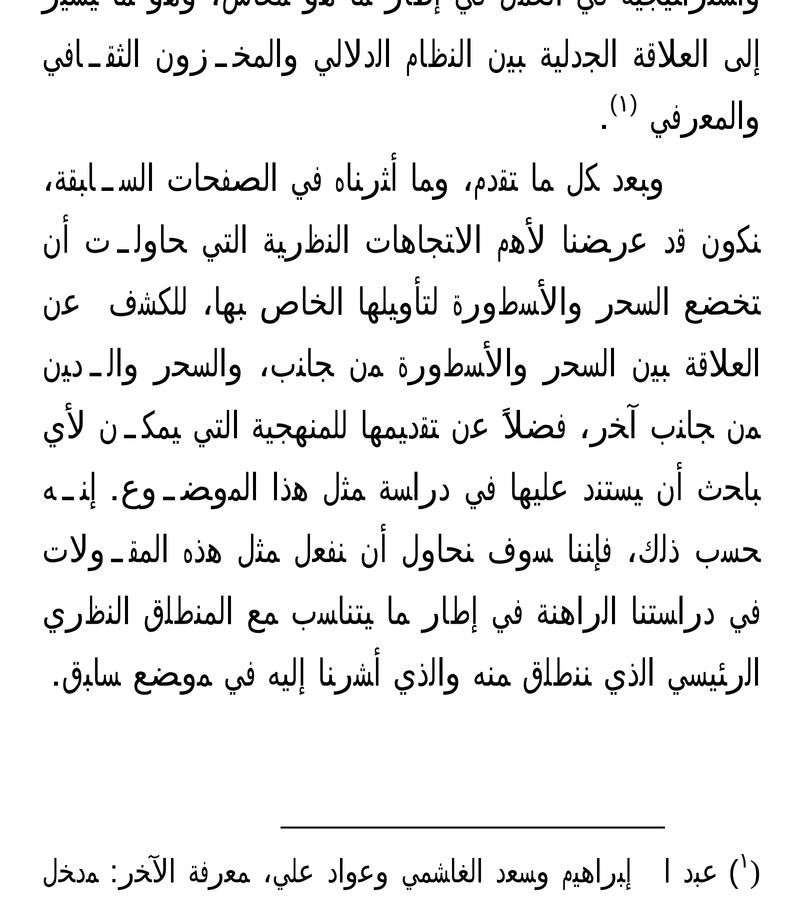
ولما كانت المضـامين الأسـطورية تحمـل دلالات معينة، فإن "بارت" يـرى أن هـذه الـدلالات هـي هـي الأسطورة. فإذا كان المصطلحان الأول والثاني، يشكلان في اتحادهما ما يسميه "بـارت" بالدلالـة التـي يطلـق عليهـا "سوسور" بالعلاقة، فإن هذه الدلالة غالبا ما تـأتي مشـوهة أو محرفة، إذ يأتي مضمون هذه الدلالة من خـلال معنـى محدد سلفًا ينبع من مضمون تاريخي لتوصيل ماذا يقصد به، وليحكي أو يبرر دلالات الأسطورة بطريقة خاصة[2].

إنه حسب ما تقدم فإننا يمكـن أن نخلـص إلـى أن "بارت" يركز على الأسطورة باعتبارها نظاما اتصـاليا لـه موضوع محدد، يشير إلى مجموعة من الدلالات التـي قـد تكون مكتوبة أو ملفوظة وذات صلة بالتـاريخ، وهـو مـا

---

(1) ترانس هوكز، البنيوية وعلم الإشارات، ترجمة مجيد الماشـطة،= =دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ١١٩.

(2) أدين كبرزويل، عصر البنيوية: من ليفي شـتروس إلـى فـوكو، ترجمة جابر عصفور، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥، ١٨٤.



يحولها إلى كلام أو لغة أو موضوع يشير إلـى كتلـة مـن المعاني الخاصة بزمان محدد، تلك التي تصبح حكما فـاعلاً واستراتيجية في العمل في إطار ما هو معاش، وهو ما يشير إلى العلاقة الجدلية بين النظام الدلالي والمخـزون الثقـافي والمعرفي [1].

وبعد كل ما تقدم، وما أثرناه في الصفحات السـابقة، نكون قد عرضنا لأهم الاتجاهات النظرية التي حاولـت أن تخضع السحر والأسطورة لتأويلها الخاص بها، للكشف عن العلاقة بين السحر والأسطورة من جانب، والسحر والـدين من جانب آخر، فضلاً عن تقديمها للمنهجية التي يمكـن لأي باحث أن يستند عليها في دراسة مثل هذا الموضـوع. إنـه حسب ذلك، فإننا سوف نحاول أن نفعل مثل هذه المقـولات في دراستنا الراهنة في إطار ما يتناسب مع المنطلق النظري الرئيسي الذي ننطلق منه والذي أشرنا إليه في موضع سابق.

([1]) عبد ا إبراهيم وسعد الغاشمي وعواد علي، معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الطبعـة الأولـى، الرباط، ١٩٩٠، ص ٦٨.

الفصل الثاني

المقدس والمدنس: من الوعي الروحاني إلى الوعي الديني

مقدمة:

ينطلق هذا الفصل من قضية أساسية مفادها أن الدين والسحر والأسطورة تمثل العناصر الأساسـية لمـا يسـمى بالوعي بما هو مقدس أو مدنس، ولكن لا ينبغي ونحن نسمي ذلك بالوعي أن نغفل العلاقة الوثيقة بينـه وبـين الوجـود الاجتماعي الذي يشكل ويصيغ ملامح هذا الوعي، أو الـذي يعد انعكاسا له. إن ثمة علاقة واشجة بين الوجود والـوعي، تلك التي تفرز مجموعة التصورات حول الإنسان والمجتمـع والعالم، وتشكل تحولاً مما يسمى بالوعي الروحاني إلى مـا يسمى بالوعي الديني.

وفي هذا الصدد ونحن نضع نصب أعينـنـا مسـألة الوعي كقضية أساسية، فإنه يفرض علينا ضرورة أن نمـايز بين صنفين من الوعي، الأول هو مـا نسـميه بالإيمـاني، والآخر هو ما ندعوه بالاجتماعي ـ الأخلاقـي. وحيـث إن الأول يتسم بالعمومية، وقد جاء مع تطـور الإنسـانية مـن التوتم، مرورا بتأليه قوى الآلهة إلى وحـدة الوجـود؛ فـإن الآخر وهو نسبي، فإنه يعد أحد إفرازات الصراع الاجتماعي الذي عرفته التشكيلات الاقتصادية والاجتماعيـة. وبغـض

النظر عن طبيعة هذا التقسيم الذي تفرضه الطبيعة التحليليـة لهم بنية الوعي الديني، فإننا هنا سوف ندرس هذا الوعي في مجمله، أي بمكوناته الإيمانية والاجتماعية ـ الأخلاقية فـي آن، حيث إن الفصل بينما يحمل خطئًا منهجيـا وتاريخيـا، ناهينا عن أن هذا الوعي فرض تشكيل المجتمعات الإنسانية بدرجات متفاوتة في عملية التطور.

وأحرى بنا أن نسجل هنا، أن دراسة بنيـة الـوعي الديني في كليته، دائما ما يكشف عن وجود صراع حـرور بين فريقين، فريق يؤمن وآخر يجحد. وأن هذا الصراع من الأخير يأتي لكون الدين حقيقة غير فيزيائية وتحتـاج إلـى برهان مادي.

وأننا في هذا السبيل نرى أنه إذا كان الدين في حاجة إلى إبانات فيزيائية لكان الدين طرف في العلوم الطبيعية التي عجزت عن الوقوف على معنى وطبيعة الإيمان بالغيبيات.

إن الإبانات الدينية مـا هـي إلا تعبيـرات نفسـية وتفسيرات عقلية تعلو من عالم الصور، وتستند إلى أسـاس

عاطفي لا يستطيع الوعي إدراكها [1] وبغض النظـر عـن الصراع الدائم بين المـؤمنين والجاحـدين لوجـود الـدين وطبيعته، وكذا حقيقة الألوهية، فـإن الـدين منـذ بـواكير الإنسانية يشكل اعتقادا فطريا يتخارج مع فكرة صنع الإنسان له. لقد حمل الدين نفحات إلهية غير منظـورة، وإنـه فـي وجوده يعبر عن حياة دينية جمعية وتفكيرا عقلانيا تدرج من الأفكار الغيبية بسيطة التجريد إلى فكرة الإيمـان بـالمطلق اللامتناهي. إن ما سبق يمثل مجمل الاتجاهات النظرية التي تناولت الدين، التي لو حصرناها لجاءت وفق اتجاهين، الأول فطري، والآخر تطوري، لقد ذهب الاتجـاه الأول إلـى أن فكرة الدين أو الألوهية جاءت في وقت تكوين الإنسان لذهنه متأملاً ظواهر الكون، أما الرؤية الأخرى - أقصد التطورية - فإنها كانت محاذية لتطور المجتمعات الإنسانية الذي انتقل فيها من عبارة الطبيعة، مرورا بتعبد الآلهة، إلى سيادة فكرة الإله الواحد [2].

---

(١) ك. ج يونج، الآلهة اليهودية: بحث في العلاقة بين الدين وعلم النفس، ترجمة نهاد خياط، دار الحوار، الطبعة الأولى، اللاذقية، ١٩٨٦، ص ص ٥ - ٧

(٢) علي سامي النشار، نشأة الدين..، مرجع سابق، ص ٢٨.

أولاً: في الرؤى النظرية حول الدين:

إطلالة سريعة

يحظى الدين بمكانة متعاظمة لدى أغلب المجتمعات الإنسانية بوجه عام، وفي المجتمعات البدائية والمتخلفة بوجه خاص. وعلى الرغم من المكانة التي يشغلها الدين، إلا أنه يغلف ذاته بنوع من التقديس والتحريم، إذ يعتبر شيئًا خارج التفكير والبحث. إن عدم التعامل الموضوعي والصريح مع الدين جعل التفكير فيه يقترن بالأساطير والخرافة. فالمستقرئ لتاريخ الحضارات الإنسانية وبواكير التجمعات الإنسانية يستدل على أن الدين جاء مقرونًا بالأساطير حينًا، وملتبسا بالوعي الخرافي حينًا آخر، وهو يجعلنا نرى أن الدين والأسطورة، وكذا السحر، شكلوا الوعي الإنساني منذ أن وطأت قدماه الأرض حتى الآن، برغم شيوع التفكير العلمي، لقد لعب الدين دورا هاما في صياغة الوعي الإنساني، ومن ثم بات قوة مؤثرة في البناء الفكري للمجتمعات الإنسانية وفي رؤية العالم، أي أنه أضحى جزء

لا يتجزأ من الفكر والممارسة الاجتماعية، وإطـارا للعقيـدة والأخلاق وحتى التشريع. [1].

وأحرى بنا أن نسجل قبل أن نتعرض للرؤى النظرية التي اهتمت بسبر أطوار الأديان ووقوفًا على طبيعة نشـأتها وتطورها، أننا نركز هنا وحسب البنية الأساسية والجوهريـة (بنية الحد الأدنى) لظاهرة الدين، أي أننا نركز وحسب على الحدود الدنيا في المقصد الديني، ذلك الذي يـرتبط بالسـحر والطقوس وما تفرزه من معنى ودلالة ورموز. إنه بقول آخر أننا هنا حينما نشدد على بنية الحد الأدنى لما لها من شأن في صياغة التطورات الدينية ورؤى العـالم التـي تمثـل لـب الظاهرة الدينية، فإننا سوف نبدير ظهورنـا لقضـايا الـدين وبواعثه ومعانيه وموقفنا منه. وقبل أن نتوجه إلـى تحقيـق هدفنا، ونتقصى بنية الحد الأدنى للدين، فإننا نـود أن نشـير إلى أن ثمة افتراضا مبدئيا فحـواه، أن المعتقـدات الدينيـة (وفيها ما يتعلق بالخطاب السحري وطقوسه) تعود إلى قواسم

[1] أحمد فاضل (مقدمة الترجمة)، توكاريف، الأديان في تاريخ شعوب العالم، الأهالي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سـوريا، ١٩٩٨، ص ٥.

مشتركة بين الأديان في جملتهـا، تمثـل العناصـر الثابتـة والأفكار الأولية التي التقت حولها الذهنية البشرية، وشـكلت في النهاية المعتقد الديني. تلك التي ذهب الباحثين إلى سـبر غورها من خلال ثلاث طرق، أولها تهتم بالبحث في طبيعـة الموضوع، وتأتي الطريقة الثانية للبحث في كيفية النشأة، أما الأخيرة فإنها توضح معناه وأهميتـه ودوره. ولمـا كانـت المرحلتان الأولى والثانية ذات طابع نظري وعملـي، فـإن المرحلة الثالثة تأخذ طابعا قيميا وأخلاقيا وفلسفيا، وحيث إن المنهج الفينوفيولوجي تقف حدوده عند المـرحلتين الأولـى والثانية، فإن ثمة منهج آخر يفرض ذاته، لتحقيـق طبيعـة المرحلة الثالثة، إنه وحسب المنهج المقارن الـذي يسـتبعد التجربة الاستنباطية من دائرة اهتمامه ويستند إلى أن الكـل هو الذي يفسر الجزء، ومن ثم يصدر الأحكام اسـتنادا إلـى معايير وقوالب فكرية معينة [1].

وحيث إن المرحلة الثالثة تهتم بوصف أصل الـدين والوقوف على بواعث التدين، من خلال أطر نظرية محددة، وهو مما نسعى إليه في هذا الفصل الراهن، فإن ذلك يفرض

---

(1) فراس السواح، دين الإنسان..، مرجع سابق، ص ١٠٩.

علينا الإشارة إلى المدارس الفكرية المتباينة التـي اهتمـت بذلك. والمطلع على هذه المـدارس الفكريـة أو النظريـات يستطيع للوهلة الأولى أن يقوم بتبويبها إلى نوعين، الأولـى منطقية أو عقلانية، والأخرى ذات أصل عـاطفي أو غيـر عقلاني. وعلى الرغم من تباين منطلقـات ومسـلمات كـلا الاتجاهين، إلا أنهما يسلمان معا بأن الدين لا يـأتي إلا مـن خلال وهم صاغه خيال البشر أو عواطفهم عبر التاريخ، وأن حقائق الدين تجافي عالم الحقيقة [1].

وبالنظر إلى ما يسمى بالاتجـاه العقلانـي يمكننـا الإشارة إلى النظرية الأرواحية التي تطرح نفسها بقوة كمعبر حقيقي عنه في تفسيرها للدين. وفي ذلـك يـرى مبـدعها ومنشئها "هربرت سبنسر".. أن البشرية قد مرت في مراحلها الأولى بزمن لم تعرف خلاله الدين، ثم بدأ الـدين بـالتكون عندما أخذت الجماعات البشرية بتقديسـها أرواح زعمائهـا الراحلين، وتحولت أرواح هؤلاء الأسلاف المبجلين تدريجيا إلى آلهة، فتمركز الدين حولها،.. وابتدأ بها..".

---

(1) المرجع نفسه، ص، ص ٣١٣ ـ ٣١٤ وحول نفس الفكرة الأدبية، الطبقة السادسة، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٢.

وعلى نفس نهج سبنسر يأتي تيلور ليطور فكرته من الأرواحية، إذ يربط فيها بين فكرة الروح وتطـور مفهـوم الآلهة ونشوء الدين. إنه رأى أن الدين هـو الاعتقـاد فـي موجودات روحانية، وأنه جاء نتيجة التأمل فـي العمليـات النفسية للإنسان، أو بقول آخر، أنه نشأ في تفسيره الخـاص وفق مجموعة من المفاهيم الذهنية التي تكونت مـن خـلال التفكير والتأمل [1]. لقد آمن بوجود كينونـة غيـر مفهومـة أو محسوسة، وأن هذه الكينونة تتمثل فـي وجـود الأرواح والأشباح والعفاريت، التي مهدت الطريـق لظهـور الفكـر الديني. [2].

الواقع أن نظرية الأرواحية ليست هي الوحيدة فـي إطار الاتجاه العقلاني، إذ يدخل في أضمومتها مـا يسـمي بالنظرية الطبيعية، التي ركزت على الأديان الكبرى. وفـي هذا الصدد كـون Kuhn ١٨٥٩، وبريـل Breal ١٨٦٣، وماكس موللر Muller ١٨٧٨. وبالنظر إلى الأخير الـذي يظهر الموقف العقلاني بشدة في اهتمامه بالدين، فإننا نجد أن

(١) فراس السواح، دين الإنسان..، مرجع سابق، ص ٣١٤.

(٢) محمد، الإنسان...، مرجع سابق، ص ٥٥٨.

الاعتقاد الديني لديه لم يأتِ وفق تصورات مسبقة، وإنما في أشكالها الأولى جاءت نتيجة استثارة من عالم الطبيعة. وفي ذلك يقول: "... إن حركة الأجرام السماوية وتعاقب الفصول ودورة الحياة، والروع الذي أثارته، هو الذي أنتج فكرة المجهول في ذهنه مقابل فكرة المعلوم واللانهائي، في مقابل المحدود. وهذا ما أعطى النبضات الأولى للأفكار الدينية ومفرداتها اللغوية. فلدى تفكره في مشاهد الطبيعة، لن يملك الإنسان إلا أن يمتلئ بفكرة الاتساع اللامتناهي... ".

وحسبما يذكر مولر في التطور السابق، فإن الصدام وقع بين الإنسان والطبيعة منذ البداية، لم يقدم إلا الإحساس الديني في وضعه العام، حيث الشعور باللامتناهي، أما الدين بالشكل المنظم فلم يأتِ إلا حينما تحولت الطبيعة من الحالة المجردة في الذهن، إلى حالة الفعل، وذلك لكونها كائنات روحية تعيش وتفكر وتؤثر من الخارج. إن الدين الحقيقي ما هو إلا أفكار وممارسات تدور حول شخصيات خارقة تمثل عالم الإعجاز [1].

---

(1) فراس السواح، دين الإنسان.. المرجع السابق، ص ٣١٥.

إن المتأمل فيما سبق يجـد أن أصـحاب المدرسـة الطبيعية قد وجهت سهام نقدها للمدرسة الأرواحية التي تؤمن بأن الدين جاء على أساس من التهويمات التـي تتخـذ مـن الأحلام والأرواح منطلقًا وعوضا عن ذلك فسرت نشأة الدين وفق الخبرة المحسوسة، وهو مـا لا يختلـف البتـة عـن الأرواحية من حيث النتيجة. لقد اختصرت فقط الـدين إلـى مجموعة من التهيؤات القائمة على المجاز، وهو ما يعني أن المدرستين الأرواحية والطبيعية حاولا إرجاع الدين في نشأته إلى موقف عقلاني فكري فرضه الوجود والواقع القائم [1].

وإذا ما تحولنا هنا إلى القسم الآخر مـن المـدارس والمضاد إلى المدرسة السـابقة، وهـي مـا نطلـق عليـه الاتجاهات العاطفية أو اللاعقلانية، فإننا نجدها تسـلم بـأن وجود الدين يرجع إلى نـوعين مـن العاطفـة، الأول هـو الخوف، والثاني هو الطمع. وحيث إن الإنسان يخـاف مـن الموت ويطمع في الاستمرارية والخلود، فإن هاتين العاطفتين أي الخوف من الموت والطمع في الخلود، تشيران إلـى أن الإنسان في إيمانه وخضوعه للإله، سوف يضمن الخـلاص

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣١٧.

الدنيوي والبقاء الأبدي. ولعل أبرز مثال على ذلك ما كـان سائدا في المعتقد الاسترالي لتناسخ الأرواح والقبائل النيتونية الشمالية التي آمنت بوجود الروح الفردية التي تعـيش فـي الجسد، والتي سوف تخلد بعد فناء صاحبها، وما كان سـائدا في الحضارات الفرعونية والسومرية والبابلية [*].

والمتأمل في العرض السريع لأهم أفكار الاتجاهـات التفسيرية العاطفية حول الدين، فإننا يمكن أن نلاحـظ عـدم اهتمامهم بمسألة نشأة الـدين، وتبريـر وجـود الأديـان إذا وضعوا نصب أعينهم هدف واحد ووحيـد يتمثـل فـي أن المعتقد الديني لم يكن لديهم إلا باعثًا من بواعث وجود ونشأة الدين. أو قل إن هذا الاتجاه حاول تفسير الدين فـي ضـوء نظام معرفي آخر. يتوكأ على المقولات السيكولوجية [1].

ولما كان ما طرحته التوجهات النظرية السابقة يعـد انتقاصا واضحا، حيث غاب عنها المقصود الديني ومكانتـه

(*) حول المعتقد الوثني والخضوع للآلهة في مصر القديمـة راجـع: واليس بدج، السحر في مصر القديمة، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمن، دار سنية ودار الانتشار العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ٣٩.

(1) المرجع السابق، ص ٣٢٦.

أو وضعيته في إطار حده الأدنى، فإننا سوف نحـاول فـي إطار السطور التالية توضيح كيف انتقل الدين منذ نشأته من المدنس إلى المقدس.

ثانيا: وضعية الدين:

في المفهوم

إذا كان أرسطو قد ذكر في يوم من الأيام أن الإنسان هو حيوان ناطق، فإنه يمكن أن نضيف هنا بأنه أيضا حيوان ديني، خاصة وأنه بعد أن خاض معركته لاستئناس الطبيعة، ظهرت لديه البوادر الاعتقادية التي من خلالها طور فكرتـه حول وجود إله أو مجموعة من الآلهة التي يركن إليها مسألة تسيير أمور الكون. لقد كان الدين والاعتقاد في وجود الآلهة محايثًا لوجود الإنسان في هذا الكون، الأمر الـذي يجعلنـا نذهب بأن الدين كان سمة متأصلة في الفكر الإنسـاني منـذ بدايته. لقد وقف الإنسان منذ بواكير وجوده مشـدوها أمـام ظواهر الطبيعة وغوائل الكون، إذ راح يعمل علـى حمايـة ذاته مما كان يحف به من أمور كانت تقضي بهلاكه. إن هذا الفعل الإنساني أدى بالإنسان إلى الوصول إلـى مكونـات

الغوامض التي كانت تواجهه وتتربص به، ومن ثم مكنه إلى الانتقال إلى مرحلة استرضائها وكف أذاها عنه، لتكون معه لا عليه.

إنه منذ ذلك الحين، وقد ولـدت الكهانـة والـدين، وتأسس السحر. لقد كان فعل الإنسان في الأزمـان الغـابرة الأولى لتأمين ذاته، إشارة البدء في التدبر في الكون تـارة، ونزوعه إلى تأمين بقائه وإشباع احتياجاته تارة أخـرى، إن التوءمة بين الدين والسحر من حيث النشأة لا يعنـي أنهمـا صنوان، وإنما كان كل منهما يناهض الآخر. إذ كـان الأول يعبر عن تواضع، بينما الآخر يعبر عن الغرور الإنساني [1].

وبعيدا عن الدخول في عرض نظريات السحر التـي عرضنا لها في الفصل الفائت، فإننا هنا سوف فقـط نركـز على الدين. لقد حظي الدين بتعريفات متعددة. فعلـى سـبيل المثال يرى "هربرت سبنسر".. إن الدين هو تفكر في كل ما يتأتى على العقل العلمي والتفكير الواضح.. إن الأديان على قدر اختلافها في عقائدها المعلنة تتفق ضمنيا في إيمانها بأن وجود الكون هو سر يتطلب التفسير، ولذا فإن الـدين هـو

---

(1) شفيق مقار، السحر في التوراة.. " مرجع سابق، ص ٢١.

الاعتقاد بالحضور الفائق لشـيء غـامض وعصـي علـى الفهم.." وفي إطار المعنى ذاته يرى مـاكس مـوللر.. أن الدين هو كدح من أجل تصور ما لا يمكن تصوره، وقول ما لا يمكن التعبير عنه.. إنه توق إلى اللانهائي..."

وإذا كان التعريفان السابقان لكل من سبنسر ومـوللر يركزان على فكرة فوق الطبيعي Super Natural، فهنـاك تعريف آخر يركز على فكرة الألوهية، وهو مـا قدمـه م. رافيل M. Revile، في مقدمة كتابه عـن تـاريخ الأديـان والذي يذكر فيه: ".. أن الدين هو اشتراط الحيـاة الإنسـانية بإحساس الاتصال بين العقل الإنساني وعقل خفـي يـتحكم بالكون، وما ينجم عن ذلك من شـعور بالغبطـة.." وعلـى الهدي نفسه، وبالتركيز على الألوهية، يرى شيرماخر Steer Matcher أن الدين هو شعور بالنهائي واختبار لـه.. ومـا يعنيه باللانهائي هنا، هو وحدة وتكامل المدرك. تلك التي لا تواجه الحواس كموضوع وإنما تنبئ عن المشاعر الداخليـة لذاتها، التي حينما تفرزها هذه المشاعر إلى حيز التـأملات، فإنها تكون في الذهن فكرة ا . إن الخيال الفردي هو الـذي

يسير بفكرة ا ، أما نحو المفارقة والتوحيد، أو نحـو نـوع غير مشخص للألوهية يتسم بوحدة الوجود [1].

إن المتأمل في التعريفات السابقة يستطيع أن يسـتدل من الوهلة الأولى أنها تحاول أن تحصر ديانات بعينها فـي داخله، أو أنها تنسحب على نوع معـين مـن الـديانات، إذ تخرج منها ديانات أخرى، تلك التي تؤمن بوجـود كائنـات روحية مثل أرواح الموتى وأرواح الطبيعة. والواقع أن ذلك دفع "تيلور" إلى وضع مفهوم فضفاضا، حيث استبدل مفهـوم الآلهة، بمفهوم الكائنات الروحية، وفي ذلـك يقـول: ".. إن المتطلب الأول في الدراسة المنهجية لديانات الشعوب البدائية هو وضع تعريف بدائي للدين. ذلك أن التوكيد على الإيمـان بكائن أعلى، من شأنه أن يخرج المعتقدات البدائية من دائرة الدين.. لأن مثل هذا الإيمان هو مرحلة متطورة من مراحل الحياة الدينية.. ومن هنا فإن الأفضل أن نضع حدا لتعريـف يقتصر على الإيمان بكائنات روحية.."

إن إصرار "تيلور" علـى حـذف الآلهـة وإحـلال الكائنات الروحية بدلاً منها، جعله يرى أنها كائنات واعية لها

---

(1) فراس السواح، دين الإنسان..، مرجع سابق، ص ٢٤.

من القدرة والخصائص التي تفوق مثيلاتها لدى الإنسان. إن اتساع مفهوم "تيلور" جعله يضم بجانـب الآلهـة والأرواح المختلفة والعفاريت والجان التي افترض الإنسان البدائي أنها تزاحمه وتتداخل في عالمه بشكل مؤثر، وهو مـا يعنـي أن هذه الكائنات بها من الوعي والإدارة والتأثير، الأمـر الـذي دفعه إما لاسترضائها أو استمالتها أو تدجينها، عـن طريـق القرابين أو استخدام كلمات قدرة معينة.

وإذا كان تعريـف "تيلـور" يعـد مـن التعريفـات الفضفاضة أو الواسعة، فإنه في الوقت عينه لـم يكـن مـن التعريفات الجامعة المانعة، ذلك ما دعى "فريزر" في كتابـه المعنون بالغصن الذهبي أن يقدم تعريفًا مكملاً له، إذ يقـول: ".. إن صياغة تعريفًا واحدا من شأنه إرضـاء كـل الآراء المتصارعة حول الدين، هو أمر غير ممكن التحقيق.. مـن هنا فإن كل ما يستطيعه الباحث هو أن يحدد بدقة ما يعنيـه بكلمة الدين، ثم يعمل على استخدام هذه الكلمة عبـر مؤلفـه بالمعنى الذي حدده لها منذ البادية.. وعليه، فإننا نفهم الـدين على أنه عملية استرضاء وطلب عـون قـوى أعلـى مـن الإنسان، يعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية.. وهـذه

العملية تنطوي على عنصرين، واحد نظري والآخر تطبيقي عملي.. فهناك أولاً الاعتقاد بقوى عليـا، يتلـوه محـاولات لاسترضاء هذه القوى. ولا يصح الدين بغير تـوفر هـذين العنصرين، ذلك أن الاعتقاد الذي لا تتلوه ممارسة هو مجرد لاهوت فكري، أما الممارسة المجردة عن أي اعتقاد فليسـت من الدين في شيء... "[1].

وإزاء هذا التعريف السابق قدم "دور كايم" نقدا عنيفًا لما قدمه "فريزر" لأنه رأى أن هذا التعريف يحجـم الـدين، ويظهر الممارسات التي بمثابة استرضاء لكائنات ما ورائيـة تفوق وتعلو عن الإنسان. إن هذا التحجيم يجعل كثيـرا مـن الديانات لا ينطبق عليها مثل هذا التعريف، تلك التي لا تدير خلدا ولا بالاً وتنهر مسألة الأرواح أو الآلهة، أو أن الكائنات الروحية لا تجد مكانًا فيها، وهذا ما ينطبـق علـى البوذيـة أو التاوية أو الجانية.. إلخ. إن نقـد "دور كـايم" لتعريـف "فريزر" جعله يرى ضرورة وجود تعريف للدين ينطبق على كل الديانات سواء البدائية منها أو المعقدة. ومن وجهة نظره، أنه لكي نصنع مثل هذا التعريف، فإن مـن الضـروري أن

([1]) المرجع السابق، ص، ص ٢٤ ـ ٢٥.

نحدد ما هو مشترك وعام بين الديانات، وأن نقف معانـدين لما هو خاص لدين معين، أو حتى لمجموعة مـن الأديـان، وهو ما يفرض أن نميز بين ما هو مقدس وما هـو مـدنس (دنيوي) [1]، لذا نجد أن "دور كايم" في إطار هـذا التمييـز يصيغ التعريف التالي: "... الدين هـو نظـام متسـق مـن المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسـة يجري تحريمها عن الوسط الدنيوي، وتحاط بشـتى أنـواع التحريم، وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كـل المـؤمنين والعاملين بها في جماعة معنوية واحدة.." [2]. إن دور كـايم وفق تعريفه السابق لم يشأ أن يحصر الموضوعات المقدسـة في الغيبيات، ولكنه قد مثّل هذه الموضوعات لكي تضم بـين جنباتها الأشياء المادية والمعنوية معا، الأمر الذي حدا به أن ينبه على ضرورة الفصل بين ما هو مقدس وما هو مـدنس في معتقدات وممارسات الجماعة.

ولكي نضع خطوط فاصلة بين ما هو مقدس وما هو مدنس، يمكن استدعاء قول "مرسيا إلياد" الذي يـذهب إلـى:

---

(1) دوجلاس، الطهر والخطر.. ، مرجع سابق، ص ٤٠.

(2) فراس السواح، المرجع السابق، ص ٢٧.

"... أن القدسي دائما كحقيقة من صعيد آخر غيـر صـعيد الحقائق الطبيعية.. ويعلم الإنسان بالقدسي لأنه يتجلى، يظهر نفسه شيئًا مختلفًا كل الاختلافات عن الـدنيوي.. إن تـاريخ الأديان من أكثرها بدائية على أكثرها ارتقاء، عبـارة عـن تراكم من تجليات الحقائق القدسـية.. لـيس ثمـة انقطـاع لاستمرار ظهور الآلهة، بدءا من تجلي القدسي فـي شـيء، كحجر أو سحر، وانتماء بالتجلي الأعلى الذي يمثـل لـدى المسيحي تجلي ا في يسوع المسيح، إنه الفعل الخفي نفسه.. تجلي شيء مختلف تماما، أي حقيقة لا تنسب إلى عالمنا في أشـياء تشـكل جـزءا لا يتجـزأ مـن عالمنـا الطبيعـي والدنيوي.."[1].

وإذا كنا ما زلنا بصدد تعريف الدين، فلا ينبغـي أن ندير ظهورنا إلى تعريف "رودولاف أوتـو" الـذي يـرى أن الوعي بالقدسي هي حالة انفعالية غير عقليـة أوليـة تمثـل الأساس أو البذرة الأولى للدين، ذلك الذي فقد معناه الأولي، وتحول إلى مجموعة من التشريعات الأخلاقية والسلوكية، لقد

---

(1) مرسيا إلياد، المقدس والمدنس، مرجـع سـابق، ص، ص ١٦ ـ ١٧.

كانت الحالة الأولى نوعا من مجابهة قوى غريبة عن العـالم المعاش، أعطت معنى موحشًا ومخيفًا وانجذابيا في الوقـت عينه، مما أفضى في النهاية إلى صياغة معنى الألوهية التي تمثل حالة أولى للوعي. إن "أوتو" في هذا الشرح يضع الحد الأدنى للبنية الدينية ذلك الذي كان يمثل جزءا لا ينفصم عراه عن الطبيعة الإنسانية الأولى، التـي تبـدلت مـع الـزمن (التغييرات الظاهرية للدين) وباتت شيئًا ثابتًا، أو قـل إنهـا أصبحت حديدا مسلحا [1].

وعلى عكس التعريفات التي قدمنا لها قبل قليل، فإن "فرويد" يرى أن الدين تخلّق من خلال عدم قـدرة الإنسـان على مواجهة قوة الطبيعة في الخارج، والقوى الغريزية فـي داخل نفسه... وهذه العملية هي ما يطلق عليها اسم الـوهم.. ثم يضيف، إن الدين خطر لأنه يميل إلى تقديس مؤسسـات إنسانية سيئة تحالف معها على مر التاريخ.. وفضـلاً عـن ذلك، فإن ما يقوم به الدين من تعليم الإنسان والاعتقـاد فـي وهم. وتحريم الفكر النقدي يجعله مسئولاً عن إصابة العقـل من إغلاق. وعلى غرار الدرب الذي يسير عليـه "فرويـد"،

---

(1) فراس السواح، المرجع السابق، ص ٢٩.

نجد "يونج" يقدم تعريفًا للدين مؤداه، أنه نوعا من السـيطرة من قوة خارجية لتفسير تصور اللاشعور. إنه وفق ذلك يرى "يونج" أن الدين يكون مثل أي مذهب للفكر والعمل تشـترك فيه جماعة ما يعطي للفـرد إطـارا للتوجيـه وموضـوعا للعبادة[1].

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن مـا عرضـناه مـن تعريفات للدين وحده الأدنى (السحر)، والتـي مـن خلالهـا توضحت العلاقة بينهما، لم تكن وحسب هي التعريفات التـي طرحها الفكر الإنساني، إذ هناك تعريفات أخرى بـدءا مـن كونت وفيورباخ ومرورا بنيتشه وحتى ماركس، تؤكد علـى أن الدين هو نوع من النمط البدائي للتفكير، ذلك النمط الذي اخترع الآلهة ليفسر بها كل شيء. إنهم برغم تباين مـواقفهم الأيديولوجية، إلا أنهم يحاولون أن يربطوا الـدين بالأفكـار المتعلقة بالإلهيات، فضلاً عن محاولتهم تحرير الإنسان عـن

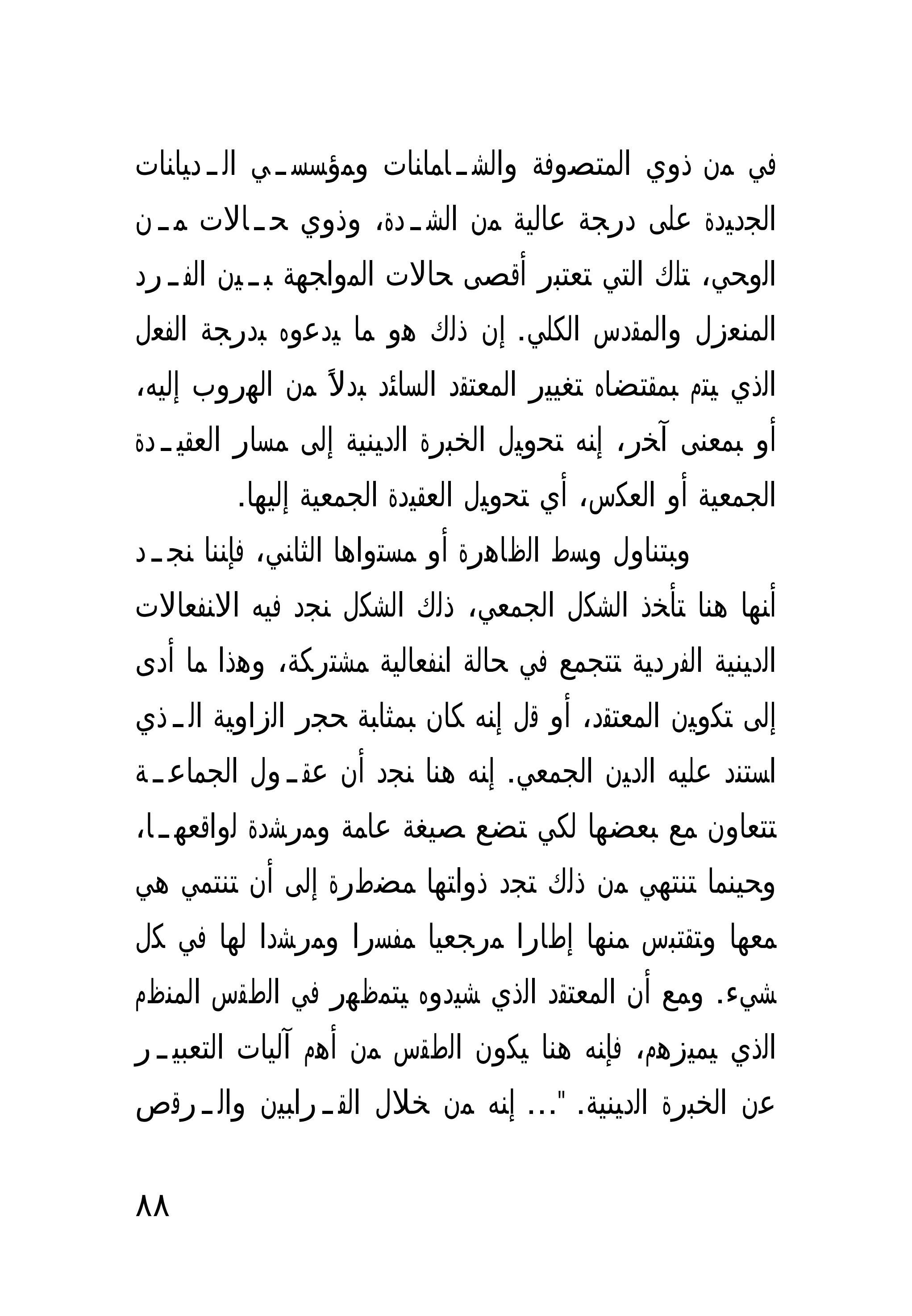
---

(1) أريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ترجمة فـؤاد كامـل، مكتبـة غريب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٤. ص ٣٤.

العالم الغيبي وعن الإله [1]. والمدقق فـي كـل مـن هـذه التعريفات يستطيع أن يستدل على مدى التباين بينهما وهو ما يعود إلـى تبـاين التصـورات والنظريـات الأيديولوجيـة وتركيزها على دراسة الدين وفق محاور ثلاثة رئيسة هـي: الدين الفردي الذي يمكن أن نطلق عليـه بـالحس الـديني أو الخبرة الفردية للدين، والدين الجمعي الـذي يعـد نتاجـا للخبرات الدينية التي مر بها الأفراد، والدين المؤسسي الـذي عرفته المجتمعات المعقدة.

إنه حسب المحاور السابقة، فإننا نكون بصدد تقسـيم للظاهرة الدينية حسب ثلاثة حدود رئيسة هي: الحد الأعلـى والحد الأوسط والحد الأدنى. فبالنظر إلـى قـاع الظـاهرة الدينية، أي إلى الدين الفردي نجد أن الدين في هذه المرحلـة كان يعتمد على الاستبطان أو الإحساس الأولاني المتأصـل في السيكيولوجيا الإنسانية التي قامت على مواجهة حاسـمة مع قوة كاملة متكاملة، أو أنها المقدس الكلي الـذي أدركتـه العقول بطريقة لا عقلانية. إنه في هذه المرحلة يكون الأفراد

([1]) محمد رضا اللواتي، المعرفة والـنفس والألوهيـة، دار السـاقي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٤، ص ٣٤.



في من ذوي المتصوفة والشـامانات ومؤسسـي الـديانات الجديدة على درجة عالية من الشـدة، وذوي حـالات مـن الوحي، تلك التي تعتبر أقصى حالات المواجهة بـين الفـرد المنعزل والمقدس الكلي. إن ذلك هو ما يدعوه بدرجة الفعل الذي يتم بمقتضاه تغيير المعتقد السائد بدلاً من الهروب إليه، أو بمعنى آخر، إنه تحويل الخبرة الدينية إلى مسار العقيـدة الجمعية أو العكس، أي تحويل العقيدة الجمعية إليها.

وبتناول وسط الظاهرة أو مستواها الثاني، فإننا نجـد أنها هنا تأخذ الشكل الجمعي، ذلك الشكل نجد فيه الانفعالات الدينية الفردية تتجمع في حالة انفعالية مشتركة، وهذا ما أدى إلى تكوين المعتقد، أو قل إنه كان بمثابة حجر الزاوية الـذي استند عليه الدين الجمعي. إنه هنا نجد أن عقـول الجماعـة تتعاون مع بعضها لكي تضع صيغة عامة ومرشدة لواقعهـا، وحينما تنتهي من ذلك تجد ذواتها مضطرة إلى أن تنتمي هي معها وتقتبس منها إطارا مرجعيا مفسرا ومرشدا لها في كل شيء. ومع أن المعتقد الذي شيدوه يتمظهر في الطقس المنظم الذي يميزهم، فإنه هنا يكون الطقس من أهم آليات التعبيـر عن الخبرة الدينية. "... إنه من خلال القـرابين والـرقص

والحركات الدرامية التي تؤدي وفق سيناريوهات ثابتة، تعمل الجماعة على دمج الاسـتجابات الانفعاليـة المتفرقـة فـي استجابات ذات طابع مؤسسي عام، ترسم موقـف الجماعـة الخاص من المقدس الذي تستشعر حضوره الشامل في النفس والطبيعة.. " إنه مع المعتقد بهذا الشكل تأتي الأسطورة، تلك التي كان من شأنها أن عملت على تجذير الاعتقاد وإبانتـه. إنه على هذا الصعيد، فإن الدين يؤدي وظيفة نفسية واضحة وهامة، إذ إنه يطرح ـ بطريقة حاسمة ـ كوكبة من الرموز الموظفة في معقد وطقس معينين، ومـن ثـم يعمـل علـى التعويض عن الخبرة الدينية، تلك التي تقـف ضـد قسـوة الطبيعة وغوائلها.

وحيث إننا قد وصلنا إلى الحـد الأعلـى للظـاهرة الدينية، أقصد الدين المؤسس، فإن الدين وفق هذا الصعيد هو بالأساس بنية اجتماعية عرفتها البشرية حـديثًا مـع وجـود الدولة في المجتمعات الإنسانية خاصة في المراحل الانتقالية بين المجتمعات القروية والمجتمعات المدنية الأولى. إننا هنا نرى أن الدين برغم توافقه مع تطور الإنسـان، إلا أن هـذه المرحلة أي ـ الدين المؤسسي ـ لم تكن تعرفه البشرية إلا

مع الحضارة التي عرفت التنظيم ونمو وتطور المؤسساتية في المجتمع المدني الأول، والتي فيها تزامنت التطورات السياسية مع تطور المؤسسة الدينية [1].

وإذا كنا قد تحدثنا فيما سبق عن أشكال الظاهرة الدينية ومستوياتها، وطبيعة كل منها، فإنه يتوجب علينا الإشارة إلى أن الظاهرة الدينية برغم تباينها واختلاف أشكالها، إلا أنها توضح عن وجود بنية موحدة، وأن هذه البنية يتداخل في تكوينها ثلاثة عناصر رئيسية هي: المعتقد والطقس والأسطورة. وبالنظر إلى العنصر الأول - أقصد المعتقد - نجد أنه يقع في مقدمة أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من إطار الانفعال العاطفي إلى التأمل الذهني. فالمعتقد يتألف عادة من مجموعة من الأفكار التي تعمل على إبراز معالم الذهنية لعالم المقدسات، ناهينا عن توضيحها للصلة الواشجة بين الإنسان والمقدس، التي غالبا ما تأتي وفق أشكال تعبيرية مختلفة مثل الصلوات والتراتيل. وبالنسبة للعنصر الثاني وهو الطقس فنجده يمثل مجموعة السلوكيات الاندفاعية التي توضع في

---

(1) فراس السواح، دين الإنسان..، مرجع سابق، ص، ص ٣٠ - ٤٢.

إطار محدد لكي يؤمن بها الجميع، وبذا فإن الطقس إذا كـان قد جاء بمبادرة فردية. فإنه على هذا النمط يكون قـد أخـذ صيغة جمعية من خلال مجموعة القواعد التي تفرض بدقـة على المجموع. إن المعتقد يرسم صـورة ذهنيـة واضـحة للعوالم المقدسة من خلال الطقس ويضع نظاما معينًـا يقـوم بترجمة هذه الصور، ومن ثم يفتح معها قنوات اتصال دائمة. أما عن العنصر الثالث الذي يدخل في مكونات الدين ألا وهو الأسطورة، والذي أوضحنا له بشكل مبسط في موضع سابق، فإننا يمكن القول أنها ترتبط بنظام ديني معين، وتتداخل مـع معتقدات هذا النظام وطقوسه ومؤسساته، وهذا ما نراه جليـا في كل الأديان من بسيطها إلى معقدها، حيث يتداخل الحكي الأسطوري مع القصص الشعبي مع المقدس.

وبيد أننا قد أوضحنا مكونات الظاهرة الدينية وفـق حدودها ومعناها المحدد الذي طرحناه قبل قليل، باعتبارهـا تعبر عن بنية واحدة يتداخل في عناصرها المعتقد والطقـس والأسطورة التي تعبر عن الخبرة الدينية سواء فـي شـكلها الفردي أو الجمعي، فإنه ينبغي لنا البحث عن موقع السـحر في الأديان، ذلك الذي سوف يضع إجابة قاطعة عـن مـدى



اقتران السحر بالقوى الغيبية التي تصنع وتصـيغ وسـائطه المادية والروحية معا.

ثالثًا: موقع السحر في الأديان: (*)

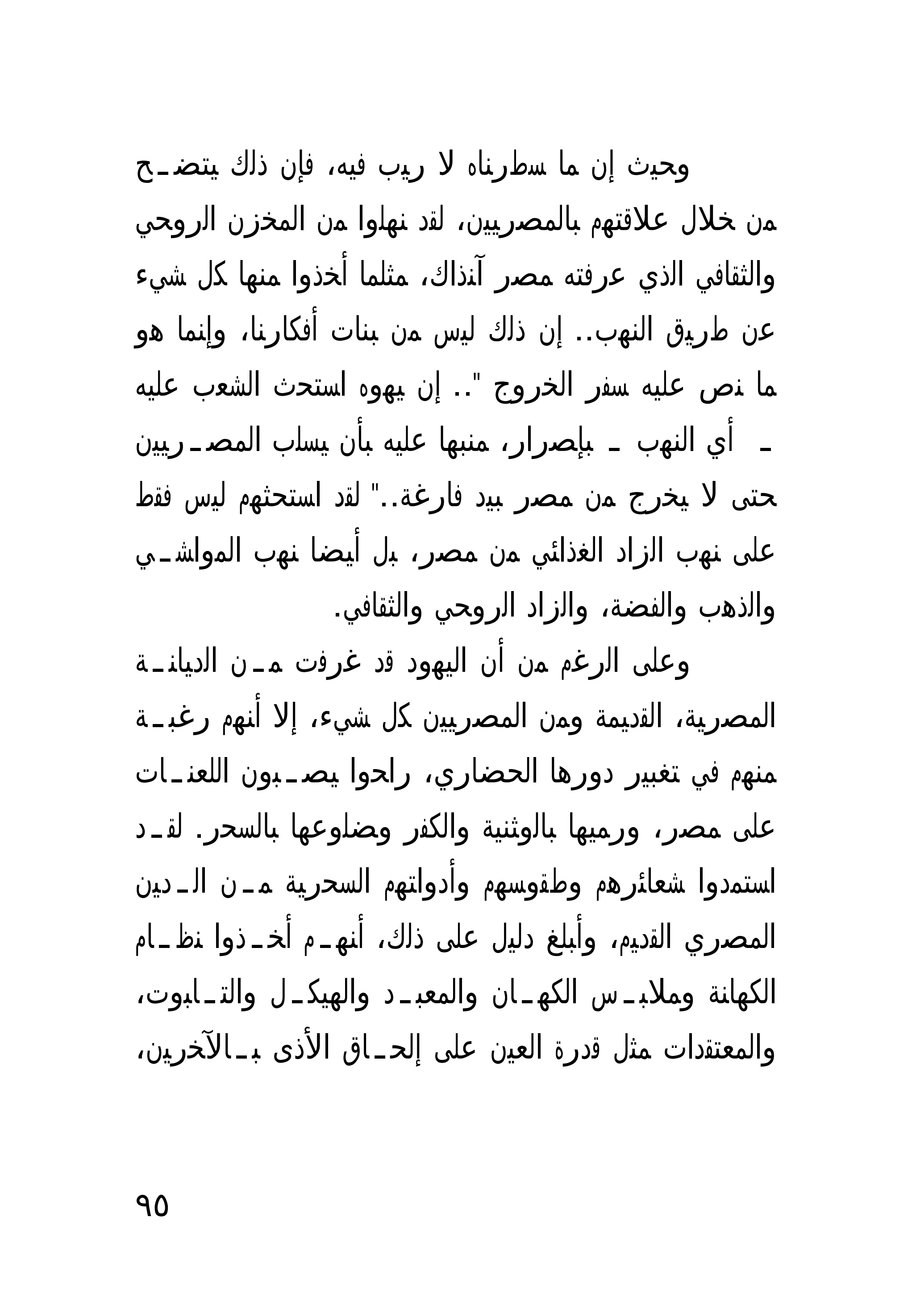
اليهودية والمسيحية والإسلام

(*) إننا نركز وحسب على الأديان الثلاثة وموقفها من السحر، على أن يتخارج عن اهتمامنا بالعقائد الأخرى التي نسميها بالديانات الأرضية، وحولها يمكن الرجوع إلى:

- جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، عـالم المعرفة، العدد ١٩٩، الكويت، ١٩٩٥
- ريتشارد ويلهام و ك. ج يونج، القوى الروحيـة وعلـم الـنفس التحليلي، دار الحوار، الطبعة الأولى، اللاذقية ١٩٨٨.
- د. ت سوزوكي، التصوف البوذي والتحليل النفسي، ترجمـة ثائر ديب، دار الحوار، الطبعة الأولى، اللاذقية، ١٩٩٦.
- ل ك تبوا، المذهب الباطني في ديانات العالم، ترجمـة نهـاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٨.
- مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية (ثلاثة أجزاء) دار دمشق، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٧.
- Laotzu, Tao Te ching, penguin, London ١٩٧٨
- Zaehner p. c. Hinduism, oxford. London. ١٩٨٤
- Wart a., the Way of zen. Penguin, London.١٩٦٥

١ ـ السحر في اليهودية:

تحدثنا العلوم الإنسانية أن المجتمعات الإنسانية إبـان تطورها التاريخي حاولت أن تخلع على الفكـر الأسـطوري نوعا من القداسة، الأمر الذي دفعها إلى تفعيله كنـوع مـن الشعائر أو الطقوس، أو بحسبانها رؤية للعـالم، أو صـياغة معينة تضمن له الأمان والبقاء وإشباع احتياجاته. والواقع أن ذلك لم يكن وجوده بغير فاعل. إذ كان الكهنة هم الفـاعلون لذلك. وإذا كان ما سبق ينسحب بشكل عام على المجتمعـات الإنسانية، فإنه بشكل أخص ينطبق على الديانة اليهودية التي لعب فيها الكهنة دورا رئيسيا، حيث ألفوا بنوع من الاقتباس من أساطير الشعوب الأخرى محورين محددين (بما في ذلك من تحوير وإدماج واستبعاد وإعادة إنتـاج) عقيـدة تتسـم بالخصوصية. لقد لعب الكهان دورا متمـايزا فـي صـياغة العقيدة اليهودية، كما كان لهم نفس الدور والوظيفة في مصر القديمة. لقد لعبوا دورا واضحا في صياغة مفهوم الألوهيـة، وكيف أن الإله يندرج من كونه حاكما إلى اعتباره إله كوني يحكم ويعلم بكل شيء في الأرض والسماء.



وحيث إن ما سطرناه لا ريب فيه، فإن ذلك يتضح من خلال علاقتهم بالمصريين، لقد نهلوا من المخزن الروحي والثقافي الذي عرفته مصر آنذاك، مثلما أخذوا منها كل شيء عن طريق النهب.. إن ذلك ليس من بنات أفكارنا، وإنما هو ما نص عليه سفر الخروج ".. إن يهوه استحث الشعب عليه ـ أي النهب ـ بإصرار، منبها عليه بأن يسلب المصريين حتى لا يخرج من مصر بيد فارغة.." لقد استحثهم ليس فقط على نهب الزاد الغذائي من مصر، بل أيضا نهب المواشي والذهب والفضة، والزاد الروحي والثقافي.

وعلى الرغم من أن اليهود قد غرفت من الديانة المصرية، القديمة ومن المصريين كل شيء، إلا أنهم رغبة منهم في تغيير دورها الحضاري، راحوا يصبون اللعنات على مصر، ورميها بالوثنية والكفر وضلوعها بالسحر. لقد استمدوا شعائرهم وطقوسهم وأدواتهم السحرية من الدين المصري القديم، وأبلغ دليل على ذلك، أنهم أخذوا نظام الكهانة وملابس الكهان والمعبد والهيكل والتابوت، والمعتقدات مثل قدرة العين على إلحاق الأذى بالآخرين،

والتعاويذ والتمائم والأحجبة [1]. ولا ريب أن استيطان بني إسرائيل في مصر قد جعلهم ينهلون من تراثها وعقيدتها، كما سبق أن أوضحنا قبل قليل، ويفسر ذلك العناصر الدينية والطقوسية في الناموس الموسوي، فما ديانة موسى عليه السلام إلا تكرار يروى لديانة التوحيد لأخناتون، وليس أدل على ذلك من تشابه التراتيل والحكمة والأخلاق في الفكر اليهودي، الذي لو استبعدنا منه التراث المصري لكان شيئًا غير مفهوم [2].

وبغض النظر عما سبق، فإن ما نود أن نشدد عليه، أن ثمة ترابطًا بين الدين والسحر في هذا الصدد، وفي ذلك يقول "واليس يدج" عن علاقة الدين بالسحر في مصر القديمة:

".. إن الإيمان بالسحر هو أقدم في مصر من الإيمان بالإله.. وإن لمن المؤكد أن عددا كبيرا من الطقوس الدينية

---

(1) عمر صبحي عبد الحي، الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم: بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٣٥.

(2) شفيق مقار، السحر في التوراة..، مرجع سابق، ص ٢٩.

التي كانت تؤدى كجزء من العبـادات الروحيـة السـامية، تضرب بأصولها في المعتقدات والممارسات الخرافية.. ومن المحتمل أن رمز الفأس الذي يستخدم في الكتابة الهيروغليفية للدلالة على اسم ا أو الإله، هو استمرار لنوع من الطقوس السحرية الدينية. لقد تطور الدين والسحر جنبا إلى جنب في مصر القديمة عبر تاريخها، إلى درجة تجعل البحـث فـي أحدهما بالضرورة بحثًا عن الآخر.. " [١].

لقد تعانق الدين بالسـحر عبـر الديانـة المصـرية القديمة، وكان الإيمان بالسحر يعضده معتقد القوة السارية".. إن دراسة الدين في مصر يظهر أن الاعتقاد في السـحر أي بفعالية الكلمات السحرية والتعاويذ والتمائم، كـان مصـحوبا بترديد أسماء القوة لتحقيق النتائج المرجوة، ويشـغل حيـزا واسعا في الديانة المصرية... وأن الاعتقاد في السـحر قـد مارس تأثيره على عقول المصريين منذ بداية تاريخهم وحتى أواخره..". إن ذلك يعني أن القوة السارية في الفكر المصري كانت أسبق على الآلة المشخصة. لقد كان الكاهن المتمـرس

---

(١) واليس بيدج، السحر في مصر القديمة.. " مرجع سابق، ص، ص ٢٩ ـ ٣٠.

بفنون السحر قادرا على التحكم حتى في الآلهة مـن أجـل إجبارها على التدخل لصالح الناس، فضلاً عن أن ما امتلكـه من قوة كانت بلا حدود، إذ من خلالها يسـتطيع أن يشـفي المرضى ويطرد الأرواح الشريرة من الأجسـام، ويحـول الناس إلى حيوانات ويستطيع إحياء المـوتى ويـتحكم فـي الأمطار والرياح والعواصف [1].

إن كل ما سبق يجعلنا نقر بكل ما اتصف به كهنـة مصر من قدرات ومواصفات في هذا الشأن. وهو ما قلدتـه ونهلته الديانة اليهودية، بل كل الشعوب. ويثني على كل هذا ما ذكره "سونيرون":.. أنه بالتأمل يصلون إلى الاحترام، إلى صفاء النفس، إلى التقوى بالتفكير، بالصلة، وبالاثنين معـا، إلى ممارسة الفنون السحرية الموضوعة في الزمن القـديم.. لقد كانت مصر المهد لكل علم وحكمة.. وعن طريقها تعلمت

---

(1) ـ جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصـرية القديمـة، ترجمة أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـاهرة، ١٩٩٦، ص ٦٢.

ـ فراس السواح، دين الإنسان..، مرجـع سـابق، ص، ص ١٩٥ ـ ١٩٧.

الشعوب علوم الهندسة وعلوم الفلك[٢].. إنها كانت ملتقى كل الديانات والمذاهب الهرطوقية الشهيرة والحركات الروحيـة في بلاد الشرق التي جاءت قبل بداية العصر المسيحي وبعده [١].

ولما كانت الديانات اليهودية قد اقتبست، بل ونهبـت من التراث التوحيدي الذي كان قائما آنذاك في مصر، فإنهـا أيضا استخدمت نفس الميكانزمات المستخدمة فـي التنجـيم والسحر. فعلى سبيل المثال نجدها استخدمت البخور ".. قال الرب لموسى خذ لك أعطارا ميعة وأظفارا وقفة عطر ولبانًا نقيا تكون أجزاء متساوية، فتصنعها بخورا أو عطرا صـنعه العطار، مملحا نقيا مقدسا، وتسحق منه ناعما وتجعـل منـه قدام الشهادة في خيمة الاجتماع، حيث اجتمـع بـك قـدس الأقداس يكون عندكم، والبخور الذي تصنعه بهذه المقـادير لتصنعوا منه لأنفسكم (للاستخدام اليومي العـادي)، يكـون

([١]) سيرج سويزون، الكهان في مصر، ترجمة عيسى طنوس، الأهالي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق١٩٩٤، ص١٨ و٢٥،ص، ص ١٤٧-١٤٩

عندك مقدسا للرب، كل من صنع منه ليشـمه يقطـع مـن شقه..".

لقد استخدم البخور في الشعائر المصرية مـن أجـل التطهر، وهو ما يأتي بعد عملية الاغتسال بالمـاء والمسـح بالزيت المقدس. لقد كان البخور يقوم بوظيفة متممة لعمليـة النظافة، إذا كان يقوم بعملية التطيب، ثم أضيفت له وظـائف أخرى وخاصة فيما يتعلق بوظيفته السحرية التي كانت تتمثل في حفظ أرواح الكهان والمصلين وأماكن العبـادة مـن أن تطأها الأرواح الشـريرة أو الفاسـدة. والحقيقـة أن هنـاك إضافات أخرى لحقت بوظائف باخور، إذ إنها مـن خـلال تطور الشعائر في مصر القديمة، ما لبـث أن التصـق بهـا طبيعة مقدسة، إذا قالو عنه أنه ".... عبق الإله الذي يفـوح في الأماكن المقدسة.." أو باعتباره أهم آليات الاتصال بالآلهة في الصلوات والمعابد، حيث يقوم بنقل كلمات القـدرة التـي يقوم بترديدها الكهان، وتوصيلها إلى مسامع الإله، فيقوم على الفور بتلبية طلباتهم [1].

([1]) شفيق مقار، السحر في التوراة، مرجع سـابق، ص، ص ١١٦ - ١١٧

ويرى "مقار" وصلاً بما سبق، اليهود لم يتوصلوا إلى البخور إلا عن طريق موسى عليه السلام، الذي يعتبره حبرا متبحرا في الاستخدامات الدينية والسحرية، لكونه كان كاهنًا من كهان المعابد المصرية التي تداول فيها البخور منذ آمـاد بعيدة.. ويدلل على ذلك بما جاء في سـفر الخـروج، ومـا يحكيه يوسف بن مايستاس ".. من أن موسى عليـه السـلام عندما أدخل استخدام البخور في عبادة يهوه وكـان يصـنعه بنفسه... " فضلاً عن أنه لم يفش بسر صنعته إلى أتباعه من اللاويين، وإنما أبقى سره حبيس ذاته، باعتبـاره سـر مـن الأسرار الدينية والسحرية.

وإذا كان موسى عليه السلام قد اقتبس مـن الديانـة المصرية القديمة، طقوسها، فإنه أيضا أخذ منهـا رموزهـا، ويبرز هنا العصا المقدسة أو عصا الإله التـي تعتبـر مـن الرموز الفضلى في الشعائر الدينية المصـرية التـي لعبـت أدوارا متوازية في مجالات السياسة والحرب وكذا السـحر. إن ذلك يتضح بجلاء في معركة "عماليق" التـي تـم نقلهـا بطريقة حرفية من الديانة المصرية القديمة ".. وأتى عماليق وحارت إسرائيل في رفيديم، فقال موسى ليسوع.. سأقف أنا

على رأس التلة وعصا ا في يدي.. ففعل يوشع كما قال له موسى ليحارب عماليق.. أما موسى وهارون وحور فصعدوا على رأس التلة.. وكان إذا رفع موسى يـده بعصـا ا إن إسرائيل يغلب، وإذا خفض يده أن عمـاليق يغلـب.. فلمـا صارت يدا موسى ثقيلتين أخذ هارون وحور حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هارون وحور يديه الواحد من هنـا والآخر من هناك، فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشـمس، فهزم إسرائيل عماليق وقومه بحد السيف، فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكارا في الكتاب ...." [1].

مما سبق يمكن القول أن العصـا المقدسـة تلونـت استخداماتها. لقد كانت لها اسـتخدامات سياسـية وأخـرى سحرية، وهذا ما يوضحه العهد القديم الذي منحها إياه طابعا سحريا مستمرا، وهذا ما يتضح فيما قاله سفر الخروج عـن يهوه "... وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع فيها الآيـات "الخوارق" بعد أن علمه كيف يحولها إلى حية...." [2].

([1]) المرجع السابق، ص، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

([2]) المرجع نفسه، ص ١٢٤.

وحيث إن العصا قد اشـتهرت فـي ذلـك الوقـت باستعمالاتها السياسية والسحرية والدينية، وذلـك باعتبارهـا عصا ا ، فإنها أيضا استخدمت في التناهي مع الثعبان، الذي كان هو الآخر رمزا للقوة والقدرة. ولعل قصة تحول العصا إلى ثعبان أمام سحرة فرعون واحتواء بطنها لكل عصـيهم وخيوطهم وأدواتهم خير دليل على ذلـك.. طـرح هـارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصار ثعبانًا، فدعا فرعـون أيضا الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر بسحرهم آنـذاك، طرح كل واحد عصاه، فصارت العصي ثعابين، ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم.. " [1].

وهناك دليل آخر يدفع بـه سـفر الخـروج ليؤكـد الاستخدام السحري للعصا والكلمات المؤثرة من قبل موسـى عليه السلام وأخيه هارون، خاصة حينما أصاب المصـريين بالبثور والدمامل حينما نثر الهواء ذرات من مـاء الأتـون، وأيضا حينما ضرب بالعصا وتحول ماء البحر إلى دم ومات كل السمك ".. فأخذ موسى وهارون رماد الأتون ووقفا أمام

---

(1) جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة..، مرجـع سـابق، ص ١٨٧.

الفرعون، وذراه موسى نحو السماء، فصار دمامل في الناس وفي البهائم.. ومد هارون يده بعصاه وضرب تراب الأرض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم.. وضـرب المـاء الذي في النهر أمام عيني فرعون، وأمام عيون عبيده فتحول كل الماء.. دما، ومات السمك.." [1].

وإذا كنا هنا نؤكد في هذا الصدد على اسـتخدامات العصا في السحر، فإن هنا أيضا نؤكد على اعتبارهـا مـن (موتيفات) وحدات الدين، التي بها تحولت القـوة مـن يـد الأشخاص إلى يد ا التي ينسب إليه القدرة في هذا التحول. إن تحول الأثر من حركة اليد أو العصا إلى تحقيـق نتيجـة معينة، تعني أن هناك قوة تنسب إلى قدرات الإله الذي يهب المقدس لأفراد بعينهم، يستطيعون من خلالها تحويل الأشياء عن طريق كلمات القدرة أو التعاويذ أو الطلاسم أو التمائم.

لقد كان السحر مجرد تطبيق للدين، أو بحسبانه دين تطبيقي. لقد بات السحر في ذلك الوقت مفتاح النجـاح لمـن يمارسه ويتملك أسراره، ذلك الذي أضفى على السحر طابعا

---

(1) فراس السواح، دين الإنسان، مرجع سابق، ص ١٩٤ + سـيرج، ص ٣٢/ ٣٣.

ميثولوجيا (أسطوريا)، ويعبر عن الوجود الثقافي للجماعـة، مكونًا من مكونات الديانات التي عرفتها الحضارات القديمـة نتيجة لما كان له من نتائج فوق طبيعية. إنه من خلال هـذا الوضع، فقد آمنت هذه الديانات بقدرة الساحر أو الكاهن فـي شفاء الأمراض وطرد الأرواح، وتسخير الرياح والأمطـار والعواصف وجلب الأمراض والمـوت، وإلحـاق الضـرر بالآخرين [1].

لقد استخدم اليهود السحر في كـل شـيء، وظلـوا يمارسونه في كل أمور حياتهم، لـيس فـي زمـن التـوراة وحسب، بل بعد ذلك بكثير [2]. ".. إنهم فوق ذلك فقد آمنـوا أيضا بقدرات الجن وتلونهم، وبرعوا في تحديد أنواع الجـن والملائكة وآمنوا بالأرواح وتجسيدها.."

([1]) شفيق مقار، السحر في التوراة، مرجع سـابق، ص، ص ٣١٣ ـ ٣١٥.

([2]) سيد القمني، الأسطورة والتراث، مرجع سـابق، ص، ص ٣٧ ـ ٤٣. وأيضا محمد الجـوهري، علـم الفلكلـور (الجـزء الأول)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ٢٠٧.

ويقول في ذلك "شفيق مقار": ".. إنهم ظلوا يمارسون السحر بنوعيه، الأبيض والأسود(*). وظلوا يمارسون السحر بالنار، ويجعلون الطيور تتوقف عن الطيـران.. ويقيمـون جلسات لاستحضار الأرواح الخيرة والشـريرة.. ويقيمـون جلسات لاستحلاف الملائكة، ويصنعون التعاويـذ والرقـى. وتخليص المساكن من العمـل..، والإرشـاد عـن الكنـوز المدفونة في مقابر المصريين.. ".

٢ ـ السحر في المسيحية:

تسلم الديانة المسيحية بوجـود عـالم مـن الأرواح الشريرة، التي من شأنها أن تعمل على خداع الناس، وتحاول أن توقعهم في حبائل الممارسة السحرية. وإذا كان هناك من يرى أن هذه الممارسات تدخل في إطار الروحية والإلهيـة، فإن من وجهة نظر الإنجيل تكون عكس ذلك، إذ يعتبرونهـا

(*) يعتبر المصريون القدماء هم أول من عرفوا هذين النـوعين مـن السحر، الذي كان جزءا من الدين، إذ اسـتخدم الأول فـي أغـراض مشروعة من أجل مصلحة الميت أو الحي على السواء، أما الآخر فقـد استعمل في تدبير المكائد القذرة الوصفات الشريرة، حول ذلك راجـع، واليس بدج، السحر في مصر القديمة.. ، ص ٢٠.

من الأمور التي تتخارج عن مسألة الألوهية بحسبانها رجس وممارسة وثنية. وفي ذلك يقول سفر التثنية (١٨: ٩ ـ ١٢) ".. متى دخلت الأرض يعطيك الرب إلهك، لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم، لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنتـه في النار (أي يقدمه ليذبحه)، ولا من يعـرف عرافـه، ولا عائف، ولا متفائل، ولا ساحر، ولا من يرقى برقية، أو مـن يسأل جانًا أو تابعه، أو من يستشير الموتى، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب.. "

إن رفض المسيحية للالتجاء إلى السحر ووسـائطه، يعود إلى دخول مثل هذه الأشياء في بـاب الأمـور التـي تتعارض مع مشيئة ا . إن ممارسة السحر انتهاك لمشيئة ا ووصاياه، لذا يضعها ا في مصاف الأشـياء المدنسـة لا المقدسة، فهو مقاومة لأوامر وإرادة ا . وحيث إن المسيحية ترى في السحر ما أوردناه قبل قليل، فهي تـرى أيضـا أن الأرواح لا تحب "يسوع"، وأن الالتجاء إليها ما هو المعـاداة له، ومن ثم فهي أرواح تدخل في بـاب الأرواح الشـريرة، التي هي مخادعة أو محتالة. وفي ذلك يقول الكتاب المقـدس ".. إن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور.. ". إن

خداع الشيطان لبني البشر، ما هو إلى نوع من التضليل، لكي يعمل على انقياد البشر لهم، وبلوغهم الجحيم فيما بعد [1].

وفي ضوء ما سبق تـرى المسـيحية أن ممارسـة السحر والإيمان بالقوى الغيبية تعد شكلاً من أشكال الاعتقاد الأحادي Monism الذي يعنـي أن كـل شـيء هـو ا ، أو بالأحرى أن ا والكون هما شيئًا واحدا، أحدهما مرئـي والآخر غير ذلك، إنه وفقًا لهذا الاعتقـاد، فـإن المسـيحية تناهض ذلك، حيث تؤمن بأن ا ثالوث، وأنه روح. (يوحنا: ٤: ٢٤) أوجد بقدرته العالم المادي، ذلك العالم الذي يختلـف عن ا ذاته. وحيث إن المسيحية تؤمن بذلك فهي تتنـاقض مع إغراء الشيطان للإنسان، الذي يعمل بكل آلياتـه علـى طمس الفرق بين الخالق والمخلوق [2].

---

(1) جون الكريدج وجون والدون، الظلمة الآتية على العالم، ترجمة إيفا وهيب، لوجس سنتر، الطبعة الأولى، القـاهرة، ١٩٩٦، ص، ص ٢٤ ـ ٢٨.

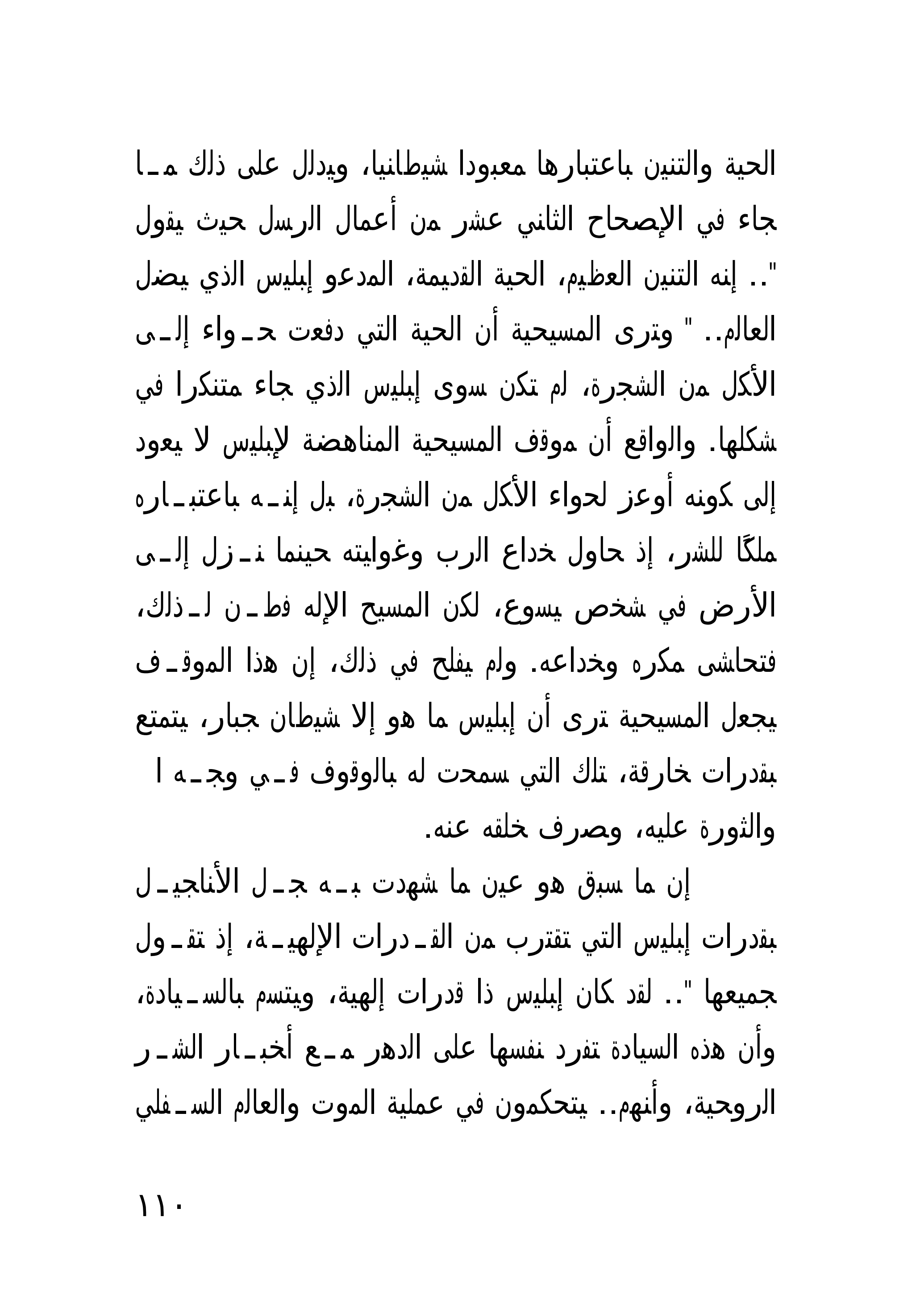
(2) البير بابيه، أخلاق الإنجيل: دراسة سوسيولوجية، ترجمـة عـادل العوا، دار الحصاد وكنعان، الطبعة الأولى بيروت، ١٩٩٧، ص ١٣٣.

إننا نفهم مما سبق أن الالتجاء إلى السحر والإيمان به من خلال المعتقد المسيحي يعتبر نوعا من الوثنية، أو بالأحرى معاديا للإيمان المسيحي. إن عدم إيمان المسيحيين بالقوى الروحية والغيبية ووقوفها ضد الممارسات الوثنية يرجع إلى ما نص عليه الكتاب المقدس الذي يرى أن الأرواح الشريرة ما هي إلا ملائكة ساقطة "... إن الملائكة الساقطة ورئيسهم الشيطان الذي كان رئيس ملائكة مقتدر، ثم سقط، هم الذين يتسلطون على العالم الوثني.." (حزقيال ٢٨: ١٢ ـ ١٩) (واشعياء ١٤: ١٢ ـ ١٤). إنه منذ ذلك السقوط وقد وضع الشيطان نصب عينيه مقاومة ا وخداع البشر، بل وبناء مملكة متمردة على ا .. وفي ذلك يشير الكتاب المقدس إلى أن سعي الشيطان لمعاندة ا والبشر، يكون في إطار سعيه الحثيث لبناء مملكة خاصة يكون هو إلهها [1].

وإذا كان ما سبق يمثل موقف المسيحية من السحر والممارسات الوثنية بشكل عام، فإنه في إطار عقيدتها فثمة إشارات لمفهوم الشيطان وإبليس. لقد أشارت المسيحية على

---

(1) جون الكريدج وجون ولدون، الظلمة..، مرجع سابق، ص ٣٨.



الحية والتنين باعتبارها معبودا شيطانيا، ويدلل على ذلك ما جاء في الإصحاح الثاني عشر من أعمال الرسل حيث يقول ".. إنه التنين العظيم، الحية القديمة، المدعو إبليس الذي يضل العالم.. " وترى المسيحية أن الحية التي دفعت حواء إلى الأكل من الشجرة، لم تكن سوى إبليس الذي جاء متنكرا في شكلها. والواقع أن موقف المسيحية المناهضة لإبليس لا يعود إلى كونه أوعز لحواء الأكل من الشجرة، بل إنه باعتباره ملكًا للشر، إذ حاول خداع الرب وغوايته حينما نزل إلى الأرض في شخص يسوع، لكن المسيح الإله فطن لذاك، فتحاشى مكره وخداعه. ولم يفلح في ذلك، إن هذا الموقف يجعل المسيحية ترى أن إبليس ما هو إلا شيطان جبار، يتمتع بقدرات خارقة، تلك التي سمحت له بالوقوف في وجه ا والثورة عليه، وصرف خلقه عنه.

إن ما سبق هو عين ما شهدت به جل الأناجيل بقدرات إبليس التي تقترب من القدرات الإلهية، إذ تقول جميعها ".. لقد كان إبليس ذا قدرات إلهية، ويتسم بالسيادة، وأن هذه السيادة تفرد نفسها على الدهر مع أخبار الشر الروحية، وأنهم.. يتحكمون في عملية الموت والعالم السفلي

حيث النار والجحيم.. اذهبوا يا ملاعين إلى النـار الأبديـة المعدة لإبليس وملائكته.. " (إنجيل متى، الإصحاح ٢٥) [١].

وإزاء ما سبق فإن العقيدة المسيحية ترى أنه طالمـا أن الإنجيل هو كلمة ا ، فإن مجافاتـه للشـيطان والأرواح الشريرة هو حق، لذا نجده يعلم المـؤمنين بـه، أن الأرواح الشريرة الضالعة في عالم السحر، ليست هي أرواح نورانية مرسلة من ا ، وإنما هي أرواح شياطين تعمل جاهزة عـن أبعاد الناس عن طريق الحق، وترشدهم إلى طريق الضلال، ومن ثم فهي تسعى إلى تدمير البشر.. ويدعم بذلك ما تذهب إليه العقيدة المسيحية.. وأخيرا يا أخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته.. البسوا سلاح ا الكامل لكي تقـدروا أن تثبتـوا ضد مكائد إبليس.. إن صراعنا مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجداد الشر الروحية في السماوات.. " الآن أرسلك لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى ا .. " (افسي ١٠: ٦ ـ ١٢) [٢].

---

(١) سيد القمني، الأسطورة والذات، مرجـع سـابق، ص، ص ٣٩ ـ ٤٠.

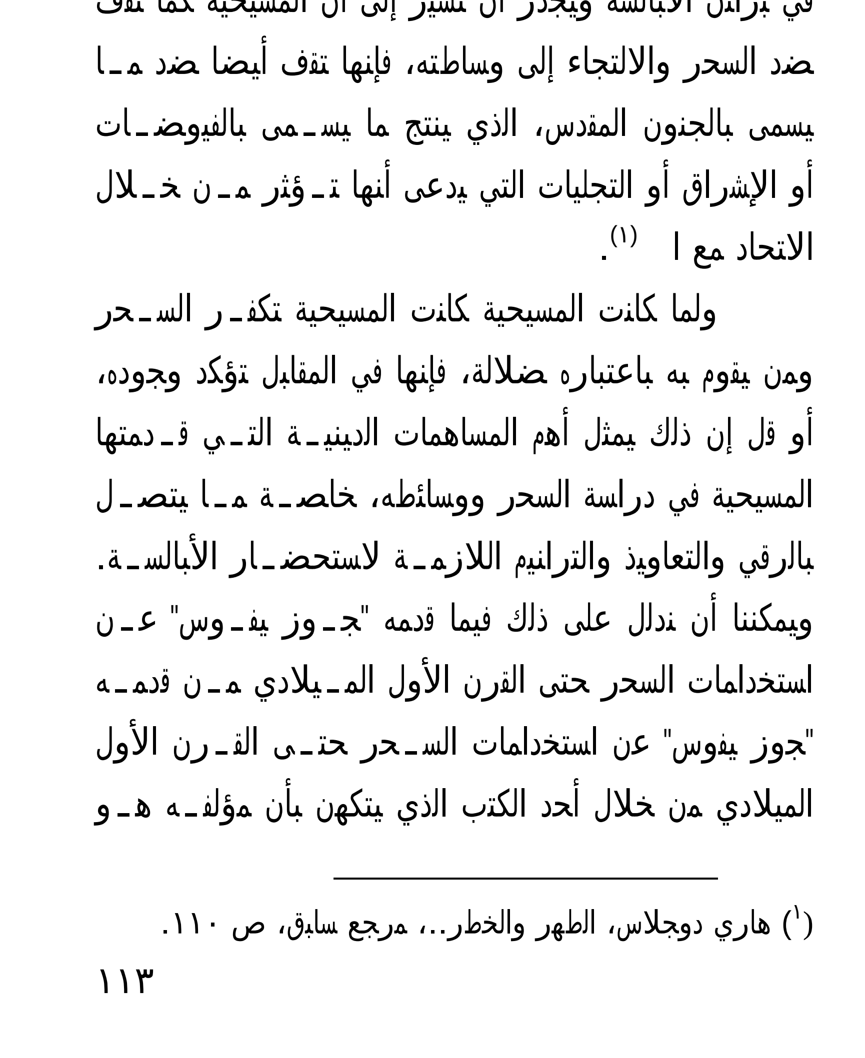
(٢) جون الكريدج وجون ولدون، الظلمة...، مرجع سابق، ص ٧٢.

إنه حسب ما طرحته العقيدة المسيحية فـإن تـاريخ الشيطان هو تاريخ العداوة والحقد على الجـنس البشـري، ومن ثم فهو تاريخ التمرد على المفاهيم الأخلاقية. لقد كـان الشيطان لديها هو صانع التمائم والعرافة والسـحر، ووارث السحر المحضر للأرواح والتعاويذ التـي ترجـع أسـرارها وكنهها إلى بدايات التشوق للسحر ذاته. وفـي ذلـك يقـول "وودز".. إن الشيطان هو الخصـم التقليـدي الوحيـد .. فالديانة المسيحية مبشرة وعظيمة بالقانون النيوتوني القائـل بأن كل قوة تواجه قوة معاكسة ومساوية لها. ولقد كان إبليس يصنع الشر، وليس هناك طريقة أخرى لتبرير وجوده كجزء من سياسة العلي القدير.. وبينما الشيطان في العصور البدائية يقدم المتع لأتباعه كرشوة، فإنه مع تفاقم الصراع وامتزاجـه لوقائع السلطة الزمنية، صار الشيطان لا يقدم المتع إلا مقابل تقديم الروح الخالدة له.." [1].

إن إيمان العقيدة المسيحية بما سبق، يجعل تاريخهـا يحفل بصراع حرور ضد الطقوس السحرية، التـي حاولـت

---

(1) ولييام وودز، تاريخ الشيطان، ترجمة ممدوح عدوان، دار الجنـدي للنشر، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٦ ص، ص ١٠ ـ ١١.



جاهدة احتلال مكانة الدين، لقد شنت المسيحية حربا ضروسا ضد الطقوس السحرية التي عرفها بأنها أعـراف فارغـة، وشيئًا غريبا، ومتخرجا عن الدين أو هو دليل على الوقـوع في براثن الأبالسة ويجدر أن نشير إلى أن المسيحية كما تقف ضد السحر والالتجاء إلى وساطته، فإنها تقف أيضا ضد مـا يسمى بالجنون المقدس، الذي ينتج ما يسـمى بالفيوضـات أو الإشراق أو التجليات التي يدعى أنها تـؤثر مـن خـلال الاتحاد مع ا [1].

ولما كانت المسيحية كانت المسيحية تكفـر السـحر ومن يقوم به باعتباره ضلالة، فإنها في المقابل تؤكد وجوده، أو قل إن ذلك يمثل أهم المساهمات الدينيـة التـي قـدمتها المسيحية في دراسة السحر ووسائطه، خاصـة مـا يتصـل بالرقي والتعاويذ والترانيم اللازمـة لاستحضـار الأبالسـة. ويمكننا أن ندلل على ذلك فيما قدمه "جـوز يفـوس" عـن استخدامات السحر حتى القرن الأول المـيلادي مـن قدمـه "جوز يفوس" عن استخدامات السـحر حتـى القـرن الأول الميلادي من خلال أحد الكتب الذي يتكهن بأن مؤلفـه هـو

---

(1) هاري دوجلاس، الطهر والخطر..، مرجع سابق، ص ١١٠.

الملك سليمان، وكذا كتاب مفتاح سليمان وأقـراص الزمـرد الذي ألفه "هيرفر" والذي يرى فيه ضرورة دخول الساحر في علاقة حميمة مع نصوص الكتاب واستحداث أدوات سحرية يصنعها الشاعر بما فيها الحبر والقلم والبخـور والشـموع والأخشاب اللازمة من أغصان الأشجار فضلاً عـن القيـام بالصوم واستخدام الرموز [١].

والمتأمل لمثل هذا النوع من السحر، يجد أنه هو ما نطلق عليه السحر الأسود، الذي يرتبط بالشر على الـدوام. ولكن إذا كان هناك سحرا أسود، فهناك أيضا سحر أبـيض الذي هو بالأحرى نوع من التطبيق الطبيعي للقدرات الغيبية للإنسان، وبغض النظر عن هذه القسمة، فالنوعان يـدخلان في باب الشعوذة التي هي من رأي المسيحية جريمة ينبغـي أن يعاقب عليها في الدنيا، كما سيعاقب عليها في الآخرة.

---

(١) كولن ولسن، الإنسان وقواه الخفية..، مرجع سابق ص، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

٢ ـ السحر في الإسلام:

لا يختلف الإسلام في عقيدته عن موقـف الـديانات السماوية الأخرى من السحر واستخداماته. فمن خلال النص القرآني والسنة النبوية، يمكن أن نقف علـى طبيعـة هـذا الموضوع. ولما كان السحر يرتبط بتسخير الجان، فإن النص القرآني يوضح أن الجان في طبيعته يختلف عـن الإنسـان وكذا عن الملائكة. وفي ذلك يقول القرآن الكريم في سـورة الحجر (٢٧) .. والْجان خَلَقْنَاه مِن قَبـلُ مِـن نـارِ السمومِ... وفي سورة الرحمن (١٥) ... وخَلَقَ الْجان مِن مارِجٍ من نارٍ...

إنه نتيجة لخلقه من نار جعله يتكبر ويأبى أن يخضع لأوامر ا ، لذا فإنه في بداية أمره كان من سـكان السـماء أو قل من الملائكة وخازنًا للجنة، ثم فسق عـن أمـر ربـه واستكبر فطرد من رحمة ا ، لذا سمي الطاغوت .. الَذِين آمنُوا يقَاتِلُون فِي سبِيل ا ِ والذِين كَفَروا يقَاتِلُون فِـي سبِيل الطاغُوتِ فَقَـاتِلُوا أَولِيـاء الشـيطَانِ إِن كَيـد الشيطَانِ كَان ضعِيفًا... (سـورة النسـاء: ٧٣) وإِذْ

قُلْنَا لِلْملاَئِكَةِ اسجدوا لآدم فَسـجدوا إِلا إِبِلـيس أَبـى واستَكْبر وكان مِن الْكَافِرِين... (سورة البقـرة: ٣٤).

وحيث إن القرآن قد شخص الشيطان باعتباره جانًـا، فـإن الرسول صلى ا عليه وسلم قد صنفهم إلى ثلاثـة أنـواع "..نوع يطير في الهواء، ونوع يأتي فـي صـورة حيـات وكلاب، والنوع الأخير يحل ويظعن.. " [1].

إننا نفهم مما سبق أن الإسلام نصا وحديثًا يؤكد على وجود الجان، وهذا ما يعاكس ما كان يتقول به العقائد السابقة أن الجن ما هم إلا أرواح الكواكب، أو أنهم نوازع الشر في النفس الإنسانية وقواه الخبيثة، والحقيقة أن الإسـلام نصـا وحديثًا لم يقر فحسب بوجود الجان، وإنما أيضا صـوره. إذ قبح شكله وصورته. وقد شبهه ا بأنه ثمار شجرة الزقـوم التي تنبت في أصل الجحيم بـرءوس الشـياطين "... إنهـا شجرة تخرج مـن أصـل الجحـيم، طلعهـا كأنـه رءوس الشياطين.. " (سورة الصافات ٦٤ ـ ٦٥)، إن هذا التصور يخالف بالطبع ما جاء تصويره في القرون الوسـطى علـى

[1] حديث صحيح رواه الطبراني والحاكم والبيهقي (صحيح الجامع ٣/ ٨٥).

لسان حال النصارى الذي رءوا أنه على هيئة رجل أسود ذي لحية مدببة، وحواجب مرفوعة، وفم يخرج نارا، وذات قرون وأظلاف وذيل.

وإذا كانت صورة الشيطان أو الجان يأتي على هيئة قرون في تصوير العصور الوسطى له، فإن الأحاديث النبوية لم تخالف هذا التصور، إذ يقول النبي صلى ا عليه وسلم ".. لا تجروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنهـا بـين قرني الشيطان.. "، أو كما قال ".. إذا طلع حاجب الشـمس، فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان..." [1].

وحيث إن الإسلام قد وضع صورة محددة للشـيطان أو الجان، فإنه أيضا منح قدرة على التشكل. إن تشكل الجان إما في أشكال الإنسان أو في الحيوان. وليس أدل على تشكله في صورة الإنسان عن حديث سراقة بن مالك الـذي جـاء الشيطان في صورته ووعد المشركين بالنصر، والذي جـاء فيه قول ا تعالى ... وإِذْ زين لَهم الشيطَان أَعمـالَهم

([1]) عمر سليمان الأشقر، عالم الجن والشـياطين، المكتبـة العلميـة، الطبعة الثانية، بيروت، د. ت، ص، ص ٢٠ ـ ٢١

وقَالَ لاَ غَالِب لَكُم الْيوم مِن الناسِ وإِني جار لكُم..
(سورة الأنفال: ٤٨).

وإذا كان الإسلام قد أخبرنا عن تشكل الجـان فـي صورة الإنسان، فإنه يحدثنا أيضا عن تشكله فـي صـورة الحيوان. ويذكر ابن تيمية عما نقله عن الرسول صـلى ا عليه وسلم ".. إن الكلاب الأسود شـيطان الكـلاب، والجـن يتصور بصورته كثيرا، وكذلك بصورة القط الأسود، السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قـوة الحـرارة.. ". يتشكل الجان أيضا في صورة الحيات، لذا نجد أن الرسـول صلى ا عليه وسلم قد نهى عن قتل حيات البيـوت. ففـي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال رسول ا صـلى ا عليه وسلم "... إن بالمدينة نفرا من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئًا من هذه العوامر فليتعوذ منه ثلاثة، فإن بدا له بعد فليقتله، فإنه شيطان... " [1].

ويحدثنا الإسلام أيضا أنه يمكن أن يتم تسخير الجان، مثلما سخر سيدنا سليمان الجان والشياطين فيما يطلب، وكان يقوم بإمرتهم، ويعاقب من يعصي له أمرا ".. فَسخرنَا لَـه

([1]) المرجع السابق، ص ٢٥.

الريح تَجري بِأمرِهِ رخَاء حيثُ أَصاب، **والشياطِين كُلَّ بناءٍ وغَواص، وآخَرين مقَرنين فِي الأصفَادِ..** " (سورة ص ٣٦ ـ ٣٨). وفي سورة سبأ يذكر القرآن الكـريم "... ومِن الْجِن من يعملُ بين يديهِ بِإذْنِ ربهِ ومن يزِغْ مِنْهم عن أَمرِنَا نُذِقْه مِن عذَابِ السعِيرِ، يعملُون لَه ما يشَاء مِن محارِيب وتَماثِيلَ وجِفَانٍ كَالْجواب وقُدورٍ راسِياتٍ... " (١٢ ـ ١٣) [١].

ويخبرنا الإسلام أيضا أن كل إنسان يلازمه شيطان. وفي ذلك يروي مسلم والإمام أحمد عن عبد ا ، قال رسول ا صلى ا عليه وسلم ".. ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكل به قرين من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا، وإياك يا رسـول ا ، قال: وإياي لكن ا أعانني عليه فأسلم، فلا يـأمرني إلا بخير.. ". وتأكيدا لما سبق نجد في (سورة الزخـرف) مـا يصدقه، إذ يقول ا تعالى .. ومن يعـشُ عـن ذِكْـر الرحمن نُقَيض لَه شَيطَانًا فَهو لَه قَـرِين... (الآيـة: ٣٦.، ويقول ا تعالى أيضا .. وقَيضـنَا لَهـم قُرنَـاء

([١]) المرجع نفسه، ص ٣١.

فَزينُوا لَهم ما بين أَيدِيهم وما خَلْفَهم.. (فصلت ٢٥) [١].

وبيد أن وجود الجن ثابت بالقرآن والسنة، فإن العقيدة الإسلامية أوضحت أيضا أن الشيطان يستطيع أن يسكن في بدن الإنسان. ويدلنا قول ا تعالى على ذلك .. الذي يتخبطه الشيطان من المس.. . وقول النبي صلى ا عليه وسلم ".. إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.. ". فالشيطان يحول ذاته إلى طاقة حرارية، لأنه يتشكل بعدة أشكال متباينة، كنسمة هواء أو نفحة ريح، ثم يجري في الدم، فيثير غضبه، ويدل على سلوك الأعمال الشريرة، ويبعده عن أعمال الخير [٢].

وإذا كان ما سبق يمثل رأي العقيدة في وجود وطبيعة وصفات وتشكل الجان الذي يسأل عن ضلوعه في عملية السحر ..إنه لَكَبِيركُم الذِي علمكُم السحر..

---

(١) مجدي الشهاوي، خوارق العادات، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٦١.

(٢) محمد الصايم، حوار مع الشيطان، دار الفضيلة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٧.

فإن الكتاب المسلمين قد سجلوا إيمـانهم بـذلك، وأضـافوا مجموعة من الأشكال التي يأتي عليها السحر. فنجد أبا بكـر الرازي يضع تصنيفات متعددة لأنواع ويجمعها في نـوعين الأول هو ما يسمى بسحر أصحاب الأوهام والنفوس القديمة، والآخر هو سحر الأرواح الأرضية التي يقصد بهـا سـحر التخيلات والأخذ بالعيون. وحيث إن الرازي قد وضعها فـي نوعين، فإن ابن كثير قد جعلها في ثمانية أنواع هي، سـحر الكذابين والخاص بعبادة الكواكب السيارة، وسحر أصـحاب الأوهام والنفوس القوية، وسحر الاستعانة بالأرواح الأرضية والجان، وسحر الشعوذة والأخذ بالعيون، وسـحر الأعمـال العجيبة التي تقوم على استخدام خواص المواد بنسب هندسية معينة، وسحر تعليق القلوب، وسحر التمائم، والسيمياء [1].

إننا من الفائت يمكن القول أن السحر يمثـل حقيقـة اجتماعية دينية، وأن الأديان شكلت موقفًا مرجعيـا واحـدا، خاصة في اتحادها معه مرة، ومخاصمتها له والصراع معـه مرة أخرى. إن السحر في الوقت الذي كان ترادف مع الدين

---

(1) سامية الساعاتي، السحر والمجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٢، ص، ص ٩٥ ـ ١٠١.

في بواكير الإنسانية وقت صراعها مع الطبيعة، فإننا نجـدها كذلك مع الديانة اليهودية بالذات، ثم ما لبثت أن افترقا فـي الديانتين (المسيحية والإسلامية)، ففي الوقت الذي يأخـذ وضعا وجوديا مقدسا، نجده أصبح خيانة للدين وبات أمـرا مدنسا ومنبوذًا باعتبار أنه يتمازج مع الشرط البشري، لقـد أصبح السحر عقبة في وجه المقدس، بل ويحاول أن يجتثـه ويحاصره، ويفرغه من كل تدين، حيث يسعى إلـى تجـاوز الشرط البشري ويدخل مع صفات المطلق النهائي في معيـة واحدة.

إن البحث في تاريخ السحر والتطور من الأشياء غير العقلانية (السحر)، إلى الأشياء العقلانية (الدين). يدفعنا إلـى الإمساك بخطوط العلاقة بين الميثولوجيا والدين عبر مسيرته التاريخية، تلك التي توضح لنا ما يسـمى بـاللامفكر فيـه أو المسكوت عنه، الذي تعانق مع ما هو شعائري وأسطوري ووجودي. وباعتبار أن السحر يدخل في إطار الأسـطورة، فإنه يدخل حينًا في إطار المقدس، وحينًا آخر يتوشح مع مـا هو مدنس. إن البحث في علاقة الدين بالسحر وما حدثتنا عنه النصوص الدينية التي كشفت لنا عن ما هو ديني ومـا هـو

دنيوي. إن التخلي عن السحر الذي لازم البشرية في فترات معينة، وطرح الدين كرؤية مقدسة، يعني أن ثمة إعادة إنتاج العقل على هدي قيم وعقائد مقدسة. ولكن هذا العقل ما لبث أن عاد إلى المدنس لكي يقيم صراعاته وسلطته بطريقة جوانية، أو قل من خلال اللاشعور. لقد بلور هذا العقل نوعا من الذهنية المتصلة لا المنفصلة مع طفولة الإنسان الأولى وإعادة إنتاج السحر كوجود ومعنى وقيمة، لكي يفرض سلطته على نحو نظري لا واقعي، يهدف إشباع احتياجاته أو خيالاته المريضة، وهو ما سيتم بيانه في الفصول القادمة.

الفصل الثالث

خطاب السحر ونظامه المعرفي: الدال والمدلول

مقدمة:

بادئ ذي بدء، يشكل خطـاب السـحر موضـوعا للمعرفة، فهو نوع خاص من العقل واللغة الرمزيـة، التـي تلعب دورا محوريا في تحويل الخيالات إلى معتقد ومن ثـم تصيغ وتشكل القوالب الاصطناعية، التي تخرج الذات بعيدا عن الضمير الجمعي. إنه وفق ذلك فإن الفصل الراهن يسعى إلى الكشف عن مكونات النظام المعرفي الذي يعكسه خطاب السحر، وما يحمله في أفكار ورؤى تـدفع إلـى ممارسـات معينة، وتدفع طقوس وأفكار بعينها. أي أننا سـوف نتنـاول خطاب السحر بوصفه وحدة لصيغة تعكس مستوى الأفكـار والممارسات التي تشير إلى نوع من الوعي في إطار زمـان ومكان معين.

وقبل الشروع في إنجاز الهدف السالف الإشارة إليه، فإنه يتوجب علينا أن نوضح ماذا نقصد هنا بمفهومي النظام المعرفي والخطاب. فالمفهوم الأول نشير إليه باعتباره كوكبة من المفاهيم والمبادئ والإجراءات التي تدخل المعرفـة فـي فترة تاريخية معينة في إطار البنية اللاشعورية التـي تعمـل على تواصل الاعتقاد بطريقة جوانية، وبالتالي تحاول إخراج

المكبوت أو المستور في فضاء اجتمـاعي آخـر، مخـالف محكوم بمجموعـة معينـة مـن التناقضـات الاقتصـادية والاجتماعية والثقافية. أما بالنسـبة للمفهـوم الآخـر، هـو الخطاب فإننا نشير إليه، أنه قد يكون ملفوظًا أو مكتوبا، وقد يكون ذاتي أو جمعي ودائما ما تحكمـه شـروط وجـوده، ويعكسه وعيا خاصا، يمكن الاستدلال عليـه مـن الشـكل الخارجي للغة التي أتت به. إذن فالخطاب يأتي مـن خـلال ذات معينة، ويشير إلى مجموعة من الممارسات التي تأخـذ صفة الترابط والتتابع.

وبيد أن الخطاب هو نوع من الفكر والممارسة، فهو أيضا سلطة وساحة للصراع الاجتماعي والفعـل والرغبـة، التي تحدد طبيعة المرئي والمسكوت عنه في آن، وشـروط إنتاجهما وقوانين بنائهما ودلالات ظهورهما والمتعاملين معه. وإذا كان الخطاب سلطة، فإنه يؤسس فضـاء ينتشـر فيـه، بهدف إعلاء وفرض سـطوته وسـلطته، وقمـع وإقصـاء الآخرين، الذين يقفون ندا له بغرض عدم ظهوره، ولكي يقوم أي خطاب بذلك، فإنه يفعل مجموعة مـن الآليـات هـي: التحريم والتغييب والقمع تلك التي من شأنها أن تعمل علـى

دحض الآخرين، وخلع قدراته. بل ونفيه إلى الأبد [1]. وحيث إننا قد أوضحنا المقصود بمفهوم النظام المعرفي والخطـاب، فإنه وفق الطرح السابق التي دفعت به الأدبيـات النظريـة يمكن القول أن أي خطاب يحمل نظاما معرفيا يعمـل علـى تسيير أفكار وممارسة معينة في إطار زمان ومكـان أيضـا محددين، بهدف استمراره وتواصله لامتلاك القول الفصـل، وفرض إرادته وسلطته على الآخرين. إنه حسب هذا القـول يمكننا تحقيق مكونات وطبيعة الخطاب السحري الذي نحـن بصدد تأويله [2].

ولكن قبل الدخول في غمار هذه المهمة، فإنه يعن لنا الإشارة إلى أن ما اخترناه موضوعا للتحليل يمثل المصـدر الرئيسي الذي يرجع إليه كثير من الأدبيات وفنون السـحر،

([1]) ميشال فوكو، نظام الخطاب، تعريب محمد السكاتي وعبد السـلام عبد العالي، دار النشر المغربية، ١٩٨٥ م ص ٧ و ص ٣٥، وأيضا: عبد العزيز العيادي، ميشال فوكـو: المعرفـة والسـلطة، المؤسسـة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيـروت، ١٩٩٤ م، ص، ص ١٩ ـ ٣٠.

([2]) أبو العباس أحمد بن علي البوني، منبع أصول الحكمة، دار يوسف، بيروت د. ت.

فضلاً عن تشابهه مع كثير من الكتابات الأخرى التي تتخارج مع مقولات الدين الإسلامي [1].

أولاً: في طبيعة الخطاب ومكوناته:

يعد كتاب منبع أصول الحكمة للبوني مـن الكتـب الرئيسة في الفن السحري أو علم الروحانيات على حد تعبير وصف الكاتب، وذلك ليس فقط بحسبانه مصدرا أصيلاً لكـل العاملين بالسحر وفنونه، وإنما أيضا لكونه يجمع بـين هـذا الفن وكثير من مقولات الدين الإسلامي.، ويقع كتاب منبـع أصول الحكمة في ٣٦٠ صفحة من القطع الكبير، مقسما إلى تسع تحف(نسبة إلى أنه فن) وهي تعد مقدمات... للتعريـف بأصول وقواعد العمل السحري، وكيفية ربط الأرض (الذات) بالعالم السماوي (الأرواح والأشباح والجـان). ثـم يحـاول الكتاب أن يوضح كيفية ربط هذه المقدمات بالأعمـال التـي تستخدم فيها سواء كانت خيرا أو شرا. والمتأمل فـي لغـة الكتاب، يجد أنها تتقارب وتتباعد في آن عن اللغة المألوفـة، خاصة ما يتصل بالوسائط المستخدمة أو التي يتم تسـخيرها

---

(1) مزامير داود، الملك والنبي، مطبعة رومية، مصر، ١٣١٤م.

في إطار هذه الأعمال، فضلاً عن كون هذه اللغة في أحايين كثيرة تبدو صعبة الفهم والتفسير.

وعلى الرغم من صعوبة اللغة، ومن ثـم تفسـيرها وتأويلها، فإن الكاتب يصدر خطابه باعتباره رسالة رضـاعة من ثدي الحكمة، تلك التي توضـح الأصـول والضـوابط المحكمة لهذا الفن، والتي تم إخفاؤها منذ زمن طويل لأحكام غياب رموزها، وأنه هنا يدفع بها لكي ينفـع بهـا النـاس، ويكسب ثوابها من ا ، فضلاً عن الاستغناء عن جميع كتـب الحكماء والمتقدمين الذين يعود إليهم الفضل في هذا الفن منذ أيام أرسطو، وفي ذلك يذكر " (.. كل ما وضعه الحكماء في كتبهم من عهد الأستاذ الفاضل أرسطو طاليس إلى يومنا هذا ليس على ظاهرة، وإن كلامهم على نسق واحد، ولم تختلف أجزاؤه، ففيه أماكن تحتاج إلى شيء لم يذكره، وما ذكره فهو مرموز ومغطى عن عامة الناس...) وقبـل الشـروع فـي عرض مكونات الخطاب السحري، فإننا نود أن نشير إلى أن السحر بدلالاته اللغوية، تعني أن القائم بالسحر يفـوق فـي تأثيره وحضوره الأنبياء والمصطفين، إذ مـن خـلال مـا يمتلكون من قدرات وكلمات يستطيعون اختـراق الحجـب،

واستدعاء الماضي وتعديل الحاضر والتنبـؤ بالمسـتقبل [1]، وهي ما نطلق عليها هنا اغتراب الاغتـراب، أو قـل إنهـا مرحلة الانفصال التام، أو زوغان العقل، وهو ما سـنحاول استبانته من خلال محتويات الخطاب.

١ ـ التحفة الأولى:

يشير الخطاب الراهن في مقدمة هذه التحفة، إلى أن أولى فنون هذا الخطاب هو تبسيط وتكسير الحروف، الـذي خلع عليه أعمال الكون برمته، والطلاسم الذي يـتم التـأثير على الذات الإنسانية في كل من أعمال الخير أو الشر. تلـك التي تتصل بطريقـة اسـتخدام الأقسـام (كلمـات القـدرة) والأعوان (الجان). التي من خلالها وعن طريقها يتم تنفيـذ الأعمال المطلوبة. وفي سياق هذه التحفة الخاصة بالحـديث عن علم الحرف، فإن الخطاب الراهن يرى أن هذا الفـن ـ

---

(1) يشير مفهوم الجن كما ورد في لسان العرب، بأنه من يختفي عـن الأبصار، وعند الجوهري هو خلال الإنس وهو لا يرى، وهو خلق من نار ولمزيد حول هذا المفهوم يمكن الرجوع إلى: حياة الرايس، جسـد المرأة: من سلطة الإنس إلى سلطة الجان، سينا للنشر، الطبعة الأولى، ن القاهرة، ١٩٩٥ م، ص، ص ٤٠ ـ ٤١.

أي البسط - يعمل على تقديم المطلوب والعمل المراد فعله، ثم استخراج العمل المناسب والأعوان والقسم من نفس المطلوب. فإن كان القسم رباعيا، فإنه يتم توليده من سطوره، ويستخدم في أعمال الخير، أما في أعمال الشر، فإنه يتم توليده من نفس السطور، ولكنه يكون خماسيا.

ولتوضيح كيفية استخراج الأعوان، فإنه يشير على أخذ السطر الأول، وبسط حرفًا من المطلوب، وحرفًا من العمل، وحرفًا من الطابق ثم تكسيرها أي أخذ أحد الموازين، ويسقط ما تكرر ويكسر ما تبقى، ويجعل ذلك أكوابا. وزيادة لتوضيح ما سبق يذكر الخطاب الراهن أن المفاهيم السابقة مثل المطلوب والعمل والطالب تتطلب ضرورة وجود أعوان وقسم ورقم ووقت وزايرجه وطالع للعمل ودخنة، إذ إن لكل طلب أعوان وقسم وكل عمل له فنون.

والملاحظ في هذه التحفة وفقًا لمفاهيمها وطريقة توضيحها، أنها جاءت على عكس ما أوضحه صاحب الخطاب في صور طرحه، فحيث هو يوضح أنه جاء بها لفك رموزه، فإن الواضح أنه جاء لكي يغيب مفهوماته وطرائق استخدامه، بشكل يفوق عن تطبيقه للعقل التي هي وظيفته

الأصلية في الواقع المعاش، وهو ما يتضح في معاني البسط والتكسير واستخراج الأعوان والقسم والمطلوب والزبرجة والوقت والدخنة وطالع العمل.

٢ ـ التحفة الثانية:

وبيد أن الخطاب الراهن قد غلف ما يقصده في تحفته الأولى بنوع من الغموض، فإنه في صدد هذه التحفة يوضح الأوقات المناسبة لعمل الخير أو الشر. وإزاء ذلك فهو يرى أن أول ساعات الخير أو السعد هي الساعات الأولى من أيام الأحد والإثنين والخميس والجمعة، تلك التي وإن انقضت فإن أنسبها هي الثوامن أو ما مر فيها كوكب سعيد، شريطة أن يتناسب الكوكب في طبعه مع طبع العمل المطلوب. أما بالنسبة لأعمال الشر فيناسبها الساعات المتبقية. ويشير كاتب هذا الخطاب أن الكواكب السيارة تمر في كل يوم وليلة، وهو ما يعني أن الطالب لا يتوقف على يوم معين، بل عليه أن يختار الساعة المناسبة التي يمر فيها كوكبها لكي يقوم بعمل العمل الآنق. فإذا كانت كواكب السعد صاعدة، فإن أنجح الأوقات لعمل الخير، أما إذا كانت كواكب النحس هابطة، فإنها تكون أبلغ في أعمالها. ويضيف الكاتب أيضا

أنه إذا ما قمنا بتحديد الكواكب المناسبة للأعمال، فإننا يتطلب أيضا أن نحدد الدخنة (أي البخور) ومعادن الكواكـب التـي يشير إليها بالزايرجة، حيث إن لكل كوكب معدن مناسـب، والذي يمكن أن يحل محله نبات معين أو حيوان محدد. وفي محاولة لتوضيح معادن الكواكب، فإنـه يـذكر أن للمعـادن أربعة طبائع (ناري ـ هوائي ـ مائي ـ ترابـي) التـي لا يخرج عنها طبيعة أي شيء في الكون. وفي إطار القسـمة السابقة للطبائع، فإنه يربط بينها وبين أشـرف الموجـودات ليقصد هنا بالحروف الـ ٢٨ [١] التي أنـزل بهـا القـرآن الكريم، تلك التي أوردها على النحو التالي:

أ- طابع النار (وهو حار يابس) وحروفه (أ، هـ، ط ـ م، ف، س، ذ).

ب- طابع الأرض أو الترابي (وهو بارد يابس) وحروفه (ب، و، ي، ن، ص، ت، ض).

---

(١) هذه الأعداد هي ما يطلق عليها وفق هذا الخطاب بحرف المعجـم، وهي إما مفردة وتسمى أفرادا وهي من ١ إلى ١٠ أو تسـمى مركبـة وهي من الرقم ١١ والأفراد هو ما يشير إلى البسط، والمركب هو مـا يطلق عليه بالمركب الحرف.

ج- طابع الهواء (وهو حار رطب) وحروفه (ج، ز، ك، س، ق، ت، ظ).

د- طابع الماء ش(وهو بارد رطب) وحروفه (د، ح، ل، ع، ر، خ، غ).

٢ ـ التحفة الثالثة:

وفي إطار هذه التحفة يحـاول الخطـاب توضـيح الطريقة التي يتم بها اختيـار الأوقـات وطبيعـة الكواكـب والمعادن والحروف المستخدمة. فعلى ما ذكر، فإن الكواكب السيارة، هم سبعة، وتأتي مرتبة على النحو التـالي: زحـل، المشترى، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، القمر (لاحـظ اختلاف حصر الكواكب عما تعارف عليه العلم). وأن هـذه الكواكب ترتبط بأيام ومعادن وأوفاق وحروف وطباع وكـذا الملوك الموكلة معينة (انظر الجدول الذي جمعنا فيه كل مـا سبق).

وحيث إن الكاتب قد أوضح في سياق هذه التحفة أن لكل كوكب ما يناسبه من معدن خـاص بالأعمـال الخيـرة أو الشريرة، فإنه حاول أن يضع بدائل هذه المعادن في حالة عدم توفرها، التي قد تكون إما حجرا أو نباتًا أو حيوانًا، تلك

التي هي الأخرى ترتبط بأدخنة أو بخور معين. وإذا كنا قـد ذكرنا في السطور الفائتة أن لكل يوم ملك أو عـون (وهـو بالطبع جان) يوكل لتنفيذ ما يطلب منه، فإنه يشـير إلـى أن هذه الملوك يتم بسط اسمها بالمركب الحرفي الذي جاء ذكره في التحفة الأولى، ثم يضاف إلى اسمه (أبيل) [1]، وأن هـذه الملوك لها خدام كثيرون يملئون الجبال والسهول، ولا يصح أن أي طالب يخاطبهم، دون أن يوجه الخطاب إلى من هـو آخذ ناصيتهم (انظر الجدول).

٤ ـ **التحفة الرابعة**: تتصدى هذه التحفة لتوضـيح كيفية بسط وتكسير الحروف، فيما يـذكر الكاتـب أن هـذه

---

(1) تعني هذه الكلمة وفقًا للغات القديمة السريانية والفرعونية، وحتـى اليهودية التي أخذت كثيرا من اللغات الفرعونية، أنها الآلهة. ولاحـظ هنا أن إضافة اسم الآلهة إلى أسماء الجان، الذي هو بمثابة استرضـاء الذي هو في الوقت عينه نوع من الشرك. راجع حـول طبيعـة هـذا الاسم: لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة، سينا للنشر، الطبعة الثانيـة، القاهرة، ١٩٩٣ م، وإليس برج أوبدج، السحر فـي مصـر القديمـة، ترجمة وتقديم عبد الرحمن عبد الهادي، مرجع سابق.

الطريقة تأتي على ذكر ما ذكره هرمس [1]، والذي يرى فيها أن يؤخذ الشيء المطلوب، فيوضع الاسم بالمركب الحرفي، أي أن يفرد الحروف متقطعة، على أن تحول الحروف وفقًـا لأرقامها (انظر الجدول)، ثم تكسر الحروف، ثم يكسر ذلـك إلى المخرج، ثم يثبت اسم المطلوب هجاؤه، ومكرر حروفـه مضافًا إلى اسم (أبيل)، وبما يخرج من كل ذلك يـتم القسـم على الأعوان.

ولما كانت هذه الطريقة ـ من وجهة نظـر واضـع الخطاب ـ مموهة، ولا تكشف عن طريقة الطلب، فإنه رفع بأخرى يرى أنها أفضل منها، ومؤداهـا أن يـأتي بالعمـل المناسب والكوكب والطالع وبه اليوم والساعة والدخنة، ثـم الملك المناسب لليوم، ثم يبسط اسـمه بالمركـب الحرفـي ويجتمع أعوانه وتستنطق، على أن يتم ترديـد مـا يلـي:..

([1]) هو أحد الغنوصين الذين برعوا في التركيبات العلميـة والفلسـفية والروحية والذي عاش في مصر وقت الهيلنة حينما التقـت الفلسـفات الإغريقية والمذاهب الدينية المصرية واليهودية.

حول ذلك راجع: لويس مينار، هـرمس: المثلـث العظمـة أو النبـي إدريس، ترجمة عبد الهادي بن عباس، دار الحضارة، الطبعة الأولـى، دمشق ١٩٩٨ م.

أقسمت عليكم أيها الأعوان المستخرجة من اسم (فلان). ثـم (أسماء الأعوان). أن تتوكلوا في العمل الـذي أريـده فـي الجسد، الذي استخرجتم منه بحق كذا وكذا (يذكر اسم القسم). ثم بعد ذلك يقول الطالب في وجود أشياء عطرة للخير وفـي الشر (انظر النجور المناسب لكل عمل في الجدول) عكـس ذلك ما يلي: ".. أيها السيد (ملك اليوم الذي أنت حاكم عليه، أن يتكول فيما أريد من هذا العمل، ويكـون زاجـر لهـذه الأعوان.. عجلوا عجلوا... ".

٥ ـ التحفة الخامسة:

وتهتم هذه التحفة بالطريقة التي يتم بهـا اسـتدعاء واستخدام الملائكة بشكل عام. وفيها يذكر أن الطريقة المثلى لإتمام ذلك، أن يؤخذ اسم الملـك الـذي يـراد اسـتخدامه وتسخيره في اليوم المناسب، وتستنطق حروفه، أي أن نأخـذ الاسم الأول نضعه وفقًا للأرقام، ثم نأتي باسم الطاعة، واسم الطالب ويتم بسطها ثم تكسيرها لكي يتم اسـتخراج القسـم المطلوب. وإذا ما تم ذلك فإنه يتم إضافة اسم الملك المـراد منه الطاعة، ثم يدخل الطالب في خلوة لا يشوبها أي شـيء لمدة إحدى وعشرين يوما مع امتناع عن أكل جميـع أنـواع

الحيوانات وما ينتج منها، ووجود دخنة (بخور) ولباس طيب، يكون من الحرير مندى بعرق الورد والمسك. على أن يتلـى القسم كل يوم (١٤) مرة، ويكون على سـبعة أدوار، وكـل دور يكون (٢١) مرة. وبعد انتهاء كل مرة من التلاوة يقول الطالب: ".. عجل أي السيد (فلان) بحق السيد (فـلان).. "، وبين كل مرة يمسك الطالب من القسم لمـدة ١/٣ أي ثلـث ساعة، ثم تعاود التلاوة مرة أخرى.

ويذكر صاحب هذا الخطاب، أنه بعد تأدية كـل مـا سبق، فإن الطالب سوف يرى أهوال عظيمة. إذ ينزل الملك المطلوب إلى الطالب. الذي عليه أن ينهض واقفًـا بمجـرد رؤيته، وألا يجلس إلا بعد أن يأذن له، وإذا وقـف بعـد أن يؤذن له وقال له ما تريد يا جنس البشر، فعليـه أن يقـول الصداقة والائتلاف والاستعانة على ظلمة البشر، فإن الملـك سوف يقول له نعم نعم، فيقول الطالب أعطاك الـرب القـوة والتأييد والنور، ثم يأمره بالصعود فإذا عرض عليـه أمـرا يتوقع الطالب منه هلاكًا أو فقدان عضوا من أعضائه، فعلى الطالب أن يناديه باسمه، ويأمره بالنزول وقضاء ما يريد.

٦ ـ التحفة السادسة:

تختص هذه التحفة باستخدام الخدمة السـفلية علـى قبائل الجن، وفيها يتم استخراج الخادم المطلـوب المسـخّر على أن يوضح اسمه بالمركب العددي، وتجمع هذه الحروف في مربع، ويؤخذ الحرف الأول، ويسقط مكررها وتكسـر، ويؤخذ أعدادها ثم تنظم قسما بعد استخراج الأعداد والأعوان المناسبة [١]. وبعد فعل كل ما سبق يدخل الطالب في خلـوة كما أوضحنا في التحفة السابقة وفي اليوم الرابع عشر منهـا سوف يظهر له من يقول له: يا ابن آدم مالك والجن، مـاذا تريد منهم، فيقول ـ أي الخادم ـ أريدك عونًا لي في كل ما أريد منك، وإحضار أهل دولتك وأولادك ومن أريـد منـك، وبعدها يوافق الخادم على مصاحبته وطاعة أمره، ثم يؤخـذ القسم المناسب، والطريقة المثلى لاستدعائه وانصرافه.

---

(١) لاحظ أن هذا الطلب هو ما يطلق عليـه بالصـوم الكبيـر لـدى النصارى.

٧ ـ التحفة السابعة:

تركز هذه التحفة على توضيح كيفية تكسير الحروف بمركبها الحرفي إذ فيها يبدأ كلامه بكلمة "علم" وبيد أنه يبـدأ بهذه الكلمة الخيرية، إلا أنه لم يعلم أو يخبـر عـن شـيء، خاصة وأن ما جاء فيه غامض الفهم، وبغض النظـر عـن ذلك، فإننا سوف نعرض ما جاء فيها. إنه هنا يرى أنه لكـي تقوم ببسط وتكسير اسم محمد على سبيل المثال أو أي اسـم رباعي وفق المركب الحرفي، فإنه يتوجب كسر بعد إسـقاط الحرف المكرر، وهو يعتقد هنا بالطبع حرف (م)، ثم يـنظم قولنا حتى لا يتكرر فيه شيء من النظم، ثم تخرج الأسـماء غير المشابهة لأسماء الأعوان. وإذا جمعت أيضا أعـداد أي عون منها، واستنطقت تلك الأعداد، وأضيفت إليهـا (أبيـل) انطبقت في النطق والشكل، ونفس الشيء يتبع فـي أسـماء الأقسام.

وببسط وتكسير الأسماء الخماسية لاستخراج أسـماء الأعوان والأقسام، فإنه ينبغي ألا يأتي العدد أقل مـن ثلاثـة أحرف، وإذا ما تكرر حرف من أعداده فإنه يلـزم تكريـر الحروف المفردة أو الآحاد مثل الألف أو الباء أو الجيم، أما

إذا زادت عن أربعة فإنه يتم بسط أحـد الأعـداد بمركبهـا الحرفي (الألف مثلاً) ثم تضاف أعدادها إلى الأعداد وهكـذا ما يحدث بالنسبة لبقية الحروف. وبتوزيع الحروف كما تقدم نقلات الحروف الأولى في الاسم، فإن هذا سوف لا يغير من هذه الحروف، وبعد أن يتم كل ما سبق ولم يبقَ إلا القسم فإنه يتم القسم على الأعوان التي تم إخراجها من مركب حـرف المطلوب، بالقسم المتخذ من تكسير حروف الأصل ويكـون عدد القسم من أسطر التكسير الذي تم إخراجه، ثـم يوضـع العمل في المحل اللائق لطبعه. ويضيف "البوني" هنا أيضـا أن الطالب مخيرا في نظم الأعوان والأقسـام، إمـا بـنظم حروفها وذكر المكرر فيها، أو أن يتم النظم وفقًا للأعـداد. فإذا كانت الحروف التي جمعت من ثـاني سـطر التكسـير متواليا فيمكن أن يكون رباعيا أو خماسـيا أو سداسـيا، ولا ينظم أكثر من ذلك ولا تقل عن ثلاث.

وبيد أن ما سبق يمثل لغة جامدة وغير مفهومة، فإنه حاول لكي يوضح كل ما سبق أن يأتي بأمثلة ليوضح أصول هذه التحفة على المستوى الضيق، وأصول هذا العلـم علـى المستوى الواسع. وفي هذا الصدد يذهب إلى أنـه إذا كنـت

تريد عمل شيء من الأعمال فعليك اتباع الآتي: اتباع الساعة المناسبة، ثم حرف عامر للمكان باعتبار أن كل مكان يسكنه عمار (أي جان)، حتى لا يفسدوا ما تقدم به من عمـل، وأن تكون على طهارة ومستقبل القبلة، واستخدام ملك اليوم سواء في الكتابة أو في القسم، واستخدام الدخنـة المناسـبة. فـإذا جاءك رجل يريد عمل محبة فيأخذ اسمه واسـم مـن يريـد محبته، فكان اسمه زيد واسم من يريد محبته عمر، فننظـر إلى الساعة المناسبة وهي أول ساعة من يـوم الثلاثـاء ثـم نصرف العامر ثم نقول ما يلي: ".. توكل يا أحمـر بحـق الملك الغالب عليك أمره سمسمائيل وبحق يومـك الثلاثـاء وكوكبة المريخ بقضاء (كذا وكذا) بارك ا فيك وعليك...".

ويزيد "البوني" أيضا أنه لكي نقوم بإسـراف عـامر المكان فعلينا أن نكرر الكلمات الثلاث ثلاثًا: يـا يغمـوش، أيغموسن، مرغاموسل، جل الجليل صاحب الاسـم الكبيـر والأرض بكم ترجف والأودية بك تقر يا عامر هذا المكـان انعزل أنت وأهلك وأولادك من طريق الملـوك الروحـانيين الداخلين عليكم حتى أقضي عملي، وتكونوا مسـاعدين لـي

على عملي، بحق مير دوه، لفدع، ديعوج، وإنـه لقسـم لـو تعلمون عظيم (يقرأ ٤٠ مرة) [1].

٨ ـ التحفة الثامنة:

وتحض هذه التحفة بوضع الأوفاق وتنزيل الأعـداد فيها واستضافتها وهي التي تنطلق علـى مـا هـو لفظـي أو حرفي أو عددي وهو يسمى وفقًا لموافقة أضلاعه وجهاته وأفكاره وأيضا لموافقته في الأعمال والأوفاق تتوقف على ما يريد الطالب والخواص المطلقة في أوقات الكواكب، تلك التي توضع في إطار أسماء ا الحسنى لجلب نفع أو دفع ضرر. فمثلاً اسم الوهاب يستخدم في الفصل والطلب وتوسيع الرزق وطرد الفاقة. ثم يأتي ببقية أسـماء ا الحسـنى وطرائـق استخدامها سواء في الخير أو الشر.

---

(1) لاحظ هنا أنه مرة يأتي بأن الخطاب السحري هو فن، ومرة أخرى يدخله في باب العلم، ولما كان العلم تراكميا ولـه أصـوله ونظرياتـه وشواهده، فإننا نقف موقفًا ندا من هذه التسمية إذ ندخلها فـي الكـلام أو اللغو الغامض.

٩ ـ التحفة التاسعة:

تنصب هذه التحفة على مهمة أساسية مؤداها توضيح كيفية استخدام أسماء ا   الحسنى وخواصها، وحيـث هـي كذلك فهي تعتبر تتمة للتحفة السابقة (الثامنة) وفي هذه التحفة يذكر أن الذكر (ويقصد ترديد أسماء ا   الحسـنى) مقـرون دائما بعدد معين، وهو ما يطلق عليه بالرياضة التي يشـترط فيها الخلوة، وخلو المعدة، والهد في أيام معدودة [1] ويـرى البوس في إطار هذه التحفة أن ترديد أسـماء ا   الحسـنى، وسوف يأتي بفتح عوالم السد، حيث إن تصـل اسـم سـده الخاص، والذي بعد ترديده وفق عدد معـين سـوف يطـرأ تغييرا على من يردده سواء من حيث الشكل أو اللون، وبعد هذا التغير ما يلبث أن يتم تلبية طلب الطالب بشكل فـوري

---

(١) على الرغم من توضيح هذا الفن أو العلم على حسب مـا يسـميه البوني كيف توضح الأوفاق وفقًـا لطبيعتهـا (المثلـث، والمخمـس، والمسدس، والمسبع) وبيان أصولها إلا أن المتتبـع لطريقـة الشـرح وطريقة وضع الأرقام وانطابقها على الحروف يجد أنه لا يسـتطيع أن يصل إلى شيء أو يسحب نفسه أنه ليس بذات عقل (انظـر الأشـكال المصورة في الصفحات من ٥٦ حتى ٥٨).

ومباشر. إن ترديد أسماء ا   الحسنى من وجهة نظر صاحب الخطاب الراهن تميل الواسطة بين ا   والذات، ولكن شريطة أن يقوم المردود بتعريف الاسم المردود (بـأل) وأن يقـوم المردود باختيار بعض الأطعمة أثناء التزيـد، وأن أجودهـا اللوز المقشور والزبيب الأحمر والدهن ولباب الخبز. (*)

وبعد أن فرغ البوني من تقديم تحفه التسع، فإنه يقدم كيفية استخدام أسماء ا   الحسنى، يقدم ما يسمى (بالبرهنيـة) أو شرح العقد القديم، التي تحتوي على مجموعة من الأسماء غير المفهومة، ولكي يوضح "البوني" ماذا يعني هذا الاسـم فيذهب إلى أنها تعني القدوس أو الصبوح وأن من يكتبها سبع مرات ويلعقها على الريق فإنه يحفظ كل ما يسمعه ولا ينساه. وفي إطار تقديمه لكيفية استخدام أسماء ا   الحسنى فإنه يقدم كيف آخر في إطار ما يسمى بالجلجوتية، التي تعني وفقًا له البديع القادر الكافي، والتي إن كتبت مـع صـيام وبخـور ورياضة، فإنها تجلب ما تريد، أو تدفع ضـرر، أو تطـرد روح، أو تشفي مصروع، ولكن شريطة أن تردد (٤١) مرة. والمدقق في مسمى الجلجوتية يجد أنها تحمل أسماء صـعبة ليست فقط على مستوى الفهم، ولكن على مسـتوى الترديـد

والقراءة وهي على حد تعبيره ألفاظ سريانية، والتي نطق بها سليمان الملك عليه السلام، وإليكم بعض ما جاء فيها ومعانيها كما أوردها البوني:.. (آج) ا ، (أهوج) الأحد، (جل جليوت) البديع، (جلجات) القادر، (هي) الكافي، (هلهلـت) الـودود، (طيطغت) الحي، (غلهمت) القهار، (شماخ) الحليم، (أشـمخ) الخالق، (طمطام) الثابت... " ثم يواصـل الكاتـب بعـرض صفات كل اسم من أسماء ا الحسنى واستعمالاته وبخـوره ويومه وطالعه المناسب له، تلك التي تتمـاهى مـع الكتـب الأخرى التي طالعناها في هذا الإطار سواء كانت تابعة للدين الإسلامي [1] أو حتى للدين المسيحي كما سبق أن أوضـحنا في موضع سابق.

([1]) صفات بعض الكتب التي حصلنا عليها مثل:=

- = الشيخ أحمد الديري، فتح الملك المجيد المؤلف لنفع العبيد، المطبعة العثمانية المصرية. رمضان ١٣٤٧ هـ.
- اللؤلؤ والمرجان في تسخير ملوك الجان، مكتبـة الجمهوريـة العربية د. ت.
- علي بن سيناء، مجموعة ابن سينا الكبرى، مكتبة الجمهورية العربية د. ت.

ثانيا: في تحليل الخطاب:

إن المتتبع لطبيعة تكوين الخطاب الراهن ويجب أنه جاء مكونًا من شقين الأول يشير إلى الفكر أما الآخر فإنـه يوضح كيف يتم تفعيل هذا الفكر في الممارسة، ولكي نزيـد الأمر توضيحا في إطار فإن المكون المعرفي للخطاب جـاء وفق ما أسماه بالتحف التي أفصحت عن الكيفية التي بها يتم على نمط انفرادي استخراج الجان، أو ما يسـمى بـالملوك العلوية والروحانية أو الأعوان (الجان). أما الممارسة، فإنـه يوضح بشكل قصصي كيف تسـتطيع الـذات الإنسـانية أن تستخدم هذه القوى الخفية في خدمة الإنسان إما لجلب خير أو درء شر.

وبالنظر إلى ما يتصل بالجزء الأول نجد أنه عبـارة عن مجموعة من التعاليم المترتبة على بعضها البعض (مـن التحفة الأولى - التاسعة)، والتي حاول بها الخطاب تبيـان

- عبد الفتاح الطوخي، عندي وشحاتة السـليماني مـن العالـم الروحاني للإمام الغزالي، مكتبة الثقافة د. ت.
- علاء الدين عبد الرحمن السـيوطي، الرحمـة فـي الطـب والحكمة، المكتبة العلمية، بيروت د. ت.

الطريقة التي يتم بها تسخير الأعوان. والمدقق في هذه التعاليم، يتضح له أني طرحت من خلال وضع الخطاب بطريقة غامضة وعصية على الفهم، خاصة ما يرتبط بمفهومي (البسط والتكسير) وطريقة نظم الأعداد والأعوان، هو ما يجعلنا نرى أن صاحب الخطاب إما أنه كان يخاطب ذاته، أو حاول أن يغلف هذا الخطاب بصعوبة حتى ينطبق عليه الوصف الذي خلعه عليه ألا وهو نوع من الفلسفة والعلم. وإذا ما تركنا هذا الجانب وتأملنا الشق المتصل بالممارسة والتطبيق فإنه لا يقل صعوبة عن الأول، أو قل إن الصعوبة التي علقته انسحبت عليه هو الآخر، خاصة وأن التعاليم أو الأفكار التي جاءت بها لا ترتبط بما هو واقعي ومعاش. ويمكننا أن نلاحظ أيضا في إطار ما جاء به الخطاب، أنه لم يكن خالصا وفقًا لهذا الاعتقاد وهو ما يتضح في اللغة المستخدمة في تسخير الأعوان، أو حتى في الرياضة التي تتداخل مع ديانات أخرى سواء كانت سماوية أو أرضية.

إن ما سبق يعني أن الخطاب الذي نحن بصدد تحليله، قد جاء من عناصر دينية وغير دينية. ففي الوقت

الذي يستخدم فيه لغة تحادث النص الديني، فإن في الوقـت عينه يحاول أن يخلطها بـأخرى (فرعونيـة - يهوديـة - سريانية)، وهو الذي يدفع بنا إلى الاعتقاد، بأن واضع النص يحاول إيهام المتلقي بأن النص السـحري لا يتخـارج مـع أصول الدين والعقيدة التي ينتمي إليها، والتي تقـف موقفًـا مناهضا لكل ما يتصل بالسحر. إنه حسب هذا الفعـل فـإن خطاب السحر لم يعن بصيرورة التاريخ، وإنما وقـف عنـد حدود البواكير الأولـى للـذات الإنسـانية وقـف انتعـاش الميتافيزيقا، ناهيك عن أنه حاول أن يسحب الحاضر ويـرده إلى الماضي.

وبيد أننا فيما سبق حاولنا أن نؤول ظاهرة اللغة، فإنه بالنظر إلى ما وراء لغة خطاب السحر. فإننا يتضح لنا أنـه أيضا حاول أن يفهمنا أن القوى غير المرئية لها حياتها التي تشبه حياة الإنسان، وأنه بمقدور الجان أن يتكلم نفس لغتنـا وأن يتمثل لنا في صورة مرئية لكـي يحاورنـا ويشـاركنا وجودنا ويعيش من بيننا ومن خلفنـا دون رؤيـتهم، وأنهـم ينتظمون من قبائل وممالك ودول فضلاً عن أن ثمة تقسـيم للعمل بينهم، وهيدراكية سواء في الرتب أو المكانات.

إن المتأمل في شكل وطبيعة الخطاب ومراميه بشكل كلي، يجده وفقًا لتفعيل المفهوم المتزامن Synchronic فإنه يحمل لغة سكونية أو تراثًا يحاول إعادة إنتاجه من جديد وهو ما يتضح في عدم الخروج عن آثار الأشكال القديمة. إن ذلك يعني أن الزمن لدى صاحب الخطاب هـو زمـن مطلـق، أو الزمن الذي وجد فيه هو الزمن الحاضر الذي يخلو مـن أي تطور أو تغير سواء في العلم أو التكنولوجيا.

إنه حسب ما تقدم يكون خطاب السحر قـد اسـتخدم مجموعة من المفاهيم والكلمات المجـردة والموجـودة فـي مخزنه المعرفي، إذ يحاول أن ينسق بين هذه المفاهيم ليكون وحدة لسانية معقدة، وهو ما يسمح بعدم التواصل، أو فهـم مقاصد الخطاب. فاللغة التي أتى بها الخطاب لـم تكـن أداة تواصل، حيث كونها جامدة، فضلاً عن أنها لم تسـاهم فـي الوصول إلى ما وراء اللغة، أو ما تشير له اللغة. إن عـدم ربط اللغة المجردة بالمحسوس يجعل من هذا الخطاب أنه لا يخاطب الذات الإنسانية، وإنما جاء إما لمخاطبة أرواحا غير مرئية صورها خيالات واضع الخطـاب، أو أنـه يخاطـب بطريقة جوانية من صاغ الخطاب لكي تستمر القوى الغيبيـة

من أجل خدمة ما هو مكبوت أو مسكوت عنه، إننـا بـذلك نكون أمام خطاب يتعدى حدود العقل وحتى حدود الممارسة.

إن الخطاب حسب ما سبق، ما هو إلا خطاب داخلي بين العقل الذي وضعه ونفسه، وهو ما نسـتدل عليـه مـن صياغتنا التي جاءت متخارجة من لغة وتصرفات وممارسات الذات الإنسانية في إطار ما هو معاش. إنه بمعنى آخـر أن التواصل الداخلي الذي دفع به الخطاب يجعله حوارا بين الأنا والأنا وليس بينه وبين الآخر. فالأصل في أي خطاب أنه بين مرسل ومستقبل. وبينهما موضوع أو رسالة يتدارسانها لكي يفهم ما هو مقصود من الخطاب. فاللغة دائما تمثل الجسـد الذي يربط بين الذات والآخر، والحادث أن هذه اللغـة لـم تكتمل، وهو ما جعلنا وجعل الكثيـرين غيرنـا لا يفهمـون محتويات هذا الخطاب.

إن التواصل الذي يفترض في أي خطاب لم يحدث، وهذا ما يفسر أن اللغة التي جاء بها تعبر عن زمان ومكـان آخرين، أو قل إنها لغة خاصة لعقل خاص ولوقت وفضـاء اجتماعي خاصين أيضا، وهو ما خلق نوعا من الاضطراب أو التشويش في الحوار إن لغة الخطاب السحري وفـق مـا

سبق تصبح شفرة غير مفهومة، ومن ثم فهي ليست برسالة، وإنما هي تدخل في إطـار مـا أسـماه فريـزر بالتشـبيه أو التداعي. وباعتبار أن الخطاب الراهن يحمل كثيـر مـن التأويلات التي تنفصل عن الواقع المعاش وخبراته، ويحاول أن يعيد إنتاج مواقف معاشة في سياقات عفى عليها الـزمن، فهو يحمل زيفًا وطابعا خياليا مناهضا للمعرفة الحقيقية، ومن ثم فهو خطاب أيديولوجي خاص يحاول نقل الذات من الواقع إلى الزيف. ولما كان خطاب السحر يحمل أيديولوجيا خاصة تخاصم مع العالم الموضوعي، فهو خطاب له دلالات معينـة في بنية عقل واضعه، تلك التي تتمثل في عدم الرضا بكل ما هو قائم. ومحاولة الهروب إلى زمن الفكر الطفولي للإنسان، وهو ما يختزن في اللاشعور.

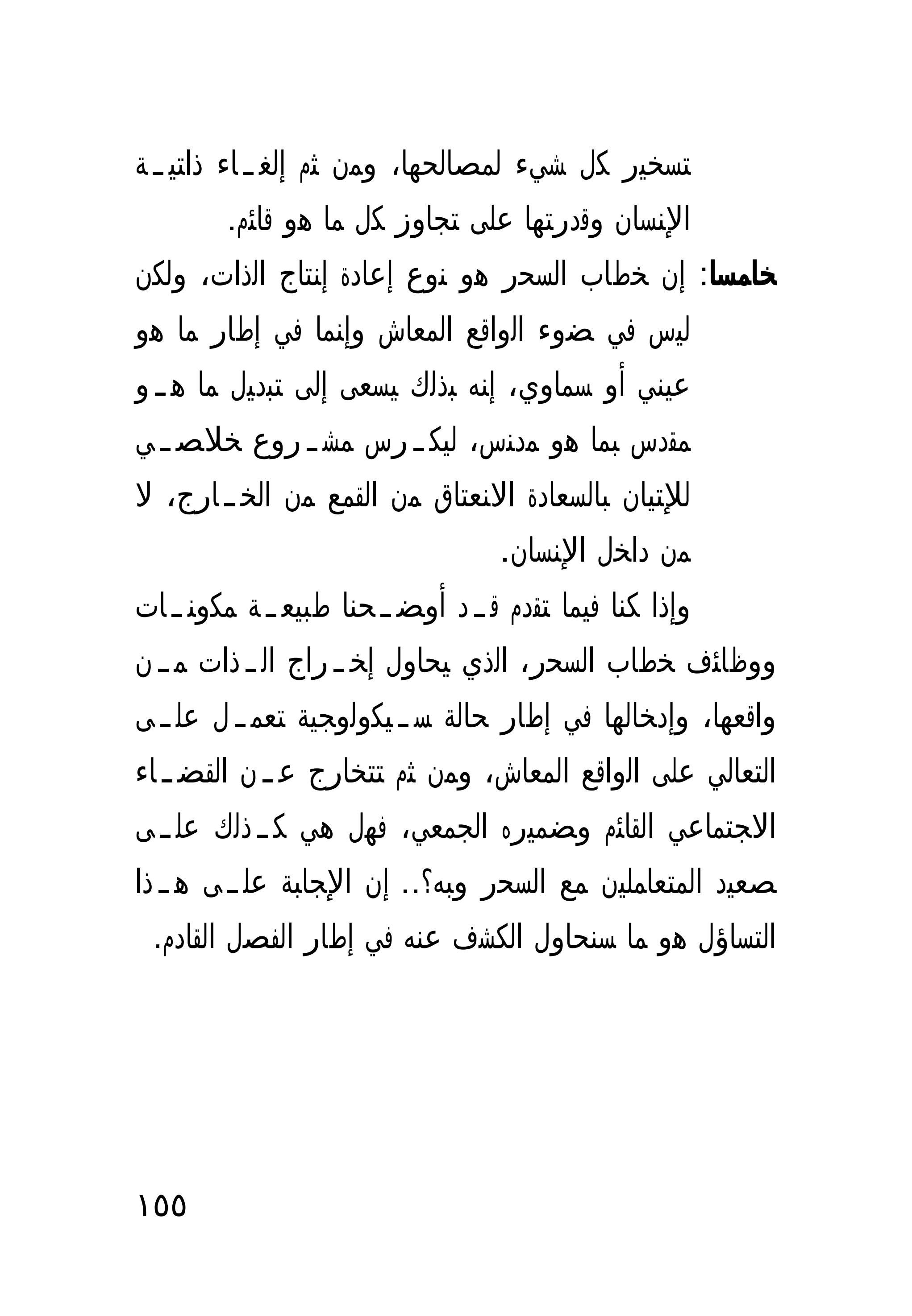
وبيد أن هذا الخطاب يعبر عن زمان ومكان معينين، فهو في الوقت عينه يشير إلى نوع من الوعي الذاتي للفئـة التي يعبر عنها، وتحاول أن تنتج وعيا يسـعى إلـى إنتـاج مفاعيل خاصة بها، تنفصل عن خبرة وقناعات اليـوم. إنـه وفق كل ما سبق فإن هذا الخطاب يسعى إلى تحقيق مجموعة من الوظائف هي:

أولاً: فرض سلطة السحر ومنحه طبيعة اجتماعية، ناهيك عن اعتبـاره منهاجـا لحـل التناقضـات الاجتماعيـة والاقتصادية وحتى الثقافية، وآلية ناجحة لتفعيل كـل التفاعلات الاجتماعية في الواقع المعاش.

ثانيا: إن السحر باعتباره سلوكًا ومنهاجا في التصرف، وأداة فعالة لفرض هيمنة الذات على الآخـر (الأرضـي والسماوي)، فهو يخلق وعيا كاذبا وغائبا يتخارج مع الواقع ويسعى إلى التماهي مع ما هو سماوي.

ثالثًا: يعمل خطاب السحر على ربط ما هـو لا شـعوري، أو ما هو مسكوت عنه، بالتصـورات والمقـولات الدينية، وهو ما يتضح بـربط الـذات بالتصـورات العقيدية الكبرى مثل الألوهية والقوى غير المرئيـة والعقيدة، ناهيك عن تفعيل هذه المقـولات لسـيارة مفاهيم التبعية والانقياد والترهيب والترغيب وإلحاق الأذى أو جلب النفع.

رابعا: إن الخطاب السحري بما ينطوي عليـه مـن غيـاب الوعي، فإنه يستبدل العقيدة لكي يكرس عوضا عنها الطقوس السحرية كسلطة تستطيع من خلالها الـذات



تسخير كل شيء لمصالحها، ومن ثم إلغـاء ذاتيـة الإنسان وقدرتها على تجاوز كل ما هو قائم.

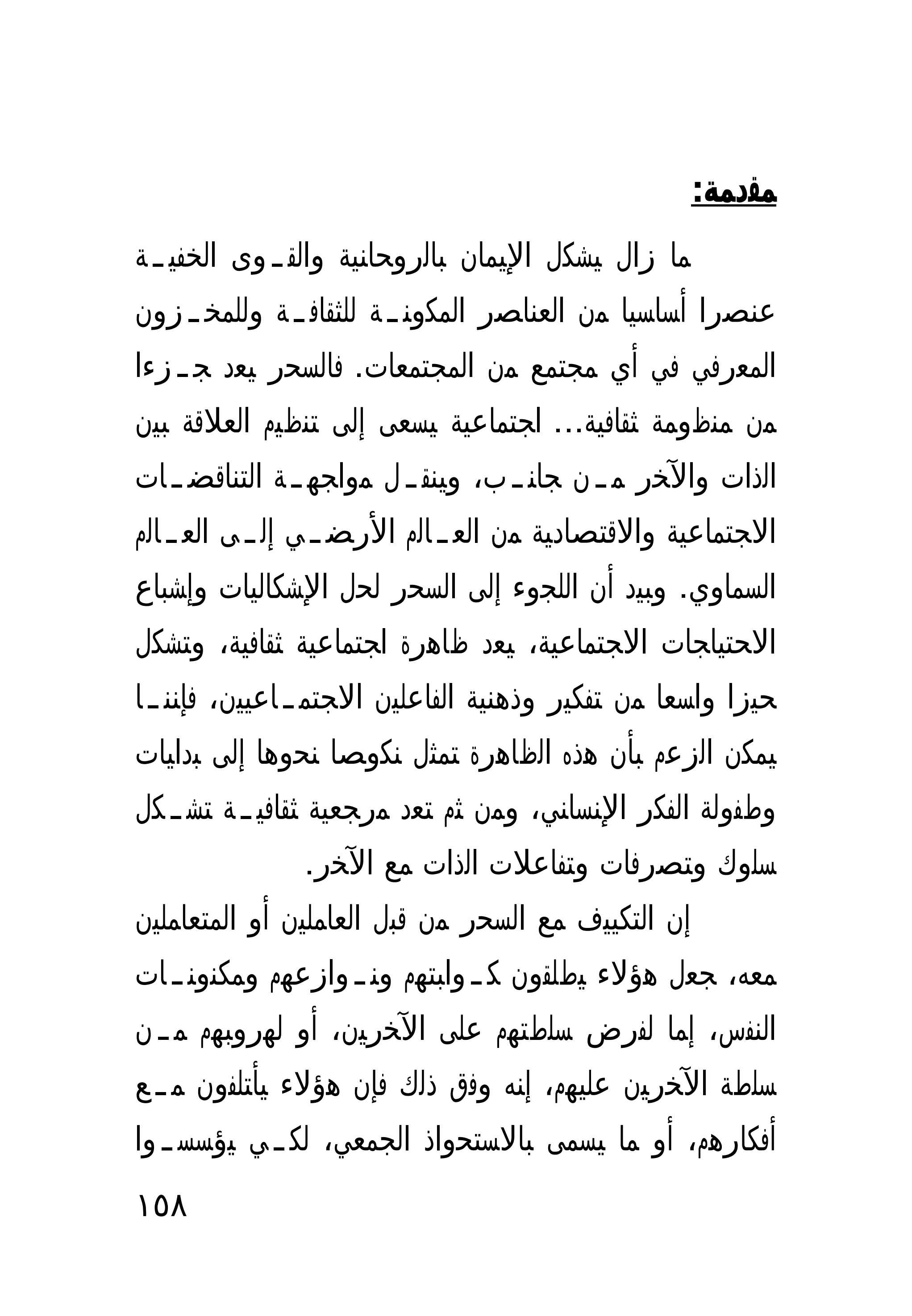
خامسا: إن خطاب السحر هو نوع إعادة إنتاج الذات، ولكن ليس في ضوء الواقع المعاش وإنما في إطار ما هو عيني أو سماوي، إنه بذلك يسعى إلى تبديل ما هـو مقدس بما هو مدنس، ليكـرس مشـروع خلاصـي للإتيان بالسعادة الانعتاق من القمع من الخـارج، لا من داخل الإنسان.

وإذا كنا فيما تقدم قـد أوضـحنا طبيعـة مكونـات ووظائف خطاب السحر، الذي يحاول إخـراج الـذات مـن واقعها، وإدخالها في إطار حالة سـيكولوجية تعمـل علـى التعالي على الواقع المعاش، ومن ثم تتخارج عـن القضـاء الاجتماعي القائم وضميره الجمعي، فهل هي كـذلك علـى صعيد المتعاملين مع السحر وبه؟.. إن الإجابة علـى هـذا التساؤل هو ما سنحاول الكشف عنه في إطار الفصل القادم.



الفصل الرابع

التكيف مع سلطة العقل السحري: طبيعة المواقف المتناقضة



مقدمة:

ما زال يشكل الإيمان بالروحانية والقـوى الخفيـة عنصرا أساسيا من العناصر المكونـة للثقافـة وللمخـزون المعرفي في أي مجتمع من المجتمعات. فالسحر يعد جـزءا من منظومة ثقافية... اجتماعية يسعى إلى تنظيم العلاقة بين الذات والآخر مـن جانـب، وينقـل مواجهـة التناقضـات الاجتماعية والاقتصادية من العـالم الأرضـي إلـى العـالم السماوي. وبيد أن اللجوء إلى السحر لحل الإشكاليات وإشباع الاحتياجات الاجتماعية، يعد ظاهرة اجتماعية ثقافية، وتشكل حيزا واسعا من تفكير وذهنية الفاعلين الاجتمـاعيين، فإننـا يمكن الزعم بأن هذه الظاهرة تمثل نكوصا نحوها إلى بدايات وطفولة الفكر الإنساني، ومن ثم تعد مرجعية ثقافيـة تشـكل سلوك وتصرفات وتفاعلات الذات مع الآخر.

إن التكييف مع السحر من قبل العاملين أو المتعاملين معه، جعل هؤلاء يطلقون كـوابتهم ونـوازعهم ومكنونـات النفس، إما لفرض سلطتهم على الآخرين، أو لهروبهم مـن سلطة الآخرين عليهم، إنه وفق ذلك فإن هؤلاء يأتلفون مـع أفكارهم، أو ما يسمى بالاستحواذ الجمعي، لكـي يؤسسـوا

رؤية خاصة عن العالم وفق مقولات وخطاب السحر، تلـك الرؤية التي تبعدهم عما يسمى بالوعي الموضوعي، ويدخلهم في إطار الخيالات والضـلالات، وتجـاوز أبعـاد الزمـان والمكان، والارتكان إلى الموْرث الثقافي المتواصل، الذي لا يزال يشكل حيزا في ذهنية الـذات الإنسـانية فـي العـالم المعاش. إنه حسب ما سبق، فإن الفصل الراهن يسعى إلـى الكشف عن الدوافع الاجتماعية والاقتصادية والثقافيـة التـي تجعل فئة من الناس تتعامل مع السحر أو تتكيف معه لإشباع احتياجاتهم فضلاً عن الوقوف على مصادر المعرفة بالسحر وطبيعة استخدامه. ولكي ننجز ذلك فإننا قمنا بإجراء دراسـة ميدانية على عينة مقصودة من المتعاملين بالسـحر، إذ مـن خلالها تم تطبيق استمارة مقابلة كانت تضم أربعة وأربعـين سؤالاً، وحاولنا الاستفادة من بعض بما يخدم غـرض هـذا الفصل، وحرى بنا أن نسجل أنه قبل تطبيق أداء البحث، فقد قمنا بعرضها على عدد من المحكمين، والذي أفدنا منهم فـي مدى تطابق أسئلة الاستمارة مـع موضـوع البحـث، كمـا أخضعنا الأداة إلى الصدق الظاهري والاختبار القبلي، وهـو ما أفاد في تعديل كثير من بنودها. هذا ويستند البحث علـى

عينة قوامها ٢٥٢ مفردة، جاءت من ثلاث محافظات هـي: سوهاج والفيوم والمنيا، وقد حاولنا أن نسـاوي بـين حجـم العينة في كل محافظة برغم التباين في حجم السكان في كـل منهم، فكان نصيب كل منها على التوالي من الحجـم الكلـي للعينة ٨٨ مفردة (بواقع ٣٤,٩ %)، ٨١ مفردة (بواقع ٣٢,١ %)، ٨٣ مفردة (بواقع ٣٣ %)، ويجدر بنا أن نوضـح أن اعتبارات اختيار هذه المحافظات في هذه الدراسة لم يخضع لاعتبارات منهجية، بقدر ما كانت تعـود إلـى اعتبـارات وجودية، حيث انتشار التعامل مع السحر بشكل كبيـر فـي محافظات الوجه القبلي إذا ما قورنـت بمحافظـات الوجـه البحري. وإذا كنا قد ركزنا هنا على محافظات الوجه القبلي وفقًا للاعتبار السابق، فإننا قد ركزنا على المراكز والقـرى التي يعج فيها التعامل بالسحر بصورة كبيرة، وهو ما حدا بنا إلى اختيار "منبال" بمركز طما بمحافظة سـوهاج، وقريـة "نقاليفة" التابعة لمركز سنورس بمحافظـة الفيـوم، وقريـة "السكساكة" الخاضعة إداريا لمركز مطاي بمحافظـة المنيـا، وإذا كنا فيما سبق قد حددنا المجال البشري والمكاني للبحث الراهن، فإنه ينبغي لنا الإشارة إلى أن المجال الزمني للبحث

كان يتجدد في الشهور الثلاث الأولى مـن العـام الجـامعي ١٩٩٩/ ٢٠٠٠ م، إذ قام الباحث بمعاونة بعـض البـاحثين بتطبيق استمارة البحث على المناطق السالف الإشارة إليهـا، حيث كانوا من أبناء هذه الأماكن.

أولاً: في وصف الطبيعة الاجتماعية لعينة الدراسة:

وللوقوف على الخصائص والطبيعة الاجتماعية لعينة الدراسة الراهنة، حاولنا الإمساك بها من خـلال التركيـب العمري والنوعي والإثني. فمن خلال الجدول رقم (١) الذي يوضح الفئات العمرية لعينة الدراسة، فإنه ينكشف لنا أن هذه الفئات عكست تباينًا في تكوينها، إذ حظيت الفئات العمريـة من ٢٠ ـ ٢٥ سنة نحو ٢٩,٤ % وهي تمثل أعلى النسـب هنا، ثم تأتي الفئة العمرية من ٢٥ ـ ٣٠ سنة في المرتبـة الثانية، إذ تسجل نحو ٢٠,٦ %، وتأتي في المرتبـة الثالثـة المرحلة العمرية من ٣٠ ـ ٣٥ سنة بواقـع ١٩,٤ %، ثـم تسجل الفئة العمرية من ٣٥ ـ ٤٠ سـنة نحـو ١٤,٣ %، وكانت النسبة الباقية (١٦,٣ %) من نصيب المرحلة العمرية من ٤٠ سنة فأكثر.

جدول رقم (١) يوضح الفئات العمرية لصيغة الدراسة

الفئة العمرية	ك	%
٢٠ ـ ٢٥	٧٤	٢٩,٤
٢٥ ـ ٣٠	٥٢	٢٠,٦
٣٠ ـ ٣٥	٤٩	١٩,٤
٣٥ ـ ٤٠	٣٦	١٤,٣
٤٠ فأكثر	٤١	١٦,٣
المجموع	٢٥٢	١٠٠

والمتأمل في النسبة السابقة يستطيع أن يستدل منها على أن عينة الدراسة تقع في أعمار الشباب، أو أن معظم المتعاملين أو الطالبين للسحر يقعون في الفئات العمرية الشابة، التي راحت ترتكن إلى الأعمال السحرية لإشباع احتياجاتهم من جانب، ولتفعيل سلطة السحر إما لإذعانها لخدمة مصالحهم أو للهروب من خلالها عن سلطة الآخرين. وإذا كانت عينة الدراسة قد تقاسمها الفئات العمرية الواقعة في مرحلة الشباب، أو في مرحلة القوى العاملة، فإن هذه الفئات قد جاءت غير ممثلة لطبيعة تمثل النوع (ذكور ـ إناث) في المجتمع. وهذا ما يدعمه تمثل الذكور بنحو ثلاث أرباع العينة (٧٤,٦ %) من عينة الدراسة، بينما تحقق

الإناث النسبة الباقية، وهذا ما يعني أن ثمة أسباب اجتماعية وثقافية قد حالت دون تمثيل الإناث بصورة موضوعية فـي المجال مكاني للبحث، حيث ما زالت بعض القيم تحول دون تحقيق الإناث لذاتيتها، وفي الوقت الذي لم يعكـس التمثيـل النوعي لعينة الدراسة للصورة الحقيقية لتمثـيلهم فـي أرض الواقع، فإن هذه الصورة قد اختلفت في طبيعة الديانة، حيـث اقتربت قليلاً من طبيعة الواقع، حيث كانت نسبة المسـيحيين من حجم العينة نحو ٢٩ %، وكان للمسلمين حوالي ٧١ %. واستكمالاً لتوضيح الطبيعة الاجتماعية لعينة الدراسة، فـإن الدراسة الراهنة تكشف عن أنه على الرغم من أنـه مهـن العينة قد تباينت في تمثيلها ميدانيا، إلا أنها تقترب من الواقع الحقيقي لتمثيل المهن في القرى المصرية، وهذا ما يوضـحه الجدول رقم (٢) والذي نستطيع أن نسـتدل منـه علـى أن الفلاحين يشكلون حوالي ٣٧,٣ % من إجمالي العينـة، وأن الحـرفيين نحـو ١٦,٣ % والتجـار حـوالي ١٤,٧ %، والموظفين نحو ١٣,١ %، ويبلغ العمال بأجر حـوالي ٨,٧ %، ويحقق من لا يعمل ٧,٥ %، بينما تسجل ربات البيوت أقل نسبة فتحقق ٢,٤ % من إجمالي العينة.

جدول رقم (٢) يوضح طبيعة الحالة المهنية لعينة الدراسة.

الحالة المهنية	ك	%
فلاح	٩٤	٣٧,٣
موظف	٣٣	١٣,١
عامل بأجر	٢٢	٨,٧
حرفي	٤١	١٦,٣
تاجر	٣٧	١٤,٧
لا يعمل	١٩	٧,٥
ست بيت	٦	٢,٤
المجموع	٢٥٢	١٠٠

وبالنظر إلى الحالة التعليمية لعينة الدراسة، نجـد أن الشهادات المتوسطة سجلت مكانة متقدمـة إذا مـا قورنـت بغيرها من عينة الدراسة، إذ حققت نسبة تقدر بـ ٣٠,١ %، ويأتي من يقرأ ويكتب ليحظون بنحـو ٢١,٨ %، ويحقـق الأميين حوالي ١٨,٧ %، ثم تأتي الشهادات دون المتوسـطة بنحو ١٧,١%، وأخيرا تسجل الشهادات الجامعية فـي ذيـل هذه النسب، إذا بلغت نسبتهم حوالي ١٢,٣ % من مجمـوع عينة الدراسة وعلى الرغم من أن النسب السـابقة توضـح

الطبيعة المهنية والتعليمية لعينة الدراسة، إلا أنها في الوقـت تشير على أن المتعاملين مع السحر، والإيمان بقدرة السـحر على حل المشاكل التي تعترض أو تواجه وجودهم لا تقـف عند حد فئات بعينها، بل يشترك فيها الكل في إطار الوجـود الاجتماعي، وهو ما يعني أن الإيمان بقدرات القـوى غيـر المرئية على إشباع احتياجاتنا ليست حكرا على فئة اجتماعية بعينها، وإنما ينسحب على معظم الفئات الاجتماعية في إطار زمان ومكان هذه الدراسة.

جدول رقم (٣) يوضح الحالة التعليمية لعينة الدراسة

الحالة التعليمية	العدد	%
أمي	٤٧	١٨,٧
يقرأ ويكتب	٥٥	٢١,٨
شهادة دون المتوسطة	٤٣	١٧,١
شهادة متوسطة	٧٦	٣٠,١
شهادة جامعية	٣١	١٢,٣
المجموع	٢٥٢	١٠٠

ثانيا:مصادر المعرفة بالسحر ومن يمارسه:

لما كانت مصادر المعرفة بشكل عام تأتي من خلال منظومة القيم والثقافة السائدة في أي مجتمع من المجتمعات، تلك التي يلعب فيهـا الـدين دورا محوريـا مـن جانـب، والأسطورة والفكر الخرافي من جانـب آخـر، والخبـرات الخاصة التي يسمح بها المجتمع في ضوء مخزونه المعرفي ومكوناته من جانب ثالث، فإن عينة الدراسـة وفقًـا لهـذه المكونات قد أفادت أن الدين والعقيدة تمثل أعلى الاستجابات، إذ سجلت نحو ٣٨,٩ %، وتأتي في مرحلة تالية أن الشواهد والخبرات المادية التي لمسها المبحوثين إذ كانت نسبتها نحو ٣٢,٥ %، بينما احتلت المرتبة الأخيرة الحكي الأسـطوري وتجارب الآخرين، حيث سجلت نحو ٢٨,٦ % من مجمـوع استجابات العينة. وهذا يعني أن المكـون المعرفـي حـول السحر، كما يأتي من خلال سلطة الفكر الديني والعقيدة التي ينتمي إليها المبحوثين، فإنه أيضا يأتي عن طريق الخبـرات الحياتية المعاشة والملموسة، والتي إما أن تأتي مـن خـلال الأفراد ذواتهم، أو من خلال ما يتناقله الحكـي الأسـطوري

حول نجاح السحر في مواجهة ما يعترض حيـاة الأفـراد، والتي قد يعجز عن تحقيقها العلم الطبيعي.

وإذا كانت عينة الدراسة (ما يزيد عن الثلث قليلاً) قد أفادوا أن الدين يشكل المصدر الرئيسي للوعي حول وجـود السحر وفعاليته في مواجهة الأشياء التي تعتـرض سـبيله، أو حتى التي يتعين بها لوفاء بحاجته، فإنهم أيضا قد سـجلوا أنهم يتعاملون مع العاملين بالسحر. ولكن لمعرفة ما إذا كان هؤلاء يدينون بنفس دينهم، أم أنهم يعتنقون ديانة أخرى، فقد أشادت الدراسة أن حوالي ٩٦,٣ % ممـن ينتمـون للـدين الإسلامي يلجئون إلى العاملين بالسحر من نفس دينهم، فـي الوقت الذي أشارت نحو ٩٤,٥ % من عينة الدراسة ممـن يدينون بالدين المسيحي، أنهم لا يلجئون إلى غير المسيحيين. وهذا ما يعكس وجود موانع عقيدية لدى كل من المسـيحيين والمسلمين، تمنع اللجوء إلى من لا يدين بدينهم، وهـذا مـا يجعلنا نرى أن ما سبق يمثل مبـررا لـدى هـؤلاء بعـدم خروجهم عن سلطة النص الديني منهمـا، فضـلاً عـن أن السحر ينتشر بين المتعاملين بين المسيحي والمسـيحي فـي آن.. وللوقوف على المصادر التي عن طريقهـا اسـتطاعت

عينة البحث التعرف على من يتعامل بالسحر، فإن الدراسـة الميدانية تكشف عن أن نحو ٢٩ % قد تعرفوا علـيهم عـن طريق أحد أقاربهم، وحوالي ٢١,٨% قد توصلوا إليهم عـن طريق الأصدقاء، وأفاد ما يقـرب مـن ٢٥ % بـأنهم قـد خبروهم عن طريق روابط الجيـرة، بينمـا يـذهب نحـو ٢٤,٢ % إلى أنهم قد توصلوا إليهم من خـلال معـارفهم الخاصة بذلك.

وبتأمل النسب السابقة مع المكون المعرفـي ونسـب انتشار التعامل بالسحر في مختلف تجمعات عينة الدراسـة، فإننا يمكن الزعم بأن هذه المجتمعات ينتشر فيها العاملين به، وأن السحر يشكل مكونًا أساسيا من مكونات المعرفـة لـدى عينة الدراسة. ويمكننا أن نستدل أيضا على ما دفعنا به توا، من خلال استجابات عينة الدراسة حول معرفتهم بمكان إقامة العاملين بالسحر. لقد أشار ما يقارب من نصف عينة الدراسة إلى أن هؤلاء يقيمون في القرى ذاتها التي يقطنـون فيهـا.. ففي الوقت الذي ذكر حـوالي ٤٨ % أنهـم يعيشـون مـع العاملين بالسحر في نفس القرى، فإن حوالي ٢٨,٥ % قـد أشاروا أنهم يقطنون في القرى المجـاورة أو القريبـة مـن

إقامتهم، كما أفاد نحنو ١٧,٥ % منهم أنهـم يقيمـون فـي المحافظات الأخرى، بينما يشير نحو ٦ % أنهم يعيشون في المدن التي تنتمي إلى نفـس محافظـاتهم. وهـذا يعنـي أن العاملين بالسحر لا يعيشون وحسب في الأمـاكن الطرفيـة أو الهامشية، أو في إطار المناطق التي تعج فيهـا الثقافـات التقليدية، وإنما أيضا تضمهم المدن التي هي محل الثقافـات الحديثة، وحيث إن العاملين بالسحر لا تحدهم حدود ثقافيـة معينة أو حتى مكانية فما هي الأسباب التي تجعل من السحر ظاهرة اجتماعية تسـود وتنتشـر بـين مختلـف الفئـات الاجتماعية، وكذلك التجمعـات الإنسـانية سـواء التقليديـة أو الحضرية؟. لقد أفادت عينة الدراسة أن الأسباب في ذلـك ترجع إلى انتشار الأمية والخرافة (٢٣ %). وعدم الإيمـان بالطب والعلوم الحديثة (٢٥,٨ %). وقدرة العاملين بالسـحر على حل المشكلات والشفاء مـن الأمـراض (٣٢,٥ %)، وعدم الالتزام بالفعالية الدينية والعقائد (١٨,٧ %).

وإذا كنا فيما سبق قد وقفنا على الأسباب التي تجعل من السحر ظاهرة اجتماعية في مجتمعات البحـث الثلاثـة، فضلاً عن أنها تسود أيضا في كل من الريف والحضر، وكذا

بين التكوينات الاجتماعية التي تضمها، فهل المتعـاملين بـه يتقاضون أجرا لما يقومون به من أعمال؟. وللإجابـة عـن ذالك، فقد أفاد نحو ٩٤,٨ % من عينة الدراسة أن من لجئوا إليهم يأخذون مقابلاً ماديا لقاء ما يقومون به من أعمال، بينما ذكر عكس ذلك نحو ٥,٢ %، حيث يرون أن هؤلاء يعملون ما يطلب منهم بغية وجه ا . إنه يتضح هنا وفقًا لما ذكرتـه النسبة الكبيرة من عينة الدراسة، أن القائمين بالسحر يجعلون من هذه الأفعال وجهة للكسب، ووسيلة لتـدبير احتياجـاتهم على حساب الطالبين للسحر. وللوقـوف علـى المجـالات المختلفة التي يسـتخدم فيهـا العـاملون بالسـحر فنـونهم وطقوسهم، فقد ذكرت نحو ١٧,٩ % من عينة الدراسة أنهم يستخدمونها في طرد الأرواح الشريرة والمـس الشـيطاني، وأن ١٢,٣ % أشاروا إلى عملية تفعيل الطقوس السحرية في عملية الربط، وأن نحو ٢٠,٦ % أخبروا بأنهم يعملون على حل النزاعات الزوجية والحيلولة دون تفعيل الطـلاق، وأن حوالي ٢٣,٥ % وضحوا أنهم يقدمون بفتح المندل لمعرفـة اللصوص والبحث عن الغائبين، وأن حوالي ١٧,٥ % ذكروا أنهم يقومون بالتوليف بالمحبة من أجل الزواج، وأن حـوالي

٢٢,١ % ذكروا أنهم يعملون من أجل الخلفة، وأن حـوالي ١٤,٧ % أفادوا أنهم يقومون بعلاج الأمراض، في حـين أن حوالي ١,٦ % يقومون بالأعمال من أجـل جلـب الـرزق أو البحث عن عمل. إن المدقق فيما سبق يستطيع أن يلمـس إلى أي حد أن ثمة تخفيضا في عمل هؤلاء، فضلاً عن تفعيل الطقوس السحرية في كل الأمور الحياتية، وهو ما يعنـي أن عدم مواجهة المسائل الحياتية تفرض على الذات الإنسـانية بطريقة جوانية اللجوء إلى هؤلاء لتفعيل القوى الغيبية لإنهاء المشكلات التي يواجهونها، وهو ما يجعلنا نـرى أن إنسـان اليوم ما زال يعيش بعقلية الإنسان البدائي أو المتوحش.

وبيد أن العلم الحـديث يتنـاقض مـع مثـل هـذه الممارسات والأفعال السحرية، فإن عينة الدراسة قد أخـذت موقفًا متناقضا مع مقولات العلم. وفي هذا الصدد يرى نحـو ٨٤,٥ % أن ما يقوم به العاملون بالسحر، يتم نجاحه ويظهر أثره بصورة سريعة ومباشرة. وعلى عكس هـؤلاء، فـإن حوالي ١٥,٥ % قد أشاروا إلى أن ما يقوم به هؤلاء لا يقدم ولا يؤخر. وبغض النظر عن موقف المعارضين والمؤيدين لفعالية الفعل السحري ونجاحه في التـأثير علـى الأشـياء

وقضاء الحاجة، فإن ما هو واضح أنه ليس هناك قانون ثابت لنجاح الأفعال السحرية، فضلاً عن أن عينة الدراسة ما زال الموقف الثقافي يشكل مخزونهم المعرفي، وأن اللاشعور هنا وفقًا لخيالاته يقدم السحر على أي تفكير آخر، حتى لو كـان تفكير الذات نفسها.

ثالثًا: المكون المعرفي للمبحوثين والموقف من استخدامات السحر:

إذا كنا قد أثبتنا في موضوع سابق من هذا الفصل أن المكون المعرفي حول السحر وقضاياه، قد أتى قـوات مـن ثلاثة روافد رئيسية هي: الدين، والإرث الثقافي، والأساطير والخبرات الحياتية المعاشة، فـإن مـن الواضـح أن هـذه المكونات تمثل الإطار المعرفي حول السحر والإيمان بفعاليته وعلى الرغم من الضوابط الدينية والدنيوية التي يضعها الدين والمجتمع، إلا أن الفاعلين الاجتماعيين في مجتمع الدراسـة ذهبوا إلى الخيار السحري لمواجهة مشكلاتهم وفـق تأويـل خاص بهم، عن أنهم يتجهون صوب هذه الأفعال من خلـف المجتمع والدين وقواعدهما التي تشدد على تحريمها.

إن ما سبق يمكننا أن ندلل عليه من خلال ما قـدموه من استجابات، ففي الوقت الذي يقـر نحـو ٨٧,٧ % مـن المتعاملين بالسحر، بأن السحر والتعامل معـه يـدخل فيمـا يسمى بالحرام، والخروج عن شريعة الدين والمجتمع، إلا أنه في الوقت عينه يفعلون هذه الأعمال نتيجة لكثرة الضـغوط والمشكلات لحد الأذى (٦٤,٧ %) أو هو نوع من رد الفعل (أنا بأذي اللي بيؤذيني (١٦,٧ %) أو أنه يسهل أمور حياته دون أن يصـيب آخـرين بـأي أذى (٦,٣ %) وحيـث إن المتعاملين بالسحر وضعوا وراء ظهورهم الضوابط الدينيـة والمجتمعية التي تحرم التعامل مع الفعل السحري، وهو مـا يتضح في تأوليهم السابق، فإنه من الدراسة الحالية، يتضـح أيضا أن هؤلاء كانوا على وعي بطبيعة السحر الذي لجئـوا إليه. لقد أوضح حوالي ٦٤,٧ % من عينة الدراسـة أنهـم استخدموا ما يسمى بالسحر الأبيض، أي السحر الذي يتعامل مع أفعال الخير، والذي يتم فيه استخدام أنواع مـن الآيـات والتراتيل التي أتت بها الكتب المقدسة وفي مقابل هؤلاء فقـد أفاد نحو ٣٥,٣ % أنهم لجئوا إلى من يعمل بأعمال الشـر، أي بالسحر الأسود الذي به يتخارج من يعمل ويطلب عـن

دائرة النص الديني، خاصة وأنه تنفيذ قـول وفعـل الجـان أو الشيطان.

إننا نفهم من ذلك أن عينة الدراسة على وعي بـأن ثمة أفعال للشر وأخرى للخير، وهو ما يحدثنا عنه خطـاب السحر ليس فقط في الديانات السماوية، ولكن أيضا فيما قبل ظهورها. ولكن ما هي إلا دورات والآليات التي تستخدم في إطار كل من النوعين السابقين؟ علـى ذلـك تجيـب عينـة الدراسة أن أفعال الخير دائما ما يستخدم فيها نصوص القرآن (بالنسبة للمسلمين) أو التراتيل (بالنسبة للمسيحيين) التي جاء بها إما الإنجيل أو المزامير، بالإضافة للبخـور والتعاويـذ والكتابات. وإذا كان ما سبق يخص أفعال الخير، فإنـه فـي صدد أعمال الشر دائما ما يأتي القائم بالعمل السحري بأفعال غير مفهومة، فضلاً عن أنه يطلـب تقـديم القـرابين إلـى الشيطان (مثل ذبح طير أو حيوان دون إطلاق اسم ا عليه، وإنما يردد اسم الشيطان).

وحول مدى فهم عينة الدراسة لطبيعة ما يتلى أو يتم فعله أثناء الأعمال السحرية، فقد أشار نحو ٧٨,٢ % أنهم لا يستطيعون تفسير ما يحدث، وعلى عكس هؤلاء فقد أوضـح

نحو ٢٢,٨ % أنهم يفهمون ويعدون بكل ما يحدث وما يتلى. ووفق هذه الاستجابات، فيمكننا أن نفسر عدم وقوف ما يزيد عن ثلاثة أرباع العينة لما يحدث بـأن المشـتغلين بالسـحر يفعلون الكتب القديمة التي كتبـت إمـا باللغـة السـريانية أو الفرعونية أو حتى اليهودية، والتي هي لغة كتب السـحر القديمة، أو بحسبانها تأتي مصاحبة بنـوع مـن الهنـديانات والغياب التي تحدث دائما أثناء جلسات الفعل السحري، أمـا بالنسبة للكلام الذي فهمه أفراد عينة الدراسة، فإنه في الغالب يكون نتيجة تعامل القائم بالسحر باستخدام الآيـات القرآنيـة أو التراتيل التي يفهمها من يعتنق أيا منها.

وللوقوف على الأشياء التي يتم التعامل فيها بالسحر، فإنه وفقًا للتفرقة السابقة بين أعمال الخير والشر، فإن هنـاك من أفاد في استخدامه لطرد الأرواح الشريرة أو ما يسـمى بالمس الشيطاني (١٤ %)، وفي جلـب الـرزق ١٠,٣ %، وفي التفريق بين الزوج والزوجة (٥,٦ %)، وفـي طلـب الخلفة (١٢,٣ %)، وفي تقوية الناحيـة الجنسـية والـربط (١١,٣ %)، وفي المحبة وتأليف القلوب والزواج (١٣ %)، وفي الكشف عن السرقة (٧,٧ %). وبغض النظر عن تفعيل

السحر واستخداماته في أعمال الخير أو الشر، فإننا يمكن أن نفسر ذلك في إطار ما يسمى بتسلط الإنسان على الآخر. إن محاولة الإتيان بسلطة أخرى لتحقيق الأغراض لا يتفارق مع الثقافة والمكون المعرفي السائد، ذلك الذي يدفع الإنسان إلى التوكؤ عليها في صراعاته التي يحاول أن ينقلها من العـالم الأرضي إلى العالم السماوي، وفق طريقة سيكولوجية بهدف إرضاء الذات.

وحيث إن مبحوثي الدراسة قد آمنوا بفاعلية السـحر في تخليصهم مما يواجهون مـن مشـكلات سـواء كانـت اجتماعية أو اقتصادية، وكذا مساعدتهم في فرض سـيطرتهم أو انعتقاهم من سيطرة الآخرين، فإن هذا ما هو إلا هـروب من الواقع القائم إلى آخر قد يكون في عقل الذات وبعكسـه اللاشعوري، أو قد يكون في إطار ما هو سماوي وغيبـي، ذلك الذي يعكسه المخزون المعرفي للذات. وفي هذا المقـام ثمة تساؤل يطرح نفسه مفاده: هل بقية أفراد المجتمع (غيـر عينة الدراسة) يتقاسمون معهم ذات الوعي؟. ولكـي نجيـب على التساؤل السابق من خلال الدراسة الراهنة، فقد أفاد نحو ٩٨ % من عينة الدراسة أن ما يلجئون إليـه مـن أفعـال

سحرية، يلجأ إليه أيضا جمع من الناس في إطـار إقـامتهم، وللوقوف على طبيعة الأسباب التي تدفع هؤلاء إلى ذلك، فقد تبين أن ٣٤,٤ % من العينة قد أشـاروا إلـى أن طغيـان المشكلات الاجتماعية والاقتصادية تعد أحد الأسـباب التـي تقف وراء هذا الفعل (الناس يلجئوا لكـده عشـان الـرزق والطلاق والزواج). والواقع أن ما سبق لا يمثل فقط الأسباب التي ذكرتها عينة الدراسة، بل أشاروا أيضا إلـى الأسـباب الآتية: نقص الوازع الديني (عدد القسمة بـالمكتوب) ٢٤,٦ %)، وزيادة الصراعات الاجتماعية بين الأفراد (كيد الناس للناس) (٢٢,٣ %)، وزيادة الأمراض المستعصية وعدم الثقة في الطب الحديث وزيادة تكاليف (العلاج بقى غالٍ ومش كل حاجة بتتعالج (١٨,٧ %).

إنه وفق كل ما تقدم، فيمكننا القول: حضور السـحر كمكون معرفي للذات الإنسانية قد دفعها إلـى مواجهـة مـا يعترضها من مشكلات في الواقع المعاش، الأمر الذي جعـل العقل الإنساني ينفتح على الذات المنقول المتصل بلا عقـل، وهو ما يجعلنا أمام معرفة ترتبط بالذات الثقـافي المنقـول أو المكتوب - الشعبي الذي راح إليه التكوينات الاجتماعيـة

المختلفة، لإفراغ ما هو مكبوت فيهم. والواقع أن سيادة العقل بصورة جمعية، إنما يعني أن ثمة صراع أو ثورة ضد ما هو مؤسس ونخبوي وسلطوي ومقدس. لقد أضحى الوهم واقعـا اجتماعيا ولم يفلت منه قاصٍ أو دانٍ، وهو ما يشير إلـى أن الثقافة السائدة لا تخضع لسلطة العقل، وإنما لسلطان اللاعقل ولكل ما هو غير مرئي، إن تفعيل السحر في مجتمع الدراسة يعني ثمة تواصل بين الشعبي والمكبوت فينا والمسكوت عنه وبين ثقافة الأولين وأساطيرهم. إن نسـج العقـل السـحري سلطة على الذات الإنسانية، جعلها تدير ظهرها لكل الضوابط سواء الدينية أو الدنيوية، حيث راحت تحقق كل رغباتها وفق تعاليم الغيبي واللامرئي. إن تعانق المقدس والمـدنس علـى مسرح الحياة المعاشة يجعل من الطقوس الحرية تحتل مكانة متقدمة، بينما يأتي الدين والعقل في مرتبة متدنية. إن السحر بارتباطه بالعقل يصبح وفق تأويلنا معارضة عقلية وعمليـة لكل الضوابط والمعارف والأفكار القائمة، الأمر الذي أدخـل الذات في تناقض بين ما هو ديني وما هو شعبي وموروث، فالعقل السحري هنا يزيل كل حدود الطبيعة لكي يقيم سلطانه

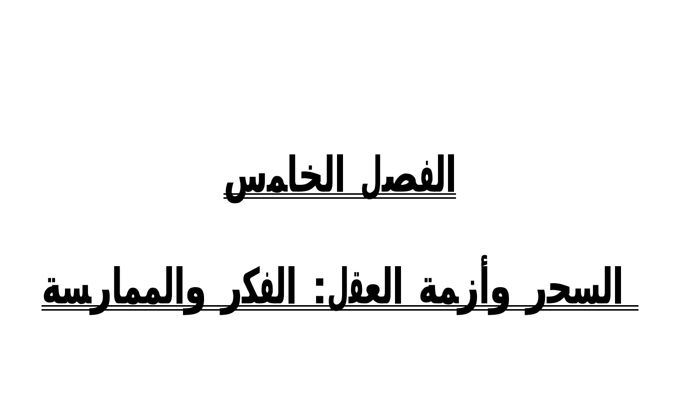
وملكوته الخاص على عقل الحالمين الذين يريدون تجاوز ما هو واقعي عن طريق الغياب بعيدا عن المعاش.

إن استخدام الذات للسحر، هو محاولة لامتلاك الدنيا، إذ يكون فيها العقل غائبا ومتجاوزا لكل ما هو معقول، وهذا ما يمثل مشروع العالم القديم، الذي كان يسعى فيه الإنسـان الأول إلى قهر الطبيعة في مهد وجوده خاصة في مرحلتـي اللاهوتية والميتافيزيقية. إن تفعيل الـذات لسـلطة السـحر، لفرض سيطرتها على الآخر وعلى الوجود، ساهم في دخولها في مرحلة التوهم والخيال واستحضـار المسـتور المتـآمر واستباحة المنظور بهدف جلب أشياء دون بذل أي قدر مـن الجهد والعمل وإعمال العقل، ذلك الذي يجعل العالم المعـاش عالما مقلوبا، يسعى بقوة الاعتقاد إلى فـرض عقـل يتسـم بالفصام والغياب عن كل ما هو قائم. إن اغتيال العقل لصالح الباطن المكبوت، وضد الظاهر المرئي جعل المتعاملين معه صرعى لكل أنواع الاستغلال الذي يقع على كـاهلهم، دون أدنى حركة منهم لمواجهة ما يواجهونه من مشكلات تعـوق تحقيق إشباعاتهم.

إن محاولة فرض الذات الإنسـانية سـلطتها علـى الآخرين والعالم الذي يعيش في إطاره من خـلال الطقـوس السحرية، ما هي إلا محاولة لمنح الإنسان صفات الألوهيـة، والتي بها تسعى إلى تجاوز كل ما هو إنساني وعقلاني، وهو ما يعني أن هذا الفعل هو حلم بعالم طوائي آخر جديد، يسعى إلى إبدال الدين والعلم بالسحر، وإحلال الكسل محل العمـل، وتغيير ما هو أرضي بما هو سـماوي. إن ضـعف الـذات الإنسانية أمام وهم السحر ونجاحاته فـي تبـديل الأوضـاع الاجتماعية القائمة يجعلنـا نفسـر العلاقـة بـين السـحر والممارسة. فالذات الإنسانية وفقًا لمخزونها المعرفي تتعرف وتتفاعل وتتكامل، تلكم هي قصة العلاقة بين الذات الإنسانية والواقع المعاش.

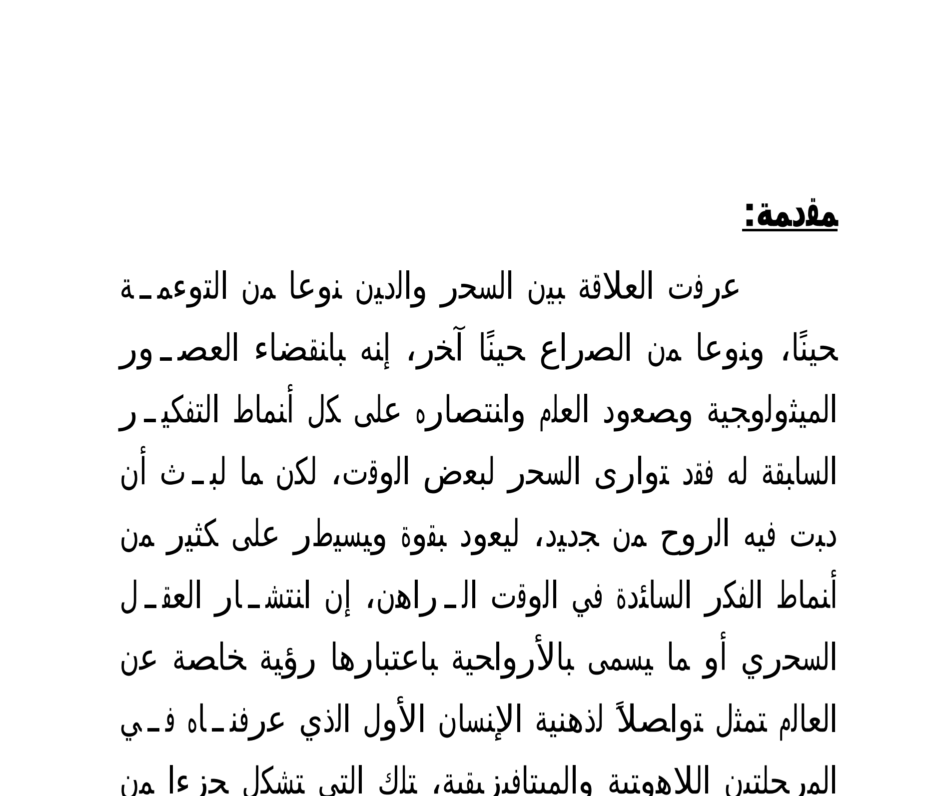
وبيد أن في هذا الفصل قد حاولنـا الوقـوف علـى الدوافع الاجتماعية والاقتصـادية والثقافيـة، التـي تجعـل المتكيفين مع السحر يحاولون إشباع احتياجـاتهم ومواجهـة مشكلاتهم من خلال طقوس السحر، وإبدال ما هو مقدس بما هو مدنس، فإننا أيضا حاولنا، وحتى تكتمـل صـورة هـذا الموضوع، أن نغيض اللثام عن طبيعة الفكر والممارسة في

إطار الفعل السحري. ولما كانت استمارة البحث لا تسـتطيع الغوص في الأعماق لتأتي بتفسير وتأويل معقولين حول ذلك، فقد حاولنا أن نفعل منهج دراسة الحالة حتى يمكننا أن نكشف بصورة واقعية عن مجموعة الممارسات التي تتم فـي هـذا الحقل، وهذا محور اهتمام الفصل التالي.



الفصل الخامس

السحر وأزمة العقل: الفكر والممارسة



مقدمة:

عرفت العلاقة بين السحر والدين نوعا من التوءمـة حينًا، ونوعا من الصراع حينًا آخر، إنه بانقضاء العصـور الميثولوجية وصعود العلم وانتصاره على كل أنماط التفكيـر السابقة له فقد توارى السحر لبعض الوقت، لكن ما لبـث أن دبت فيه الروح من جديد، ليعود بقوة ويسيطر على كثير من أنماط الفكر السائدة في الوقت الـراهن، إن انتشـار العقـل السحري أو ما يسمى بالأرواحية باعتبارها رؤية خاصة عن العالم تمثل تواصلاً لذهنية الإنسان الأول الذي عرفنـاه فـي المرحلتين اللاهوتية والميتافيزيقية، تلك التي تشكل جزءا من منظومة ثقافية - اجتماعية، تنظم العلاقـة بـين الإنسـان والعالم.

إن اتخاذ الذات من السحر رؤيـة خاصـة للعـالم المعاش يشكل ويفسر علاقته بالآخر وبالوجود، ومن ثم يرسم حدود القوى والسلطة، ويبني الصور الخاصة التي تتمـازج مع موضوعية ما هو قائم، وهو ما يجعلنا نذهب إلى أن هذه الصور ما هي إلا مخزون سيكولوجي أو نوع من اللاوعـي

الذي يعبر عن سلوك اجتماعي محدد، يؤول طبيعة العمليات الاجتماعية (الصراع ـ التعاون) بين الفاعلين الاجتماعيين.

إنه وفق ما سبق فإننا يمكن القول أن العقل السحري أو الأرواحية لها رؤية خاصة عن ذاتها وعن واقعها، ومن ثم فهي نوع من الإدراك الذاتي الذي يتمظهر بشكل خاص في المحتوى المعرفي والتصرفات التي يفرزها الفاعل في إطار وجوده. ولما كانت ظاهرة الوعي بالسحر واقعا يغلفه الغموض فإننا في هذا الفصل نسعى إلى تبيان الرؤى الخاصة للمتكيفين مع السحر، وهو ما يعبر عن المحتوى المعرفي والثقافي من جانب، وكيف يتعاملون مع واقعهم، وكيف يعبرون عن ذاتهم تجاه هذا الواقع.

والواقع أن البحث في العلاقة بين الذات والآخر، وبين الذات والواقع، من خلال التوكؤ على الفعل السحري، يفرض علينا الكشف عن العقل السحري ونموذجه المعرفي، وبين الوعي الخاص به، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أنتجت الأيديولوجية الخاصة به. وبيد أننا نركز هنا على رؤية الذات، فإننا هنا سوف نفعلها في إطار هذه

الدراسة كأداة معرفية في ارتباطها بمفهوم التأويل [1]. وحيث إن مفهوم التأويل يفرض ضرورة وجود آلية منهجية ملائمة، فإن دراسة الحالة تفرض نفسها لإنجاز ما أثرناه قبل قليـل. إن الاستعانة بدراسة الحالة باعتبارها منهجا يهـتم بدراسـة الأفراد والجماعات والتنظيمات، انطلاقًا مـن النظـر إلـى الجزئيات في ضوء علاقتها بالكل، يجعلنا نصطفي مجموعة من الحالات المتعاملة مع بالسحر، بهـدف ترسـيم الحـدود الفارقة سواء على صعيد الاعتقاد أو على مستوى الممارسة، تلك التي من شـأنها أن توضـح كيـف تتبـاين الطقـوس والمعتقدات والممارسات فـي ضـوء تـأويلهم لخبـراتهم وممارساتهم في إطار العقل السحري.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن اختيارنا للمتكيفين مع السحر لم يأتِ من جنس واحد، إذ حاولنا أن نأتي بمجموعـة من المتعاملين مع السحر (ست حالات)، أو العاملين به (أربع حالات)، وذلك للوقوف على حجم التباينات سواء في العمـل

---

(١) Giddens A., Hermeneutics and social theory,, in: Profiles and critiques in social theory, Macmmilan pess London ١٩٨٢, pp. ١ – ١٢.

أو الفكر، فضلاً عن أن استخدام الفعل السحري للهروب من عذابات الحاضر. والحقيقة أن الوصول إلى هـذه الحـالات يعود إلى ثلاث آليات، الأولى هي المعرفة الخاصـة بهـم، والتي تعود إلى بدايات عقد التسـعينات، خاصـة فـي أوج ازدهار العقل السحري وإعادة طرح نفسه بقوة على الواقـع المجتمعي(*)، والثانية أنه تم انتقاء بعض الحالات التـي تـم تطبيق استمارة البحث عليهم، أما الأخيرة فمن خلال هـؤلاء وبتفعيل طريقة كرة الثلج فقد تم الوصول إلى بقيـة حـالات الدراسة، أما بالنسبة للحالات الأخيرة فقد حصلنا عليها مـن أصاحبها، وذلك للوقوف على موقف الدين منه [1].

(*) راجع ملحق الدراسة التي جمعنا بعض ما أثارته الصحافة آنذاك.

(1) حول المنهج المستخدم والأداة في الدراسة الراهنة راجع:

- شحاتة صيام، العنف والخطاب الديني في مصر، دار سـينا، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٩٤.
- شحاتة صيام، الدين الشعبي في مصر، نقد العقل المتحايـل، راقتان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٥، من ص ٩٢ ـ ٩٣.

الحالة الأولى:

نفى صاحب هذه الحالة [1] عن ذاته ممارسة السحر، إذ يقر بممارسته للعلاج بالقرآن، الذي هو من وجهة نظـره نوع من العلاج ليس إلا، فالسحر وفقًا له هو استخدام للغـة غير مفهومة أو قديمة، وعفى عليها الـزمن، ويـؤدي إلـى التمازج مع النصب الديني، أما القرآن فهو عكس ذلك، حيث يوجد فيه أسرار خفية تستطيع شفاء الناس من ا ، وفي ذلك يذكر: "... أنا والحمد لا بمـارس السـحر ولا بمـارس تسخير الجن.. أنا بمارس العلاج بالقرآن واللي بيتخـذ مـن القرآن علاج ما هواش ساحر.. السحر فيـه طلاسـم غيـر مفهومة، وهو مكتوب بلغـات قديمـة تـرى الهيروغليفيـة والعبرية والسريانية... وهي لغات مـا هيـاش متداولـة.. والسحر موجود قبل ما ينزل القرآن.. القرآن فيه آيات كثيرة للشفاء من المرض اللي بيصعب على الطب أنه يدخل فيها.. الآيات دي: قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء

---

(1) يبلغ صاحب هذه الحالة من العمر (٦٠) عاما، وهو متزوج ويقـيم الفيوم، ويحمل شهادة دبلوم المعلمين، وكان يعمل مدرسا.

ورحمةٌ للْمؤْمِنين﴾، القرآن فيه أسرار خفية لا يعلمها إلا الله عز وجلّ، قال تعالى: ﴿يا أَيها الناس قَد جاءتْكُم موعِظَةٌ من ربكُم وشِفَاء لما فِي الصدور وهدى ورحمةٌ للْمؤْمِنين.....﴾.

وإذا كان (م. ن) يستخدم آيات القرآن في قضاء حاجات الناس خاصة فيما يتصل بالشفاء من الأمراض، فإن هذا الاستخدام امتد إليه في حالات الزواج وتأليف القلوب، تلك التي أدخلها في أعمال الخير، التي تتناقض من وجهة نظره مع أعمال الشر وهو وفق ما سبق يقول:

".. أنا بساعد الناس في حل مشاكلهم.. مش بس أنا بحاول تخليصهم من الأمراض، أنا بأستخدم القرآن في عمل الخير.. أنا مبشتغلش في الشر.. زي كان هناك واحد يحب بنت عمه.. هو عاوز يجوزها.. وطلب مني أعمل عمل علشان ربنا يوفقه. وعشان ربنا قال في كتابه: ﴿ يحِبونَهم كَحب الله والذِين آمنُوا أَشَد حبا لله ﴾ فأنا عملت له العمل وكتبت فيه ".. يا من ألف بين الثلج والنار.. ألف بين قلوب

المؤمنين بين فلان وفلانة... اللهم يا من ألف بين يوسف وزليخة، ألف بين فلان وفلانة.. ".

وعلى الرغم من أن صاحب هذه الحالة قد ذكر في صور كلامه أنه لا يقوم بالسحر وأنه يقوم وحسب بالعلاج بالقرآن، إلا أننا نفهم مما سبق أنه يقوم بكتابة بعض الأشياء التي تدخل في باب الأعمال السحرية (مثل الأحجبة والتعاويذ والطلاسم والتحويطة) وهذا ما أيضا ما نشير إليه في المقطع التالي حيث يوضح:

".. أنا زي ما قلت أنني عملت في تأليف القلوب والمحبة، أنا بعمل حاجة اسمها التحويطة.. أنا بكتب بعض الآيات والأدعية عشان يحطها الواحد معاه وتحميه من السوء. ومن شرور الجن والإنس.. أن بعملها لناس كتير.. ودايما للي حيجوز.. هي عبارة عن حجاب، الواحد يشيله معاه.. هو بيحطه في رقبته أو في محفظته أو يعلقه على دراعه.. المهم إنه يكون معاه دايما.. ".

وعن طبيعة ما يحويه ما يسمى بالحجاب أو التحويطة، فقد أشار صاحب الحالة الراهنة إلى أنها

مجموعة من الآيات والأدعية بتكرار معين وبكتابة معينـة، وعبارة معينة، ولتوضيح ذلك فقد أشار:

".. أنا بكتب الحجاب ده من آية الكرسـي والفاتحـة وآية "آمن الرسول.." وآية: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم.." وآية: "وننزل من القرآن.." وآية: "قل هـو ا أحـد" ودي بكتبها ثلاث مرات.. وسورة الفلق ثلاث مـرات.. وسـورة الناس ثلاث مرات.. وبعد كده أقول الدعاء: "كـل ذي ملـك مملوك ، وكل ذي قوة ضعيف عند ا ، وكل جبار صغير عند ا ، وكل ظالم لا محيص له من ا ، حصـنت حامـل كتابي هذا من شر الإنـس والجـن والسـحر والعفاريـت المتمردين بين داود على أفواههم وعصا موسى على أكتافهم، ومن بين أعنيهم شر ومن تحت أرجلهم، ولا غالـب إلا .. حامل كتابي هذا في حرز ا المانع الذي لا يزال من أعتـز به ولا يزال من أستبصر به، سبحان من ألجم البحر بكلماته، سبحان من أطفأ نار إبراهيم بقدرته وسبحان الذي تواضع له كل شيء.. ولا تخف وكلما أسمع وأرى.. اللهم احفظ كتابي هذا واستره بسترك الوفي الحصين في ليله ونهاره وغـدوه وراحته الذي سترت به أولياءك الصـالحين مـن أعـدائك

الظالمين الكافرين، اللهم من عاده ومن كـاده فكـده، ومـن نصب له فخذه واكشف له من أراد به عداوة وشر فذله، ولا تحمله ما لا يقوى ولا يطيق إنك أنت الحق الحقيق، وصـل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. "

إنه مما أوضحه صاحب هذه الحالة فـي السـطور السابقة يمكننا أن نلاحظ خلطه الواضح بين الآيات والسور، فضلاً عن أنه ينسب القرآن الكريم، باعتباره كتابه هو، وهو ما ذكره في أكثر من موضع، وبغض النظر عن ذلك يمكننا أن نشير أيضا إلى قناعته بأن مثل هذه الأدعية قد حفظت من قبل ما يسمى بالأولياء الصالحين، أي أنه يسحب التـواترات الشفوية، أو المكتوبة التي جاءت عن الصلحين علـى مـن يخص به ما يسمى بالتحويطة أو الحجاب.

وإذا كان (م. ن) قد اضطلع بكتابة الأحجبـة أو مـا يسمى بالتحويطة التي تدخل في باب الأعمال السحرية، فإنه أيضا قام بفعل آخر ينسحب عليه طبيعة هذه الأعمال، وهـو ما يطلق عليه بالربط، تلك الكلمة التي تشير في كل أدبيـات السحر إلى فقدان القدرة الجنسية وإحباط الفعل الجنسي، مما ذكره فيما يلي:

".. أنا بستخدم القرآن في علاج الربط.. والـربط ده نوعين.. في النظر.. يعني بتتحول الزوجة في نظر زوجهـا إلى حاجة دميمة أو قبيحة.. والربط الثاني أن ييجي الـزوج عشان يأخذ حقه من زوجته ميقدرش.. وأنا بعالج كل ده.. أنا بجيب سبع بيضات مسلوقة، وبكتب علـيهم آيـات الشـفاء، ويأكلهم الراجل فيبطل السحر على طول.. والربط هو عبارة عن سبع عقد من الفتل الحرير، كل واحدة لون مختلف عـن الثاني.. وكل واحدة عليها تعاويذ معينة.. ".

والمدقق فيما دفع به صاحب الحالة الراهنـة حـول نوع الربط، وكيفية الربط، وكذا الطريقة التي يستخدمها فـي عملية فك الربط، يستطيع أن يزعم أن إدراكه لكل مراحـل عملية الربط والفك إنما تعكسه ذهنية واعية بها، فضلاً عـن ممارسته لها، وهو ما يحاول صاحبنا نفيه وإبعاده عن كـل ممارساته.

وأحرى بنا أن نسجل هنا أن كل ما سبق ليس هو كل ما يمارسه صاحبنا، حيث إنه يشير أيضا إلى أنه يقوم بعلاج حالات عقم النساء والرجال، وذلك إما بوصف بعض العقاقير الطبية أو المزروعات أو الزيوت، فضلاً عن قيامه بـبعض

الاختبارات البدائية لمني الرجل لإثبات مدى صلاحيته وقدرته وقوته على القيام بوظائفه البيولوجية، وحول ذلك يشرح:

".. أنا بعالج المرأة العاقر.. والعاقر دي نوعين.. عاقر خلقية، وعاقر متأخرة بسبب مرض أو ارتفاع في حرارة الفرج أو انخفاض حرارته.. يعني رطوبة في الفرج.. وأنا بوصف لها حاجات من عند العطار عشان إما يهبط حرارة الفرج أو يقضي على الرطوبة.. وبالنسبة للرجل اللي قضيبه مرخي ومبينتصبش بانتظام فدواه عندي أنه يستخدم الصابون النابلسي أو الزيوت مع مية البصل.. الرجل يدلك قضيبه لغاية ما يشد عضله.. وفيه طريقة تانية.. أنا بأخذ أول حرف من اسمه واسم أمه، وبعمل له حاجات بأخذها من كتاب الطب الروحاني للغزالي، وبأكتب له حاجات وعلى طول بيرجع لحالته، بس قبل عمل الحاجات دي أنا باعمل اختبار لمني الرجل علشان أعرف أنه مني صافي ومفهوش ديدان.. لأن لو كان فيه ديدان يبقى ما فيش فايدة، وما لهوش علاج... ولو كان مفهوش يبقى علاجه زي ما أنا قلت.. بعد مجامعة الرجل لمراته ينزل المني بتاعه في

طبق.. ويسيبه ليلة كاملة في الندى.. وفي اليوم الثاني يبص عليه، لو نزل تحت في قعر الطبق يبقى سليم، وإن طفا فوق يبقى هو عقيم كامل.. ويبقى من ضروري من علاجه.. وفي طريقة تانية، أن الرجل يرمي المني بتاعه في ردة سن لمدة ٢٤ ساعة، بعد ليلة كاملة يفتش فيها لو لقي ديدان فيها يبقى سليم، وإن ملقاش يبقى عقيم.. والطريقة دي متبعة في الطب الروحاني القديم.. ".

ولتأكيد مزاعمنا السابقة التي تشير إلى أن صـاحب هذه الحالة يعي وعلى دراية كاملة بكل آليات العمل السحري وطقوسه وفنونه، وأنه حاول أن يدخل من مـدخل العـلاج القرآني لكي يبعد عن ذاته الاضطلاع بمثل هـذه الأعمـال، أو قل لتخوفه من إجراء هذه الحالة بحسـباننا مـن آليـات الدولة، فإنه أشار إلى قيامه بالعمل الروحاني، ذلـك الـذي يتصل بتسخير الجان وتفعيله في خدمة أغراضه.. وفي هـذا الصدد يكشف لنا عن أصول وفن هذا العمل إذ يقول:

".. أنا كنت زمان بقوم بتحضير الجان.. عشان هـو صعب وبيتعبني وبيجيب لي مشاكل، أنا بعدت عنه.. والجان ده نوعين.. واحد روحاني وواحد سفلي.. وده صـعب فـي

تحضيره ويستخدم في الشر.. وأنا مبشتغلش بيه.. أنا باشتغل بالروحاني لأنه بينفع في الخير.. بس له طريقة معينة.. لازم الواحد يصوم صوم النصارى إما لثلاثة أو لتسعة أو لواحـد وعشرين يوما.. الصوم ده مفهوش أكل فيـه روح.. ولازم يكون فيه خلوة، ودايما يكون فيه قراية معينة.. يعني أنا بردد أسماء ا الحسنى مثل الظاهر والباطن والنافع، لأن كل اسم له خادم وله حاجات بيخدم فيها.. ولما بيظهـر الخـادم أنـا بوكله عشان يقضي الحاجة اللي بطلبها منه... "

إن المتأمل فيما ذكره (م. ن) في السـطور السـابقة يكتشف بصورة لا مراء فيها أنه يحفظ عن ظهر قلـب كـل تعاليم خطاب السحر، خاصة فيما يتصل بتحضير ما يسـمى بالأعوان أو بالملوك العلوية التي تحدثت عنها أدبيات السحر، فيما يتصل بخطوات استحضارها لخدمة المطلـوب مـنهم، وهو ما يعني أن هذه الذهنية مثلها مثل المتعاملين بالسـحر يفعلون اللاشعور في مواجهة واقعهم، فضـلاً عـن إبـدال المقدس بالمدنس، ومواجهة الواقع القائم بما هو عيني.

واستكمالاً بما يقوم به صاحبنا من أعمال تدخل فـي أضمومة الأفعال السحرية فإنه يذكر أنه يقوم بفتح المنـدل،

ذلك الذي يستخدم في الكشف عن الأشياء الغائبة سواء كانت مفقودات أو أشخاص غائبين، وحول هذا الموضوع يذهب:

"... أنا لا بقوم بفتح المندل.. يعني لو كان في حـد ضايع منه فلوس أو اتسرقت منه، أو حتى لو فيـه شـخص غايب ومحدش عارف طريقه، أنا بدله عليـه.. أنـا بجيـب فنجان وبحط فيه نقطتين زيت، وبجيب رماد وبحطه فيـه.. وبعد ما أقرأ التعويذة بكون جايب ولد لسة مـبلغش، وأقـرأ عليه سورة "يس" لغاية ما يظهر الجان في الفنجان، وبعـدين بيقدر يدلنا على اللي عاوزينه منه.. مش أي حد ينفع معاه أن يشوف اللي في الفنجان، لازم الولد اللي احنا جايبينه يكـون طبعه هوائي، مكبسن لا ناري ومائي ولا ترابي... ".

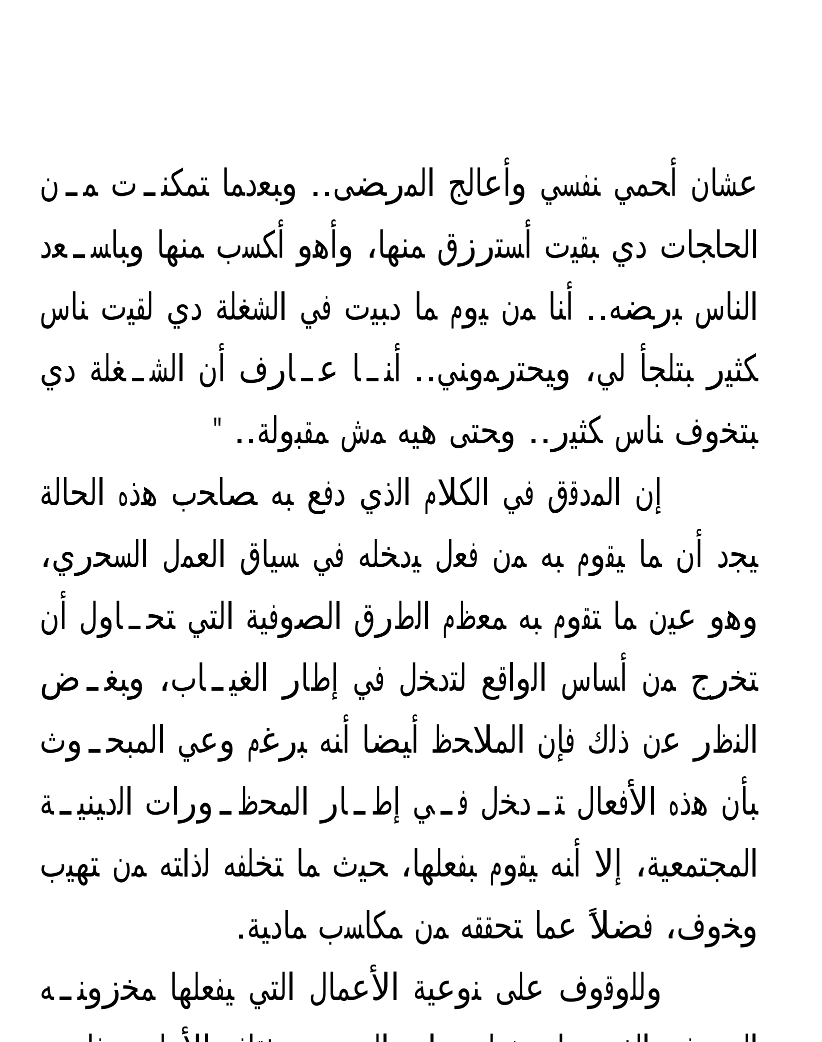
إنه وفق ما جاء على لسان صاحب هذه الحالة فـي المقطع السابق، وأيضا وفق ما طرحه على طول هذه الحالة يكشف عن وعيه الخاص بالأرواحية التي تحدثت عنها كتب السحر، وهذا ما ينفي نفيه لعدم اشـتغاله بالسـحر، وقيامـه وحسب بالعلاج القرآني، إنه حاول أن يدفع في البداية بالعمل بما هو مقدس لينفي عدم تخارجه عـن الضـوابط الدينيـة والدنيوية في آن.

الحالة الثانية:

صاحب هذه الحالة هو شيخ أحد الطـرق الصـوفية القائمة بمحافظة الفيوم، وهو ما يعني أنه يمثل ضـربا مـن الدين الشعبي الذي يحمل بين جنباته تداخلاً بين ما هو مقدس وما هو مدني خاصة ما يتضح لديهم في طقوسهم وحركاتهم، وأيضا فيما يتصل بأفكارهم، وبالأحرى ما يسمى بـالحلول والاتحاد [١]. وحيث إن أفكار هذا النوع من الدين تعتمد على ظهور ووجود أنواع معينة من الكرامات، فإن صـاحبنا قـد اتجه إلى مثل هذا النوع من الأداء لتحقيق مكاسب خاصة له، ومن ثم تحقيق مكانة متميزة سواء بين مريديـه ومشـايعيه، أو بين بقية من يعيش معهم في إطار مكان إقامته، ومما سبق يمكن أن ندلل عليه من قوله:

"…. أنا شيخ الطريقة (…) في الفيوم.. أنـا علـى دراية كبيرة بأمور الدين.. أنا لقيت في ناس كثيرة بتشـتغل في الأعمال، أم عجبتني الفكرة، وقلت في نفسي لازم أتعلمها

([١]) صاحب هذه الحالة هو شيخ أحد الطرق الصوفية بـالفيوم، وهـو متزوج من ثلاث، ويبلغ من العمر نحو (٥١) عامـا، وهـو موظـف بمديرية الأوقاف.



عشان أحمي نفسي وأعالج المرضى.. وبعدما تمكنـت مـن الحاجات دي بقيت أسترزق منها، وأهو أكسب منها وباسـعد الناس برضه.. أنا من يوم ما دبيت في الشغلة دي لقيت ناس كثير بتلجأ لي، ويحترموني.. أنـا عـارف أن الشـغلة دي بتخوف ناس كثير.. وحتى هيه مش مقبولة.. "

إن المدقق في الكلام الذي دفع به صاحب هذه الحالة يجد أن ما يقوم به من فعل يدخله في سياق العمل السحري، وهو عين ما تقوم به معظم الطرق الصوفية التي تحـاول أن تخرج من أساس الواقع لتدخل في إطار الغيـاب، وبغـض النظر عن ذلك فإن الملاحظ أيضا أنه برغم وعي المبحـوث بأن هذه الأفعال تـدخل فـي إطـار المحظـورات الدينيـة المجتمعية، إلا أنه يقوم بفعلها، حيث ما تخلفه لذاته من تهيب وخوف، فضلاً عما تحققه من مكاسب مادية.

وللوقوف على نوعية الأعمال التي يفعلها مخزونـه المعرفي الذي جاء بفعل تراث السحر، وثقافة الأولين، فإنـه يتضح أنها تتمثل فيما يسمى بالتحويطـة وأعمـال الحـب ومعالجة الربط وعلاج بعض الأمراض مثل المس الشيطاني، وإذا كانت توضح ما أشرنا إليه توا، فإنمـا توضـح مـاذا

يستخدم فيها لتفعيل فعلها من وجهة نظر هذا المبحوث. وهو في ذلك يوضح:

"... أنا بعمل التحويطة وبقوم بتوليف القلوب وبعمل بالمحبة وبعالج الربط بين الزوجين.. ولو فيه حد ما بيحبش وظيفته أو المكان اللي هو ساكن فيه أنا بـإذن ربنـا بعمـل حاجة أخليه يحبها وكمان أنا بعالج الصرع، ولبس الجن.. أنا في الحاجات دي بقوم بقراية روحانيات ووتريـات معينـة، وباستخدام بالذات في التحويطة قصدير خام، ومعاها نتـرات فضة، وأنا بخلطهم مع بعض وبقول عليها شـوية قرايـات وبعدين باعمل العمل بتاعي... ".

وبيد أن صاحب الحالة الراهنة قد أيد من قبل ذاتـه أنه يقوم بالفعل السحري، غير أنه ينفي أنها تدخل في إطـار الحرام أو الممنوع، خاصة وأنه يزعم أنها محضـر خيـر، أو ما يسمى وفق أدبيات السحر بالنوع الأبيض. وحول مـا سبق يشير:

".. الأعمال اللي بقوم بيها كلها في الخير.. وأنا بكره كلمة ساحر لأني مش ساحر.. السحر ده كفر، والتنجيم برده كفر لأنه بيدخلنا في الغيب، والغيب في إيـد ربنـا سـبحانه

وتعالى.. أنا واخد شهادات من القيادة السياسية، الرئيس (..) إداني شهادة تقدير... والناس بيحترموني.."

والناظر بعمق فيما طرحه صاحبنا يتجد أنه يحمـل تناقضا لا مراء فيه، ففي الوقت الذي يذكر أنه يقوم بالفعـل السحري من خلال وتريات معينة وروحانيـات، وهـو مـا يجعله يتخارج عن شرعية ما مقبول اجتماعيا ودينيا، فإنـه يحاول أن يمنح لنفسه شرعية له ولأعماله من خلال التمسح بالسلطة السياسية، وخلع الناس عليه نوعا من الهيبة والمكانة الدينية والاجتماعية.

لقد أدرك صاحب هذه الحالة وفقًا لحديثـه، أن مـا يتمتع به من قدرات يفوق ما يتمتع ووصل إليه العلم والطب الحديث. إنه يرى أن له من القدرات التي تفوق ممارسـات الطب، وهو ما ساعده في علاج كثير من الحالات، وحـول إحدى الحالات التي قام بمعالجتها فهو يذكر:

".. أنا جاني رجل سعودي كان له ابن ملبوس فـي عينه.. وكان ميئوس يشوف بيها.. هو راح فرنسا وإنجلتـرا وعمل كشوفات وفحوصات، ومقدروش يعالجوه. هـو راح لدكاترة في مصر.. همه احتاروا في علاجه ومكـنش فـي

فايدة.. هو لما جاني وأنا عزمت عليه، عرفت أن الشـبكية حداه ضعيفة وأن الجن لابسه في عينه، وهما السـبب فـي ضعف الشبكية.. أنا حضرت الأرواح اللي معايا، وهمه اللي أخبروني باللي عنده وهمه برده ساعدوني في خروج اللـي لابسه..".

إنه مما سبق تستطيع أن تستدل أيضا على أي حـد يتناقض مع ذاته، ففي الوقت الذي أدان السحر والعمل بـه، في الوقت الذي ينفي كلامه، ويقر أنه يقوم بتسـخير الأرواح (الجان) في الكشف والشفاء من الأمراض، وهو ما دفع بـه لكي يبين قدرته على الشفاء من الأمراض، في حين عجـز العلم والطب الحديث عن ذلك، ولتبيان الآليات التـي عـن طريقها يستطيع صاحب هذه الحالة أن يتيقن عما إذا كان ثمة أعراض روحية تصيب الذات الإنسانية وتعكر صفوه، فإنـه يوضح:

".. أنا عندي طرق كثيرة، بقـدر بيهـا أعـرف أن الشخص ده ملبوس ولا لا.. في كل واحد مننا خط رفيع بين الجبهة والحاجب، احنا بنعرفه بطريقتنا.. والخط ده لما بنقوم بقرايته بنعرف كل حاجة.. ولما بنعرف ونتأكد أن الشـخص

ده فيه عرض أو ريح أو مس، أنا بقـرأ عليـه الوترتايـة أو البرهتية ويعمل شوية ترنيمات روحيـة، وشـوية آيـات قرآنية.. وبعدين بعمل العمل بتـاعي.. الطـرق دي كثيـرة أو هي مذاهب، زي ما في الإسلام مذاهب.. في طريقة تانية بطريقة الحساب، يعني أنا بأخذ اسم الواحد واسم الأم وبعمل الحساب وبكون واخد منه حتة من أتره، وبعدها بعرف إيـه اللي عنده.. أنا بعرف إذا كان معمول له عمـل أو مربـوط على سمكة أو مدفون له عمل في المقابر.. أنا بفـك العمـل وباعمل له تحويطة هو بيشيلها معاه أو يحطها تحت المخـدة اللي بينام عليها، أو بجيب بلحة وأقسمها نصفين، نص هـو بياكله والثاني لمراته بعد ما أكون قريت عليهم.. ".

إن ما قدمه صاحبنا فيما مضى يشير إلـى وجـود طرق متعددة سواء في الكشف عن طبيعة الأعـراض التـي تصيب الأجساد والعقول الإنسانية، أو حتى في آليات العلاج أو الإبراء منها، وهي التي رأى فيها أنها مذاهب سـحرية، تتشابه مع تنوع المذاهب الدينية التي يؤمن بهـا الإنسـان، ولكي يؤيد ما ذكره فقد أتى لنا بنوعية أخرى من الحـالات التي قام بشفائها، وعن هذه الحالة يقول:

".. أنا جاتلي بنت كانت طالبة في كلية الطب.. وهي بتحضر محاضرة في التشريح، أم جالها حالة هياج شـديد.. وراحت لأطباء كثيرون، حتى أساتذتها اللي في الكلية.. المهم بعد ما داخوا همه وصلوا لغاية عندي، لأنه هـي بعـد مـا حصلها اللي حصلها تعبت وجالها شلل.. ولما حضرت اللي عليها عرفت أنها حالة مس شيطاني جالها فـي محاضـرة التشريح.. أنا لما بلغت أهلها باللي عندها همه قـالوا إنـي دجال وشتموني.. فأنا قلت لهم أنا مش عايز فلـوس، بـس هاتوا قلتين من الفخار وطلبت منهم بخور معين وكتبت عليها "بسم ا الرحمن الرحيم" وشوية نوريـات، وطلبـت مـنهم يغطوها، وبعد ما قريت عليها راحت هي بعد شوية "شاهقة" وقامت تجري.."

ويضيف صاحب هذه الحالة أنه ليس ما سبق وحسب هي كل أنواع الأدوات المسـتخدمة فـي حـالات العـلاج، أو حتى التي يستخدمها هو في تفعيل كل ما يقوم به، وإنمـا هناك أشياء أخرى منها ما يتصل بالأشياء المادية الملموسة، ومنها ما يرتبط بأشياء معنوي، بعضه منطوق وآخر غيـر

منطوق، ولتوضيح ذلك يمكننا أن نطـرح مـا أورده شـيخ الطريقة الصوفية هنا:

".. الحاجات دي اللي أنـت شـايفها هـن نجمتـين بحري.. صعب أنك تحصل عليهم، وهمه دول شغل معـين، أنا باستخدمهم في منع وجود جان غير مسلم في أي مكان أنا بكون فيه.. ولو حصل أن كان جان كافر في المكان أول ما يشوف النجمتين دول يقوم يخرج ويهرب، لأن الجان المسلم أقوى من الجان الكافر وأنا اللي معايـا وبحضـرهم همـه مسلمون.. والتعاب ده باستخدمه في علاج اللمسة الأرضية.. أنا أول ما أخلي المريض يمسك ذيل التعاب ويحط إيده على رأسه، وبعد ما أقرأ عليه الوتريـات والروحانيـات، يقـوم يرتعش وينتفض، ويسقط على الأرض.. وبرده أنا بحضـر أي جان عشان يخوض في اللي أنا عايزه، أنا لازم أعـرف إيه برج المريض.. والأبراج دي مش زي البـروج بتاعـة الجرايد، لا، البروج هي مائي ونـاري وهـوائي وترابـي، وبعدين أنا بحسب بطريقة معينـة اليـوم المناسـب للعمـل والكوكب والمعدن وطبيعته وبعدين ربنا يسهلها..) الجـدول اللي بيتم الحساب عليه أهوه:

اليوم	الأنبياء	كوكب	طبيعته	معدنه	جدول	
					علوي	سفلي
الجمعة	يونس	الزهرة	بارد يابس	النحاس	هوائي	ترابي
السبت	إبراهيم	زحل	بارد رطب	الرصاص		
الأحد	إدريس	الشمس	حار يابس	الذهب	ناري	
الاثنين	آدم	القمر	بارد رطب	الفضة	مائي	
الثلاثاء	موسى	المريخ	حار يابس	حديد	ناري	مائي
الأربعاء	عيسى	عطارد	بارد رطب	الزئبق	مائي	ناري
الخميس	هارون	المشترى	بارد رطب	القصدير	هوائي	ناري

وعلى الرغم من أن صاحب هذه الحالة لم يوضح في سياق عرضه السابق كيف يقوم باستخدام الأعوان المناسـبة التي تعينه سواء في الكشف أو العلاج، إلا أن الحالة برمتها أوضحت بيان أن صاحبها يزعم نفيه لتفعيل الأرواحيـة، إلا أن الحقيقة عكس ذلك، إذ هو ضالع فيها ويلم بكل خبراتهـا،

وفنونها وطقوسها (وهو ما تحكي لنا عنه كل كتب السـحر القديمة) تلك التي تخاف عليه مكاسب مادية ووجودية معينة.

الحالة الثالثة:

تعود معرفة صاحب هذه الحالـة بطبيعـة العمـل السحري إلى وقت مرحلة الطفولة، إذ وجد آنذاك أحد الكتب الخاصة بذلك، وعن طريق عملية المحاكاة بدأ يفعل كل مـا جاء بها، يثبت في يقينه مدى نجاح مثل هذه الأفعال في أمور شتى، ثم في فترة تالية استطاع صاحب الحالة الراهنـة (ع. ص) أن يستكمل ما لم يستطع أن يتحصله من الكتاب الـذي كان له الفضل في الوقوف على الأفعال السحرية. لقـد أتـم تلمذته على يد أحد المغاربة الضالعين في السحر، والذي من خلاله استطاع أن يكون محترفًا في إطار هذه الأفعال. وفـي ذلك يشرح:

".. أنا عرفت الحاجات دي وأنا عمري ١٢ سـنة.. أنا لقيت في بيتنا كتاب قديم قوي.. أنا مكنتش أقـدر أمسـك الورق بتاعه كان بيتقطع في إيدي.. المهم أنا من الكتـاب ده بدأت أعرف حاجات كثيرة.. أنا كنت اللي أقـراه أجربـه، وكان بيديني نتيجة.. الكتاب ده كان مكتوب باللغة السيريانية،

وكانت الصفحة اليمين مكتوبة باللغة دي، والصفحة الثانيـة مكتوب شرحها بالعربي.. وبعد كدة أنا اتعرفت علـى شـيخ مغربي وأنا في الدبلوم، وهو علمني كل حاجة.. الحاجـات اللي ما تعرفتش عليها من الكتاب إياه، أنا عرفتها من الشيخ ده..".

ويستطرد صاحب الحالة الراهنة، أنه في عهد تعرفه على آليات السحر، لم يكن يقوم بعمل كل شيء، وإنما كانت له أعمال خاصة وبسيطة، وحتى بعد أن أتم تعليمـه علـى التعاليم الأخرى التي جاءت من تكوين معرفي مخالف، إنـه على حسب ما يذكر أنه بزواجه من أخـرى غيـر مرئيـة، استطاعت أن تطلعه على كثير من الأشياء التـي يسـتطيع إنهاءها على نحو تام، وهذا هو عين ما يدفع بـه فـي هـذا الصدد:

".. أنا لما تعلمت زي ما قلت من الشيخ ومن الكتاب إياه.. أنا مكنتش برده أقدر أقوم بكل حاجة.. أنا في ليلة لقيت حد بيعاكسني ومش عايز يخليني أنام.. لدرجة أنـي لقيـت السرير اللي أنا نايم عليه بيتحرك، وكان في دوشة وزعيق، وعشان أنا كنت بفهم في الحاجات دي قمت حضرت وعرفت

أنها جنيه، ولما تعرفت عليها، وبعد مدة أنا أجوزتها، وهيـة لغاية دي الوقت بتدلني على كل حاجة..".

إنه إزاء ما يحمل صاحب هذه الحالة من قدرات، فقد خلعت عليه برغم صغر سنه نوعا من المكانـة الاجتماعيـة والدينية في مكان إقامته، إنه من خلال مـا يقـوم بـه فقـد استطاع أن يجلب لذاته نوعا من الاحترام سواء على الصعيد الديني أو الدنيوي، وفي سياق ذلك يشير:

".. أنا لما خدمت ناس كثير مش هنـا بـس، وفـي مناطق تانية لقيت الناس بيقولوا الشيخ (ع)، وحتى وأنا سني صغير،.. وكمان أنا حتى لقيت الناس اللي في سني وأكبـر مني كانوا بيخافوا مني.. لو أنا كنت عايز أي حاجة تلاقـي الحاجات دي أدامي.. أنا لما كنت بـروح مشـوار بلاقـي عربيات في انتظاري ولغاية دلوقتي.. أنا كنت زمان باعمل الحاجات وكنت واخدها تسلية، وكنت ساعات أضحك علـى الناس بيها وأتسلى يعني مثلاً كان واحد صـاحبي هيجـوز، قمت ربطته، ولقيته جاني وش الفجر واترجاني.. أنا كتبـت له القسم ده على بطنه أم رجع لحالته الطبيعية.. وطبعا القسم ده كان بزعفران ومسك... "

وإذا كان صاحب هذه الحالة على النحو السابق، قـد أشار إلى أن ما يقوم به من أعمال سمحت له بالحصول على مكانة معينة والحصول على مكاسب ماديـة معينـة، فـإن المتأمل في ذلك يجد أن كل ما خلع عليه أو ما قدم له يـدخل في إطار البرطلة أو الرشوة، لاتقاء شره وخطـره، خاصـة وأنه في إطار ما كان يفعله كان يفرغ ما بداخله مـن كبـت مسكوت عنه على معارفه.

وحول طبيعة الأشياء التي يقوم بها من خلال مكونه المعرفي حول السحر، فقد أشار (ع. ص) إلى وجود نوعين، الأول يتصل بالمرحلة البسيطة الأولى التي كانت تتحدد بمهام معينة وخاصة في عمل الأعمال السـحرية سـواء للخيـر أم الشر (الأبيض والأسود)، والأخـرى تـرتبط بالمرحلـة المتأخرة، والتي فيها يضطلع بالأشياء المعقدة، والتي تـرتبط باستخراج ما في باطن الأرض من كنوز، والمتأمل فيما سبق يجد أننا أمام تصنيف آخر يتباين عما طرحه من قبل، نـوع من السحر البسيط، وآخر يتسم بالتعقيد، ولكي نبين إلى ماذا يشير كل نوع من هذه الأنواع، فإليكم ما دفع به:

"... أنا أول ما اشتغلت بعد ما علمت نفسي، وبعد ما اتعلمت من الشيخ المغربي إياه، أنا كنـت باعمـل أعمـال بسيطة، ممكن أي واحد مبتدئ في شغل السحر أن يعملهـا.. أنا كنت بفك وبربط، وأعالج المس، وكنت بدل على حاجات ضايعة، وأجوز وأطلق، بعمل كـل حاجـة، ودي حاجـات بسيطة جدا.. دي الوقتي أنا بعد ما بقيت معايا الجنية اللي أنا مجوزها مانيش فاضي للعب ده.. أنا دي الوقتي بشتغل فـي حاجات معقدة ومش بسيطة، أنا بطلـع كنـوز مـن بطـن الأرض، وده له شغل تاني.. ".

وإذا ما أردنا الوقوف على طبيعة النوع المعقد مـن نوعي السحر فإن (ع. ص) يرى أن مثل هذا العمل يتبـاين عن طرائق العمل في النوع الأول، فحيث إن النوع الأول لا يتطلب مجهودا أو وقتًا كبيرا من العامل به، فإن النوع الآخر يتطلب نوعا من التفرغ والانقطاع له، فضلاً عمـا يفرضـه العمل به ضرورة وجود وسائط باهظة الثمن والتكاليف. وفي محاولة منه لتوضيح كل ما سبق، فإنه يذكر:

".. النوع اللي أنا قلت عليه أنه بسيط، مـا يحتـاج وقت ولا غلبة.. ده ممكن في خمس دقائق أقدر أنهي اللي أنا

عايزه وخلاص.. لكن السحر اللي أستخدمه فـي الكنـوز ده بيحتاج حاجات كثيرة.. أنا بخللي اللي معايا يجيـب ملـوك علاوية وسفلية عشان تعيني في أي حتة فيها كنز. وده يأخـذ وقت كثير.. وبعدين همه بيدلوني على الحاجة اللي أعملهـا علشان أقدر أفتح الكنز.. أن بروح أبات في المكان اللي همه بيدلوني عليه أيام وأيام وطبعا بكون لوحدي.. وهي حتة مش كويسة.. وبعدين بقعد أحضر في المكان لغاية مـا أوصـل للعلامة اللي هم بيحددوها.. وبعد كده بقرأ شـوية حاجـات وبعدين بيكون معايا بخور اسمه طقش مغربـي.. وده ثمنـه غالٍ، الجرام الحر منه مش المضروب بحوالي ٨٠٠٠ جنيه وده بييجي من المغرب أو باكستان بس.. وده اسـمه خـرام الورق، لو أنا ولعت حبة منه وحطيت ورقة فوقه تلاقيه خرم الورقة وطلع منه.. أو ساعات أنا باعمل خلطة بخور ومعاه دم حمار مدبوح.. وده أنا باستعمله لو ما لقيـتش الطقـش.. وفتح الكنوز ساعات بيحتاج حاجة اسمها الزئبق الأحمر اللي بيطلعوا به الفلوس من أي مكان، وده أحسن من أي حاجـة لأنه بيخلي المارد اللي بيحرس الكنز يخليه يسيب مكانـه.. المردة هم بيحرسوا الكنوز، ودول أقوى من الجن طبعا.. "

إنه من الكلام السابق يمكننا أن نستدل على مجموعة من الأشياء التي لم يشر إليها المبحوثين السابقين، إنه بجانب تقديمه لوصف آخر لنوعي السحر، فإننا هنا أمام ممارسـات وآليات أخرى يتم فيها تفعيل الطقوس والفن والسحر، وهو ما يتصل باستخراج الكنوز، وكذا في تصـنيفه لأنـواع الجـن وقدراتهم. وبرغم موقفنا الواضح مما طرحه صـاحب هـذه الحالة، فإنه يعن لنا تساؤلاً مفاده: لما كان المجتمع المصري يعيش فوق حضارة غنية بكنوزها المدفونة في باطن أرضها فهل بالإمكان أن تقوم من خلال هؤلاء باستخراج ما تملكـه حتى تتجاوز محنتها الاقتصادية التي تعيش في كنفها الآن؟

الحالة الرابعة:

تعتبر هذه الحالة [١] مفارقة لكل مـا قـدمناه مـن حالات، سواء في طريقة التعلم فنون السحر، أو حتـى فـي استخدامه، وكذا في تقديمه لتأويل خاص لأنواع السحر. وإذا

([١]) صاحب هذه الحالة هو حاصل على بكالوريوس معهد الفنون، ويبلغ من العمر نحو (٤٠) عاما، وهو يعمل موظفًا، وهو متزوج ولـه مـن الأبناء أربعة.

ما ولجنا في طريقة التعلم نجد أن صاحبنا قد ورثها عن أبيه، أي أن ثمة امتدادا لهذا الفعل بين الأجيال.. وحول ذلك يذكر:

".. أنا ورثت الشغل ده عن أبويا.. هوه كان شـيخ كبير، وهوه له مقام كبير ناحيتنا.. الناس بيقولوا إنه ولي من أولياء ا .. بعد موت أبويا ظهرت لي حاجات كثيرة.. وفي يوم وأنا نايم بالليل لقيت جسم كبير ودماغه مش زي بتاعنـا نايم جنبي.. والموضوع ده كان بيتكرر.. طبعا وأنا خـايف شوية، ولكن كان بيعيني على كده إني كنت بردد أوراد معينة كان أبويا معلمهاني.. بعد مدة لقيت الشكل اللي كـان بينـام جنبي جالي في شكل تاني.. هو الأول كـان شـكله وحـش شوية، والمرة دي كان شكله حلو ولابس أبيض في أبـيض، وقاللي إنهم جم لي تبع الاتفاق مع أبويا.. ومن يومهـا وأنـا أخذت العهد معاهم، والعهد ده كان على كلام ربنا.. وهمـه اتفقوا معايا أنهم هيدلوني في أية حاجة، بشرط أني أنتظم في العبادة، وما خدوش فلوس.. ".

ويضيف صاحب هذه الحالة أنه منذ أن أخـذ العهـد معهم وهم يقدمون له المساعدة في أي شيء يطلبه الآخرون ما دامت في إطار ما هو مشروع، أي أنـه لا يسـتطيع أن

يخدم ذاته وذويه من خلال ما يتمتع به من قدرات، أو حتى لا يستطيع فعل أي شيء آخر يضر بالآخرين، ولتبيـان مـا سبق فهو يقول:

".. أنا من يوم ما خدت العهد، وأنا بنفذ اللـي همـه يقولوا عليه.. لأن العهد ده كان أني أخدم النـاس ومخـدش فلوس. ومقدرش أخدم أي حد من عيلتي.. شوف أنا بخـدم ناس كثير بس ما مقدرش أخدم حد من ولادي.. والعهد اللي أخذته معاهم كان برضه على أني ما عملـش أي أذى.. لأن اللي أنا باعمله بعين به النـاس علـى مشـاكلهم، وده مـا يعتبرش سحر... ".

وحيث إننا نفهم مما سبق أن صاحبنا يفرق بين أنواع السحر وفقًا لتأويل خاص، فالواضح أن هذا التأويل يأتي من خلال استخدام مقولات الدين فيه، وهو سوف نفصح عنه من الكلام التالي الذي فيه سوف يقدم تفرقة بين أنواع السـحر، ومدى اتفاقه مع الدين، أو افتراقه، وها هو نص حديثه:

".. السحر ده درجات.. سحر أحمر وسحر أبـيض وسحر أسود.. والسحر الأحمر هو سحر وسط، بين الأبيض والأسود.. السحر الأبيض مهـواش سـحر، لأنـه بيكـون

بالقرآن.. وطالما بالقرآن ميبقاش سحر، وهو بيستعمل فـي المحبة.. السحر الأحمر ده بيفرق بين الناس، الراجل ومراته الأخ وأخوه.. وده طبعا حرام وممكن نقول عليه سحر.. لأنه كمان ميبقاش فيه نظافة.. لأن السحر ده مفهوش وضوء ولا زعفران ولا حاجة حلوة وطيبة.. السحر الأسود ده والعيـاذ با فيه وضوء بالمني ولبس المصحف في الرجلين والدخول به في الحمام... والسحر الأحمر والأسـود بيأخـذوا مـن بعض.. وبيأخذوا من الشيطان اللي واخدين عليه العهد.. "

وإذا كان (س. د) قد قدم توصـيفًا جديـدا لأنـواع السحر، إذ أضاف ما يسـمى بالسـحر الأحمـر للنـوعين المتعارف عليهما في إطار العاملين بالسحر، أو حتـى فـي أدبيات السحر، فإنه أيضا قدم لنا كيف يتم تعلم هـذا العلـم، على حسب تعريفه، فضلاً عن تقديمه لتأويله وحكمـه فـي السحر الذي يحصره في النوعين الأحمر والأسود وحسـب، والتالي هو عين ما تكلم به:

".. السحر ده لو كان أسود ولاّ أحمر ولاّ أبيض هو علم.. وله أصوله وقواعده.. وده إما بنتعلمه مـن الكتـب، أو إن الأعوان همه اللي بيدلوك.. همه لما يجولك إما بيجوا

من نفسهم لأنك صالح، أو لما أنت بتعمل رياضـة.. وتقـرأ أوراد وتكرر أسامي ربنا الحسنى.. بس الشـغل بتاعنـا ده بيحتاج أنك تتريض وتصوم عن الروح، وتفطر على زيـت وملح، ومتملاش بطنك.. وفي كل الحاجات دي لازم بيكون موجود بخور.. البخور هو طعام الجن، وهو صاحب الجاب الأول في إحضارهم.. والبخور في عمل الشر صبر وحنتيت وشعر كلاب وقشر بصل. وفي الخير كزبـرة ولبـان دكـر وجاوي.. والسحر ده سم قاتل، وهو مفرق الجماعات وهادم اللذات... وهو ما بيقومش قومه.. يبقـى السـحر الأبـيض ميبقاش سحر، والأسود والأحمر دولت همه اللي سحر.. ".

وحيث إن صاحب الحالة الراهنة قد أوضح لطبيعـة السحر وأنواعه، ولأهمية وجود التريض والدخنة (البخـور) وأنواعها وفقًا لعمل الخير والشر، فإنه أيضا أشار إلى مـدى فرض سلطة الأرواح على الإنسان خاصة في سلوكه وجهة معينة، أو حتى في قيامه بأعمال تخالف ما تم الاتفاق (العهد) فيما بينهما. ولتوضيح ذلك يقول (س. د):

"... أنا أول ما اشتغلت في الموضـوع ده والنـاس اللي في الناحية بتاعتي عرفت الفتح اللي فتحه علينا ربنـا،

بتوع المباحث عرفوا.. ومرة هم استدعوني، أنا قلـت أنهـم مسكوا علي حاجة.. لقيت أنهم بيقولوا طالما أنت بتعرف في الموضوع ده دلنا على مين اللي قتل في قضـية القتـل دي، وهي كانت محيراهم.. أنا دليتهم عليها.. قـام اللـي معايـا زعلوا، وعاقبوني.. هم قعدوني في البيت أكثر من شـهر.. هم ربطوني في البيت ومقدرتش أخـرج وحصـلي شـوية مشاكل صحية.. وغابوا عني مدة طويلة.. وفي المدة دي أنا مقدرتش أعمل حاجة... أنا حضرتهم تاني وأخذوا معايا عهد على أني مرجعش للحاجات دي تاني.. ".

ويضيف صاحبنا أنه منذ ذلك الوقت، ووفقًا لإتمـام العهد فقد ساعدوه في التعرف على كل مـا يتصـل بالفعـل السحري، فضلاً عن أنهم ساعدوه في الوصول إلى طريـق ملوك الأعوان، بمعنى أنه إذا كان في بداية عهده يتعامل مع من يخضع لهذه الأعوان، فإنه اسـتطاع وفقًـا لانصـياعه لسلطتهم أن يتعامل مع من يفوقهم في قدراتهم، أو قل وفقًـا لما ذكره الملوك الموكلة، أي أننا بصدد مراتب هيداركية في عالم الجن، وأيضا وفقًا لتخصص في الأعمال. إننا يمكن أن نلمح ذلك فيما يعرض له إذ يقول:

".. أنا لما سمعت كلامهم، وبعدت عن الحاجات اللي بتزعلهم وتخليهم يبعدوا عني، همه عرفوني على كل حاجة.. همه برضه علموني الكلام والطريقة اللي تخليني أوصل إلى ملوك الأعوان.. إلى ملوك اليوم الموكلين.. كل ملك له يوم، وكل موكل تحته آخرين يوكلهم، وكل دول يرأسهم جبرائيل.. ".

لقد أتاحت معرفة (س. د) بكل ما يتصل بدقائق الأمور في هذا العمل، أن يسخّر لذاته من بين عالم الجان مجموعة من الملوك، الذين على حد قوله لا يستطيعون أن يفارقونه، إلا لو أذن لهم. أي أنه حسب ما تعلم استطاع أن يفرض سيطرته على كوكبة من عالم الجان من ذوي الشأن والمكانة في عالمهم، الذين ينفذون أوامره ولا يستطيعون عصيانه، وفيما يلي من سطور يوضح ما أثرناه توا:

".. أنا بعد ما قدرت أملك كل حاجة في العالم ده، أنا مبقاش معايا إلا ملوك كبار.. أقدر آمرهم ووكلهم على أية حاجة.. هم معايا وأنا ماشي وأنا قاعد، أكلمهم ويكلموني لو ما كانش في حد.. ولو حد موجود هم يكلموني في ودني..

وآمرهم.. ولو حد ما يسمعش كلامي أنا الأول بأزجره، ولو مينفذش اللي بأمره بيه أنا بحرقه.. ".

إنه من وصول صاحب هذه الحالة إلى هذه المكانـة فقد هجر العمل بالأشياء التي يتعـارف عليهـا كثيـر مـن المتعاملين بالسحر، أو حتى ما هو منصوص عليه في كتـب السحر. إنه استطاع من خلال الملوك العلويـة و(الأعـوان) أو ما نسميه بالوسيط الوهمي التي تخضع له ويسيطر عليها أن يعرف ما يعاني منه الشخص الطالب للفعل السحري دون أن يخبره به ومن يستطيع أن يشير إليه بماذا يفعل إذا كـان العرض الذي يعاني منه في إطار السحر، أو أن يوجهه إلى العقاقير الطبية التي تعارف عليها العلم الحديث، وحول ذلك يوضح:

"... أنا من يوم ما الملوك اللي معايا مبقتش تسيبني أنا معتدش زي زمان أعمل حسابات، وأجيب اسـمه واسـم أمه، وأشوف الملوك العلوية بتاعـة اليـوم اللـي حتقـدر تساعدني.. أنا الوقتي الواحد يدوب يخش علي، أعرف إيـه اللي عنده من غير ما يقول لي.. اللي معايا بيقولوا لي علـى كل حاجة، حتى قبل ما يخش علي الشخص ده، همه بيقولوا

لي عليه وبيخبروني حتى على اسمه وعلى اسم أمه، والسبب اللي خلاه بييجي عندي.. وهم اللي بيحددوا إيه اللي بيعـاني منه، لو كان حاجة من الحاجات اللي الجن مسئول عنها هـم بيساعدوني في فكها.. أنا بكتـب بـالزعفران علـى مكـان العرض وبس، وبعدها كل حاجة بترجع لأصلها.. ولو كـان حتى عنده حاجة عضوية أنا بدله على الدوا اللي يجيبه مـن الأجزخانة..".

وبيد أن صاحب الحالة يضطلع بالأشياء التي تـأتي نتيجة السحر الأسـود أو الأحمـر، وأيضـا يقـوم بعـلاج الأمراض العضوية، فإنه أيضا يقوم بمساعدة الأفـراد فـي أمورهم المعيشية الأمر الذي جعله يتعامل مع جميع الفئـات الاجتماعية، ويشير (ع. د) حول ما سبق إذ يذكر:

".. أنا بساعد ناس كثير في الحصول على مناصـب كويسة، أنا بيجيلي مديرين وأسـاتذة جامعـات ومـوظفين وقضاة.. أنا بيجيلي على كل نوع.. والناس دي أنا بعـرف كل اللي عندهم.. حتى أسرارهم جوه بيوتهم.. وأنا بعد مـا أقضي حاجتهم هم بيبقوا أصحابي.. وزي أنا مـا بخلـص

حاجتهم هم بيساعدوني في تخليص مصالحي اللي أنا مقدرش أعملها من الشغل ده.. ".

وإذا كان صاحب الحالة الراهنة قد أوضح قبل قليـل أنه لا يقف في التعامل عند حدود فئة اجتماعية بعينهـا فـي داخل محيطه الاجتماعي، فإنه أيضـا قـد تعـدى الحـدود القطرية، إذ يذهب إلى حدود وطنية أخرى، وفي هذا السياق يقول:

".. مش بس أنا بخدم ناس كتير هنا، لا أنا سـاعات بيجيلي ناس من برة.. من دول عربية.. هم ساعات بييجـوا بطيارات خاصة وبروح في القصور بتـاعتهم وبخـدمهم.. الناس دول كبار قوي قوي وإيديهم طايلة،.. وهمه بيبخلوني أحج كل سنة.. وطبعا بيدوني هدايا كتيـر، لأنـي مبخـدش فلوس طبعا...".

إن المتأمل في هذه الحالة يجد أننا أمام نوع جديد من العاملين بالسحر، ففي الوقت الذي يشير مخزونه المعرفـي عن تمتعه بقدرات تفوق الكثير من المشتغلين بالسحر، فإنـه يشير أيضا لمدى انقياده وتبعيته وفق مفهوم برانـي لسـلطة قوى غيبية، تلك السلطة التي انسحبت بدورها على كثير من

الفاعلين الاجتماعيين ليس فقط على صعيد مجتمعـه فقـط، وإنما على صعيد مجتمعات أخرى.

الحالة الخامسة:

يسلم صاحب هذه الحالة [1] أنه كـان ضـد فكـرة الأرواحية ومسئوليتها في تخليف الشر على الإنسان بحكـم مخزونه المعرفي، ولكن بفعل التداعي والمحاكاة والتمـاهي، فقد اندفع صوب هذه الأفعال، لقـد طـرق (س. ص) بـاب الأفعال السحرية دون إرادة منه، وكأن الجواني قد اتحد مـع خبرات الآخرين ليشكل سلوكًا وتصرفًا يتمازج مع مـا هـو عقلاني، ومن ثم يصبح اللاشعور وعيا، ولكي نبين ذلك فإننا سوف نعرض ما طرحه (س. ص) في هذا الصدد:

"... في جلسة من الجلسات العائليـة.. راح الكـلام على واحد من اللي بيشتغلوا في تطليع الأعمال.. وكان فـي الجلسة دي أخو مراتي، اللي كان كل ما يحاول يجوز تقـوم

---

(1) يبلغ من العمر نحو (٣٦) عاما، وهو يعمل بوظيفة مهندس بإحدى شركات الاستثمار، وهو متزوج وله من الأولاد اثنان، ويقطن بضاحية مصر الجديدة بالقاهرة.

الجوازة تفشكل.. فعرضت عليه مراتي أنه يـروح يشـوف يمكن يطلع عنده حاجة.. المهم هو راح وشاف وعـرف أن واحدة من اللي كان خاطبهم عملت لـه عمـل عشـان مـا يجوزش خالص.. وفي مرة تانية وأخو مراتي كان بيحكـي اللي شافه، قامت مراتي قالت لي متروح أنت كمان تشوف، ما هو جايز أن أمورك الملخبطة دي يكـون حـد عامـلك حاجة.. أنا كنت، ما بعتقدش في الحاجات دي.. ومرة وأنـا قاعد على القهوة مع صاحبي اللي وده يناسبني، وقلـت لـه متوديني للرجل اللي تعرفه بتاع الأعمال.. وبعد إصرار لأن صاحبي عارف أنني مبؤمنش بالكلام ده، أم ودانـي لـه.. وهوه كان في بلد بعد الفيوم بشوية البلد دي أنـا فـاكر إن اسمها "بني صالح".."

وإذا كان صاحب الحالة الراهنة لم يدلُ بأية معلومات عما حدث تجاه من تماهى معه، واندفع على أثر ما حدث له، فإنـــه فـــي المقطـــع التـــالي يحكـــي لتفاصيل حدثت له، وهنا يذكر:

".. إحنا روحنا للرجل ده في بني صالح، وبعد مـا اتعرفنا عليه وهو اطمأن لينا، دخلنا في بيت ريفـي بسـيط،

وقعدنا في أوده صغيرة مفيهاش غير حصيرة.. وبعـد مـا قعدنا طلبنا من الشيخ (ع) أنه يشوف إيه اللي عندي.. الشيخ (ع) جاب من جنبه طبق صغير من الصـاج، كـان قـديم ومقشر.. وجاب برده منديل لونه أخضـر وسـخ شـوية.. وبعدين طلع من تحت الحصيرة كـراس مليـان شـخبطة.. متقدرش تحدد منه أية حاجة.. مهندس حتة فاضـية، وقعـد يشخبط فيه كلام متقدرش تفهمه وقعد يسأل على اسمي واسم أمي.. وبعد شوية قال لي إني معمول لـي عمـل.. وهـوه حيجيب العمل ده وأنا قاعد أدامه الوقتي.. وقعد يقول شـوية آيات واللي فاكر منه أنها كانت سورة الزلزلة.. وكان بيردد دايما اسم الرفاعي..".

والمدقق فيما ذكر قبل قليل أن المعمول به لا يختلف عما ذكره من قبل المتعاملين بالسحر، وهو ما يعرف لـديهم بطريقة الحساب وفقًا لاسم الأم واسم الشخص واستحضـار الملوك والأعوان الموكلة في اليوم والساعة ومطالع النجوم، ولكن ما هو آتٍ من طريقة لاستخراج الأعمال هو الجديد في هذا المضمار، حيث يوضح صاحبنا ما يلي:

"... بعد ما الشيخ (ع) عرف أني عندي عمل.. هو قعدني أدامه ومستربع، وحط المنديل على ركبتي وغطى بي الطبق الصاج.. وبعد كده قطع ورقة صغيرة من حرف الكراسة وقال لي بلها بلسانك، وقال لي حطها في الطبق، الطبق كان مستغطي في الوقت ده.. وقعد يقرأ شوية آيات ويقول مدد يا رفاعي.. وبعد ما وقف عن القراية وبطل، قال لي شوف الورقة اللي في الطبق.. أنا ملقيتش ليها أثر.. الشيخ (ع) كرر العملية دي ٣ مرات.. وكان كل مرة بيعمل زي أنا ما قلت بعد كده هو طلع عشرة جنيه من جيبه، وبرمها وقال لي بلها بسانك وحطها في الطبق، وبعد ما عمل القرايات، فتحت المنديل ما لقيتش العشرة جنيه.. هوه بعد كده تعب وقعد يصب في عرق.. وبعد شوية قال لي حط إيدك في الطبق، قمت مسكت حية جوه الطبق واتفزعت ولقيت نفسي في آخر الأودة ولقيت المنديل مرتفع عن الأرض، وبعد ما الشيخ قعد يقرأ شوية الآيات اللي كان بيقولهم، قال لي ارفع المنديل، لقيت فيه في الطبق شراب الكورة اللي كان ضايع مني وفيه لفة مليانة تراب، وكتابة باللون الأسود.. ".

الحالة السادسة:

يحكي صاحب هذه الحالة [1] عن خبرة خاصة لـه، وهي نوع آخر للطقوس السحرية التي ورد ذكرها على لسان العاملين بالسحر، وأيضا ما جاء في إطار كتب السحر، وهو ما يعرف بالمندل الذي يستخدم في الإفادة عـن المفقـودات. ولتوضيح ما يحدث في هذا الإطار يقول (ح. ف):

".. إحنا كان ضاع مننا فلوس.. اتنصب علينـا فـي ٢٥٠ ألف جنيه.. وكنا عايزين نعرف اللي أخد الفلـوس دي راح بيها فين.. جبنا واحد بيعرف في المندل.. ولما جه طلب أن نجيب ولد صغير لسه ما بلغش. وكتب على رأس الولـد بقلم أحمر "وكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد".. وطلع من جيبه منديل وكتب في ورقة سورة يس.. ولـف الورقـة جوه المنديل، وربط المنديل على رأس الولد... وجاب فنجان وخلاه أسود من جوه.. وده كان من الهبو بتاع حرق البخور، وحط جوه الفنجان حبة زيت.. بعد كده خلى الولد يردد وراه آيات من القرآن، وبعدين قاله أنت شايف إيه جوه الفنجـان..

---

(١) صاحب هذه الحالة يعمل رجلاً للأعمال، ويبلغ مـن العمـر (٤٥) عاما، وهو متزوج وله من الأبناء أربعة أبناء، ويقطن بمدينة السويس.

الولد قاله أنا شايف اثنين صغار قوي بيسلموا علي، قاله اقرأ عليهم السلام.. قاله قولهم يذبحوا ويفرشوا ويرشوا ويـأكلوا ويغسلوا إيديهم، وكان الولد بيحكي لنا كل ما يعملوا حاجة.. لغاية ما قال لهم دلونا بحق كلام ربنا الموكل عليكم، وببركة سيدنا محمد (صلى ا عليه وسلم) على اللي حصل. وبـدأ الولد يحكي إزاي الرجل اللي نصب علينا أخد الفلوس وسافر بيها على الأردن، وبعدين على العراق، لغاية ما مات.. وأن اللي أخدوا الفلوس من اللي كانوا معاه هم موجـودون فـي الكويت وهم ساكنين فين، وحتى رقم تليفونهم إيـه.. ولكـن لغاية وقتنا ده الفلوس مرجعتش تاني... ".

الحالة السابعة:

يطلعنا صاحب هذه الحالة [1] على نوع آخـر مـن أنواع الكشف عن السحر، وعن آلية إبطالـه، وعـن ذلـك يخبرنا (أ. ف) بما يلي:

([1]) صاحب هذه الحالة يبلغ من العمر نحو (٤٣) عاما، وهو موظـف بأحد أجهزة الدولة الحساسة، وهو متزوج وله من الأبناء خمسة، وهـو يقطن بمدينة القاهرة.

"... كنت بحس إني مخنوق ومش عـارف أصـاب طولي.. آم واحد من قرايبي دلني على واحد في الفيوم يقدر يعرفني إيه اللي عندي بالضبط.. ورحنا للرجـل ده، كـان اسمه الشيخ (ح) ولما قابلنا هو عرف اسمي واسم أمي، وقعد يكتب حاجات مش فاهمها.. وجاب منديل وقعد يشاور عليـه ويقول: آه، آه، آه وبعد كده طبق المنديل بعد ما حدد حجمـه ومساحته على الترابيزة اللي كانت محطوطة عليه.. وقعـد يقرأ ويقول بحق الملوك العلوية والروحانية بحـق (بطـش غشفويل) أن تكشفوا لعبد ا عن العرض.. بعد كده هو فرد المنديل تاني وقاس المسافة اللي كانت متحددة على الترابيزة، لقى المنديل كش وصغر.. ".

وحيث إن ما سـبق يمثـل طريقـة الكشـف عـن الأعراض التي يخلفها العمل السحري، فماذا عن طريقة فك هذه الأعراض، إنه وفقًا لما أدلى به المبحوث فإنـه يكشـف عن آلية جديدة في هذا الصدد، وإليكم نص ما جاء:

".. بعد ما عرف الشيخ (ح) أن عندي لـبس وحـد عاملي عمل قعدني أدامه وخلى إيدي اليمين على ركبتـي.. وقال بعد ما قرأ شوية كلام من القرآن وكلام تـاني صـعب

أني أفتكره، لو كان فيه عرض ارفعوا إيـده اليمـين لغايـة رأسه، لبسوا الكف اليمين في جبهته، لقيت إيدي بـدون مـا أدري طالعة شوية شوية، وكانت كل ما تقف يقـول آه، آه، آه، لا تتعبوا المريض، اطلعوا على طول، لبسوا الكف فـي الجبهة، لغاية ما طلعت إيدي وحصل اللي هوه كان بيقوله.. وبعدين.. هو جاب شوية ميه، وقعد يقرأ عليها كل كلام مش مفهوم، وبيقول آه، آه، آه، ده اللي كنت فـاكره.. وشـربت الميه دي.. وبعدين كتب لي ورقة ولفها على شـكل مثلـث وقال لي إنه حجاب لازم تشيله معاك عشان ميرجعش لي أية حاجة ويحميني من أية حاجة... ".

الحالة الثامنة:

وإذا كنا قد عرضنا فيما سبق لمجموعة من الحالات المغايرة التي أخضعت نفسها للفعل السحري، بفعل مكونهـا الداخلي الذي دفعها إلى التخلص من مشاكلها من خلال مـا هو عقلي وغير واقعي، فإننا في هذه الحالـة أمـام طريقـة أخرى، تزاوج بين الفعل السحري والطب الحديث، بينما كان الفعل السحري يطرح ذاته في الكشف عما أصـاب الـذات

الإنسانية، فإن الطب الحديث قد فـرض ذاتـه فـي عمليـة الإشفاء، وها هو عين شهادة صاحب الحالة الراهنة [1]:

".. أنا كنت باشتغل في دولة من دول الخليج، وكنت بقعد هناك أكثر من سنة.. ولما رجعت وجيت أباشر زوجتي لقيت نفسي مش قادر.. رحت لدكاترة كثير.. وكان العـلاج بيطول.. أنا قلقت.. وحكيت الموضوع ده لواحد صـاحبي، ودلني على واحد اسـمه الشـيخ (س) كـان بيشـتغل فـي التليفزيون، وهو عضو في الاتحاد العالمي للروحانيين.. لما رحنا للشيخ (س) وعرف حكايتي، هو قرأ آيات معينة، وقال لو (م) ابن (فلان) عنده حاجة خلوه يلاف ناحية الشمال، ولـو معندوش خلوه يلاف ناحية اليمين.. أنا لقيت نفسي بلاف ناحية اليمين.. فهو أخبرني أني معنديش حاجة، وكتب لي حاجات أحطها معايا، وقال لازم أني أجيب حاجات من عند العطـار وأدهن بها ذكري وطبعا أنا جبت الحاجات اللـي قـال لـي عليها، وهي كانت زيت زيتون وجنزبيل.. وفي الوقت ده هو قعد يكتب لي شوية حاجات وحطها في كباية ميه، لغاية لمـا

([1]) يعمل صاحب هذه الحالة بإحدى الدول البتروليـة، وهـو يعمـل محاسبا، وهو متزوج وله من الأبناء ثلاثة، ويسكن في مدينة سوهاج.

الكتابة اللي في الورقة نزلت في الميه وأمرني بشربها.. أنـا في الأول اضررت من الميه ولكن هو قال لي إنه زعفـران ومفهوش ضرر... ".

ويضيف صاحب هذه الحالة (م. أ) أنه بانقضاء هذه الجلسة لم يشف مما يعانيه، الأمر الذي دفعه إلـى المعـالج (س) الذي لما ورد الكشف وفق السيرة الأولى التي دفعنا بها في المقطع السابق وقد أخبره ليس به أي أعراض سـحرية، وأنه يحتاج إلى ما توصل إليه الطب في هذا الصدد، وحول ما سبق يقول صاحب الحالة ما يلي:

"... أنا بعد ما عملت اللي قال عليه الشيخ (س) وما لقيتش أي تحسن، رحت له تاني.. وهو عمل حكايـة اللـف ناحية اليمين والشمال.. وبعدها قال إن مفيش حاجة في.. أنا محتاج بس حقنة اسمها سينوسـتين، خلانـي أجيبهـا مـن الصيدلية. وحتى هوه اللي ادهـاني... والحقنـة دي كانـت عشان تساعدني في رفع الخصية وعشان تدر المني وتساعد في الانتصاب، ولكن برده مكانش فيه فايدة... ".

ويستطرد صاحب هذه الحالة أنه بعـد حتـى فشـل محاولات الشيخ (س) في إشفائه حتـى بمخرجـات الطـب

الحديث، فإنه حاول أن يرجع السبب في ذلك إلى زوجته التي قد تكون مسها الجن والأرواح. إننا هنا أمام حالـة إيهـام، فحيث إنها لم تفلح مع الشخص ذاته، فإنه حاول أن يلقي بها بعيدا إلى زوجته التي قد ترفض الإذعان والخضوع لطقوس الفعل السحري.

الحالة التاسعة:

في هذه الحالة سوف نقدم لإحـدى حـالات المـس الشيطاني التي يكثر حولها الحديث خاصة في هذه الآونـة. والحالة التي نعرض لبعض تفاصيلها جاءت على لسان والد الشخص [1] المصاب وليس هو، خاصة وأن الشخص ذاتـه يدخل في حالة غياب كاملة. وفي ذك يقول (ن. ب):

".. أنا ابني (س) كان ولد كـويس متـزن ومتـدين ومتفوق في دراسته.. وفي يوم من الأيام لقيته يحصـل لـه تشنجات ويهذي بكلمات مش مفهومة.. وبعدها لقيتـه بطـل

---

(1) قاص هذه الحالة يعمل مديرا لإحدى المؤسسات الحكومية، وهـو يبلغ من العمر نحو (٤٨) عاما، وهو متزوج وله مـن الأولاد ثلاثـة، ويقيم بمدينة القاهرة.

الصلاة، وبقى منعزل، وحتى معدش بيكلمنـي.. لدرجـة أن مرة كان عمه موجود وبيقرأ قرآن، آم قاله اقفل الكتـاب ده اللي في إيدك وبطل الحاجات دي.. وحتى الصلاة بطلهـا.. أنا وديته لدكاترة كثير والطب منفعش.. أنا حكيت الموضوع ده لواحد معايا في الشغل، فشار علي أن أجرب الشـيوخ.. وجربت.. إحنا جبنا واحد بيفهم في الحاجات دي.. وعمـل جلسة عندنا.. أنا ابني أول ما شافه قال طلعوا الراجل ده من هنا.. والشيخ ده مسألش في كلامه.. وقعد يقرأ قرآن، لقيـت ابني راح في النوم، وبدأ يكلم ابني وهو نايم لغاية ما لقيـت ابني بيتكلم بصوت حد تاني مهواش صوت ابني.. وقال إنهم اثنين لابسين ابني لأن ابني وهو راكب الحمار وقـع علينـا وعكر علينا قعدتنا.. وقعد الشيخ يفاوضهم وهم مش راضيين يطلعوا منه ساعات هو بيضربهم، هو كان بيضرب ابنـي، وهو طمني أن الضرب ده مش في جسم ابني.. ده في جسم اللي لابسه، لأنه هوه اللي حاضر معانا. وبعد كده هو هددهم بالحرق.. وفعلاً هو كتب شوية آيات، وحرقها، وكان كل ما يضرب النار جنب أنف ابني يصرخ بصـوت رفيـع مـش صوته، لغاية لما هم وافقوا أنهم يطلعوا من عينه.. هو طلب

منهم أنهم يطلعوا من الإصبع الصغير في رجله الشمال، ولما وافقوا على كده، الشيخ ولع شمعة وحطها أدام رجله، وبعدها لقينا طلع نقطتين دم.. وبعدها نادى الشيخ ابني وهـو نـايم باسم اللي كانوا عليه وهم كان اسـمهم ميخائيـل وحسـام، فمردش، ولما نادى باسمه (م) هو رد، وبعدين فوقه وخلصنا من الموضوع ده..".

والواقع أن هذه الحالة لم تنتهِ عند هذا الحد، إذ عادت حالة الابن لسيرتها الأولى، إذ تم مرة أخرى الإتيان بـنفس المتعامل بالسحر لكي يستبين الأمر، وإذ نحن الآن في حالـة تلبس أو قل غياب من نوع آخر. وهذا هو ما طرحه صاحب هذه الحالة:

".. أنا ابني بعد مدة رجعت له الحالة تـاني.. جبنـا الشيخ وهو قعد يحضر عليه بنفس الطريقة الثانية، ولما كلـم اللي عليه عرفنا أنها المرة دي جنية أرسلها من كان عليه من قبل.. إنهم أرسلوا أختهم المرة دي.. وبعد محاولات زي ما حصل المرة اللي فاتت هي طلعت ما رجعتشي تاني.. ".

إن المتأمل في الشطح السابق يجد أننا أمام تسـاؤل يطرح نفسه علينا بقوة هنا هو: لماذا هذا الابن بالذات الـذي

يحدث له ما حدث، ألم يكن هناك آخرون أمام هـذه الأرواح حتى يخضعونه لسلطانهم؟ لقد تناسى هؤلاء العقل، وراحـوا يفتشون في اللامرئي، أو ما هو في باطن العقل، لكي يسهلوا على ذواتهم وجود تـأويلات خاصـة بهـم عـن الصـحة والمرض، أو إرضاء ما هو داخلـي بعيـدا عـن الواقـع والمنطق.

الحالة العاشرة:

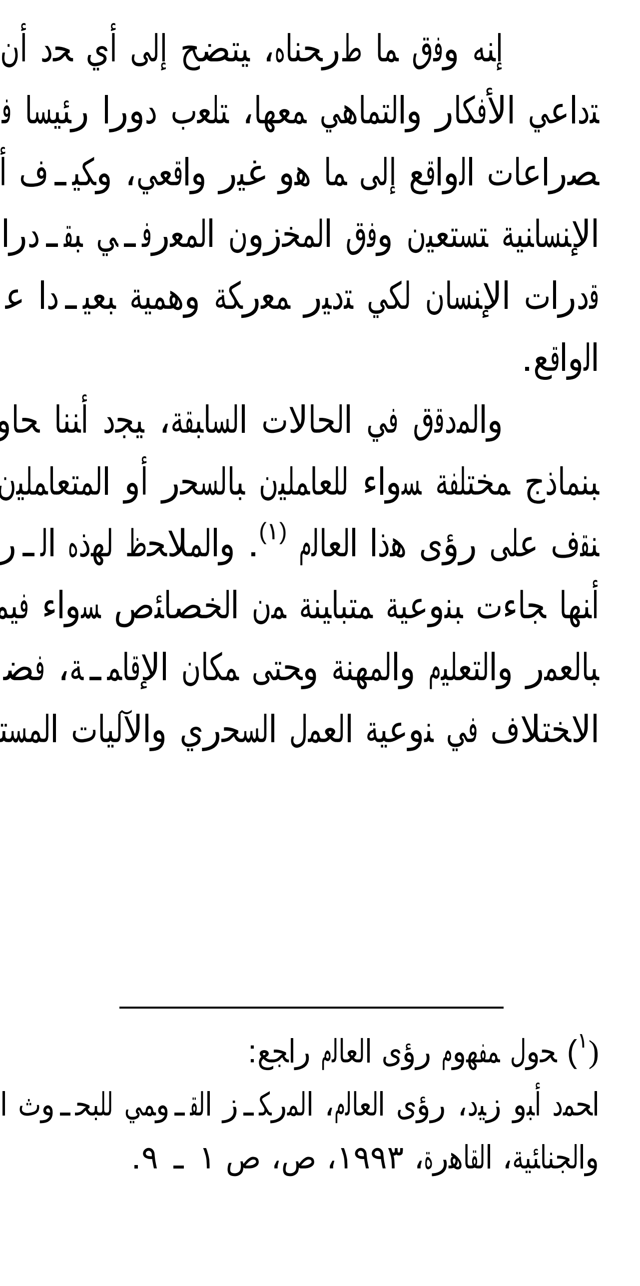
تعد هذه الحالة ضربا جديدا من محاولـة الإنسـان لطرح صراعاته مع الآخرين بعيدا عن مـا هـو أرضـي. فالحالة الراهنة هي لإحدى الزوجات التي حاولـت أن تكيـد لزوجها، خاصة بعد أن تزوج عليها مرة أخرى، إنه بسـبب ذلك راحت هذه الزوجة ترد الفعل بطريقـة تتجـاوز فيهـا المعقول، لكي تنقل صراعاتها مع الآخر من العالم المرئـي على العالم الخفي، وفي ذلك تقول:

".. أنا مجوزة من رجل أعمال معروف.. وبعد مـا وقفت معاه، وكبرته.. هو راح مجوز علي.. هـو رد لـي المعروف اللي أنا عملته بإساءة.. أنا ملقيتش أدامي إلا إنـي أأذيه.. أنا كنت بروح أعمل العمل له في سوهاج.. هوه كان

بيكلفني ١٠٠٠ جنيه.. والعمل ده كان عشان هو يطلق مراته الجديدة.. ولما الموضوع ده وقته طال ومجبش فايدة قمـت عملت له بخراب شغله ومصالحه.. ".

وإذا كنا فيما سبق نلاحظ أن فعل وتوجه صاحبة هذه الحالة قد ذهبت أدراج الرياح، فقد راحت تبحث عـن آخـر بديل، لكي ترد الفعل، حيث إنها وفق تعلمها وما يحمله مـن محتوى ثقافي خاص يتصل بثقافة الأولين، فإنها حاولـت أن تدير صراعاتها بعيدا عما تحمله من قدرات لتأتي بآخر غير مرئي، يرد لها ما أصابها على صعيد سـيكولوجي، وحـول ذلك توضح:

"... أنا لما لقيت مفيش فايدة أنه يطلق مراته، وهـو كان متمسك بها.. أنا رحت أعمله عمل عشان يبـوظ كـل شغله.. أنا كنت باعمله كل شهر عمل.. ومن يومها هو حاله اتلخبط.. شغله وقف. وبدأ يفتقر.. هو بدأ يبيع كل الحاجـات اللي عنده.. وقفل كل المكاتب بتاعته.. وبقت حاله صـعبة.. أنا عملت كده عشان هو سابني وساب أولاده ومبقاش يسـأل عني ولا عن ولاده.. ".



إنه وفق ما طرحناه، يتضح إلى أي حد أن محاولات تداعي الأفكار والتماهي معها، تلعب دورا رئيسا في نقل صراعات الواقع إلى ما هو غير واقعي، وكيف أن الذات الإنسانية تستعين وفق المخزون المعرفي بقدرات تفوق قدرات الإنسان لكي تدير معركة وهمية بعيدا عن أرض الواقع.

والمدقق في الحالات السابقة، يجد أننا حاولنا الإتيان بنماذج مختلفة سواء للعاملين بالسحر أو المتعاملين معه لكي نقف على رؤى هذا العالم [1]. والملاحظ لهذه الرؤى يجد أنها جاءت بنوعية متباينة من الخصائص سواء فيما يتصل بالعمر والتعليم والمهنة وحتى مكان الإقامة، فضلاً عن الاختلاف في نوعية العمل السحري والآليات المستخدمة فيه،

---

(1) حول مفهوم رؤى العالم راجع:

احمد أبو زيد، رؤى العالم، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٣، ص، ص ١ ـ ٩.

وكذا الإشكاليات التي دفعت الطالبين للسحر من أجل مواجهتها(*).

إنه وفق ما سبق، فإننا يمكن أن نرصد مجموعة من الملاحظات، وهي:

أولاً: إن التعامل مع السحر يشيع في معظم الفئات الاجتماعية، كما يطول الفئات المتعلمة وغير المتعلمة، إن السحر لم يعد حكرا على فئات بعينها.

ثانيا: إن السحر لا ينحصر في فئات عمرية بعينها، وإنما يعمل به صغار السن، مثلما يعمل به كبار السن(**).

ثالثًا: إن السحر يعد مصدرا للرزق يعتمد عليه القائمون بالسحر، بالإضافة إلى ما تدره وظائفهم من دخول.

(*) لقد استطاع الباحث أن يحصل على ما يزيد على ما عرضناه، ولكن نظرا للحجم والحيز وعدم التكرار، فقد آثرنا اختيار النماذج التي طرحنا لها وحسب.

(**) تنطبق هذه النتيجة مع ما أورده الجوهري وعثمان في رصدهما لتطور المشتغلين بالسحر، راجع: محمد الجوهري وسعاد عثمان، دراسات في الأنثروبولوجيا الحضرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص، ص ٣٢٧ ـ ٣٣٦.

رابعا: إن العمل السحري لا يخص ديانة محددة، وإنما يعمل به جميع الديانات، وهو ما يتوافق مع وجـوده فـي المخزون المعرفي والعقيدي لكل الديانات.

خامسا: هناك تخصص بين العاملين بالسحر، فهنـاك مـن يعمل بما يسمي بالسحر الأسود، ومن يعمل بالسحر الأبيض، وهناك من يعمل بالاثنين، وأن ذلك يتوقف على قدرات الشخص الذي يقوم بالفعـل السـحري، وموقفه من الدين.

سادسا: إن ثمة تكنيكًا وطقوس خاصة يتم التعامـل معهـا، بعضه يدخل في إطار التـراث المتصـل بالسـحر، والآخر يعتمد على الاستناد على قوى ما غيبية.

سابعا: يسود إيمان دامغ بين الطالبين للعمل السحري، بـأن السحر أمر قائم ولا لبس فيه، إذ إنه يتعدى قـدرات العلم والطب الحديث.

ثامنًا: توضح حالات الدراسة (المتعاملين بالسحر) أن ثمـة صراعا بين الذات والآخر، سواء مرئـي أو غيـر مرئي، ذلك الذي يتضح في تفعيل الفـن السـحري لإيقاع وإنزال الأذى بالإنسان.

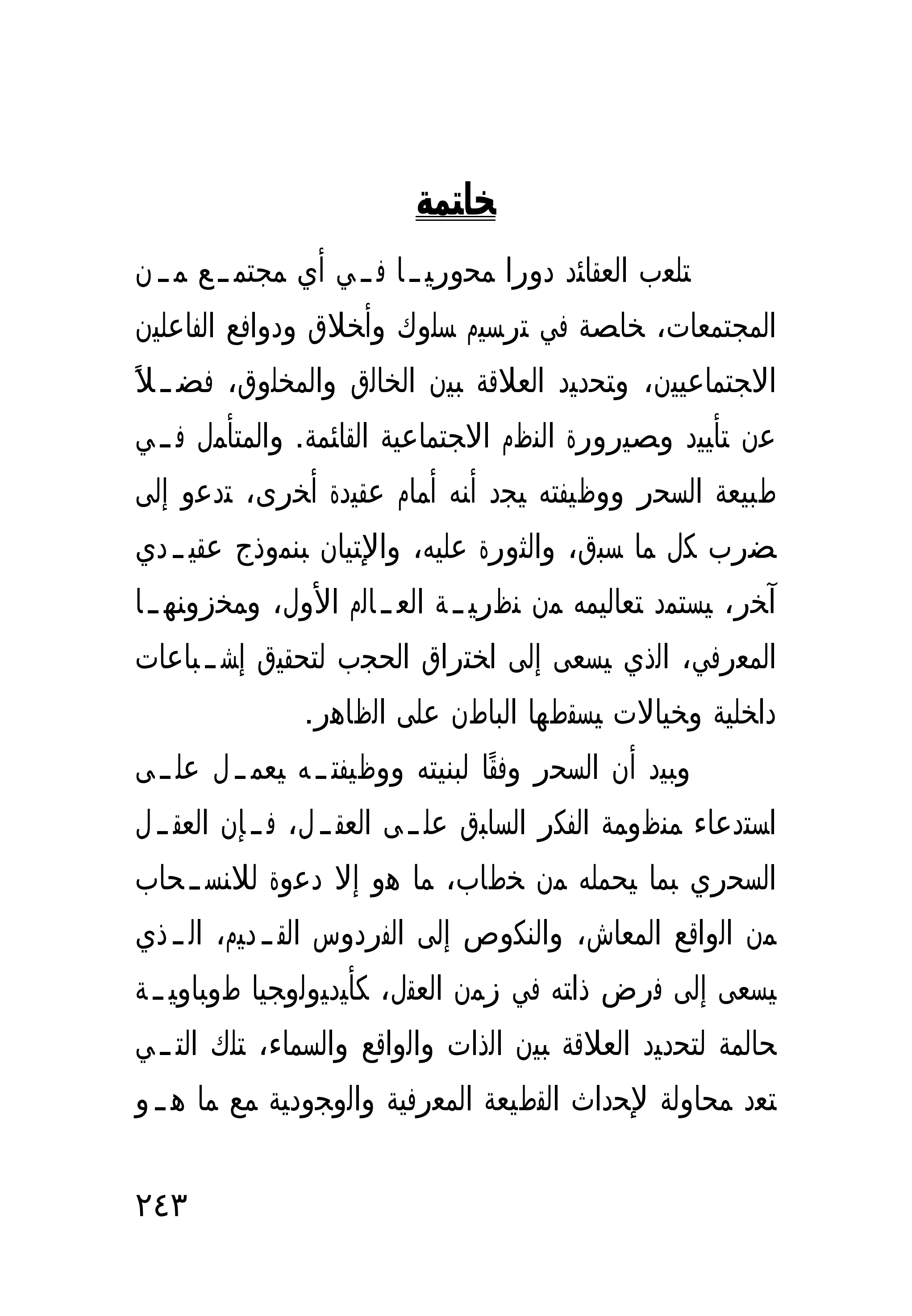
تاسعا: إن أوهام المستضعفين تتجلى في لا شعورهم، الـذي يظهر قدرة غير المرئي في السيطرة على الإنسـان، برغم نفي الدين لذلك (راجع شهادة عالم الدين الذي دفعنا بها في ملحق الدراسة).

عاشرا: إن غياب العقل، وخلع قدرة الإنسان علـى الآخـر، أو قل إن نقلها من الأرض إلى السماء، يجعل مـن هؤلاء مسلوبي الإرادة والقوة وخاضعين، وهو مـا يفسر الاتكالية وزوغان العقل.

إحدى عشر: إذا كانت الأرواحية تعد نمطًا للتفكير الإنسـاني لفهم ما يحيط به في مهد حياته، فإنها ما زالت تمثل الأرضية الثقافية لإنسان اليوم، إن روحنة الواقع مـا هي إلا نوع من حماية الـذات مـن نفسـها، مـن وساوسها وخيالاتها المريضة، تلك التي تمثل نوعـا من عدم التكيف مع الواقع.

إنه على هدي الاستنتاجات السابقة، يمكننا أن نـدفع بأن ثمة علاقة بين العالم المعاش والعقل السـحري، وذلـك باعتبار أن الأخير هو انعكاس لـلأول. فحيـث إن الـذات الإنسانية تواجه كوكبة من الإشكاليات الحياتية، وتعجز عـن

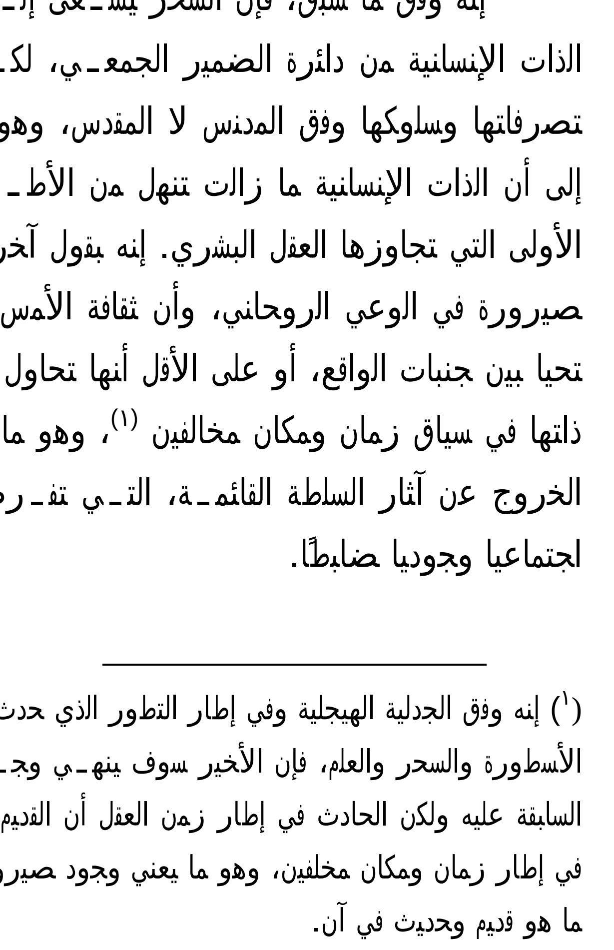
حلها بشكل عقلاني ومنطقي، فإنها لم تجد إلا ما هو عقلـي لكي تبحث فيه عن ضالتها. إن البحث فيما هو لا مرئي مـا هو إلا أزمة للعقل سواء في فكره أو ممارسته، ناهيك عـن كونه نوع من الغياب أو الانفصال أو الاغتراب عن الواقـع المعاش.



خاتمة

تلعب العقائد دورا محوريـا فـي أي مجتمـع مـن المجتمعات، خاصة في ترسيم سلوك وأخلاق ودوافع الفاعلين الاجتماعيين، وتحديد العلاقة بين الخالق والمخلوق، فضـلاً عن تأييد وصيرورة النظم الاجتماعية القائمة. والمتأمل فـي طبيعة السحر ووظيفته يجد أنه أمام عقيدة أخرى، تدعو إلى ضرب كل ما سبق، والثورة عليه، والإتيان بنموذج عقيـدي آخر، يستمد تعاليمه من نظريـة العـالم الأول، ومخزونهـا المعرفي، الذي يسعى إلى اختراق الحجب لتحقيق إشـباعات داخلية وخيالات يسقطها الباطن على الظاهر.

وبيد أن السحر وفقًا لبنيته ووظيفتـه يعمـل علـى استدعاء منظومة الفكر السابق علـى العقـل، فـإن العقـل السحري بما يحمله من خطاب، ما هو إلا دعوة للانسـحاب من الواقع المعاش، والنكوص إلى الفردوس القـديم، الـذي يسعى إلى فرض ذاته في زمن العقل، كأيديولوجيا طوباويـة حالمة لتحديد العلاقة بين الذات والواقع والسماء، تلك التـي تعد محاولة لإحداث القطيعة المعرفية والوجودية مع ما هـو



قائم، والبحث عن مخاص غير مرئي، يزيح عن كواهلهم ما يواجهونه من مشكلات في إطار المجتمع المتناقض وغير المتجانس الذي يعيشون في كنفه.

إنه وفق ما سبق، فإن السحر يسعى إلى إخراج الذات الإنسانية من دائرة الضمير الجمعي، لكي يشكل تصرفاتها وسلوكها وفق المدنس لا المقدس، وهو ما يشير إلى أن الذات الإنسانية ما زالت تنهل من الأطر الفكرية الأولى التي تجاوزها العقل البشري. إنه بقول آخر، أن ثمة صيرورة في الوعي الروحاني، وأن ثقافة الأمس ما زالت تحيا بين جنبات الواقع، أو على الأقل أنها تحاول إعادة إنتاج ذاتها في سياق زمان ومكان مخالفين [1]، وهو ما نرده إلى الخروج عن آثار السلطة القائمة، التي تفرض إطارا اجتماعيا وجوديا ضابطًا.

---

(1) إنه وفق الجدلية الهيجلية وفي إطار التطور الذي حدث بدءا من الأسطورة والسحر والعلم، فإن الأخير سوف ينهي وجود الأنماط السابقة عليه ولكن الحادث في إطار زمن العقل أن القديم يفرض نفسه في إطار زمان ومكان مخلفين، وهو ما يعني وجود صيرورة أو تعايش ما هو قديم وحديث في آن.

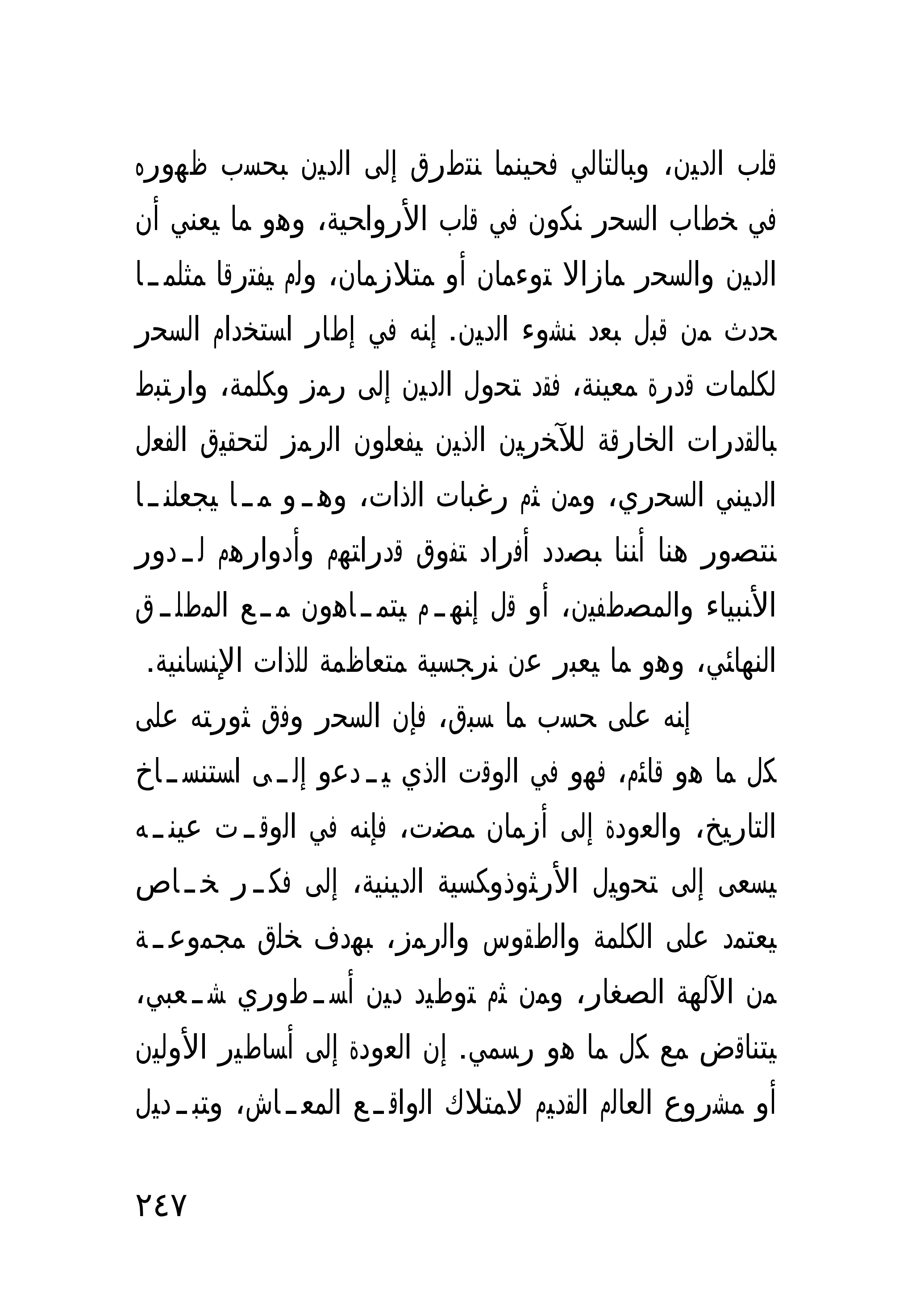
إن محاولة مروق الذات الإنسـانية مـن الخطـاب السلطوي القائم، سمح لها بهامش في التحرك والتوكؤ علـى السحر للخروج من أزماتها، تلك التي سببت لها نوعـا مـن الكبت في ظل الممنوع. إن خلق آلية خاصة وفق ما يفرضه السحر من خطاب، لحل تناقضات المعيوش، يعني أن الذات الإنسانية أرجأت مواجهتها لكي تشبع احتياجاتها على صعيد اللاوعي. فهروب الذات من الواقع القائم إلى الخيال، يجعل منها ذاتًا ناقصة، تحاول أن تكمـل صـفاتها عـن طريـق الاستعانة بسلطة وقدرات الجان، لكي تعبر عـن احتجاجهـا الصامت وفق إسقاطات سيكولوجية.

إن نسب صفات الإنسان إلى قوى غيبية مثل الجان، يعني أن الذات الإنسانية خرجت عن إطار ما هو اجتمـاعي وديني، ودخلت في سياق آخر هو ما يسمى "بالأنا الأعلـى"، الذي يمثل قمة قوى القمع والتسلط والاستسلام الوهمي لعالم القوى غير المرئية، ذلك الذي يعبر بصـورة صـادقة عـن الرغبات المكبوتة والعذابات التي أنتجها الواقع الاجتمـاعي من جانب، وضعف الإنسان الذي دعاه إلـى خلـق منطـق أسطوري خاص به لمواجهة ما يعترضه من مشكلات مـن

جانب آخر. فاندفاع الذات إلى التوحد مع السحر، هـو فـي التحليل الأخير نوعا من عدم التكيف مع الواقع المعاش، ومن ثم وسيلة للتعبير عن اللاوعي الرافض عن خصوصية الذات من جهة، وعن الواقع القائم من جهة أخرى، ذلك ما يـذكرنا بعلاقة الإنسان بالطبيعة التي حدثنا عنها أوجيسـت كونـت خاصة في المرحلتين اللاهوتية والميتافيزيقية.

وإذا كنا قد ناقشنا فيما تقدم لعلاقة الـذات الإنسـانية بالواقع الاجتماعي، والتي من خلالها اتضـح كيـف بـرز الشطح الخيالي، في ضوء مفهوم الساطة التي تستند في بسط نفوذها وتطويقها للجسد على آلية العنـف بشـكليه الـواقعي والرمزي، فإننا بتوسيع هذا المفهوم الذي طرحـه "ميشـيل فوكو" وفق ميكروفيزيا الساطة، فيمكن أن نـذهب إلـى أن استراتيجيات وطقوس العقل السحري، ما هو إلا نـوع مـن الأيديولوجيا الواهمة أو الأسطورية، التي تعمل على تطويـع الجسد، بهدف فرض حالة من الغياب وإحياء اللامرئي، بعيدا عن الممنوع والمعصية والحرام.

وبيد أن السحر يستخدم مقولات الـدين، وفـق مـا أشارت إليه الدراسة الراهنة، فإنه يكون قد وضع نفسه فـي



قلب الدين، وبالتالي فحينما نتطرق إلى الدين بحسب ظهوره في خطاب السحر نكون في قلب الأرواحية، وهو ما يعني أن الدين والسحر مازالا توءمان أو متلازمان، ولم يفترقا مثلما حدث من قبل بعد نشوء الدين. إنه في إطار استخدام السحر لكلمات قدرة معينة، فقد تحول الدين إلى رمز وكلمة، وارتبط بالقدرات الخارقة للآخرين الذين يفعلون الرمز لتحقيق الفعل الديني السحري، ومن ثم رغبات الذات، وهو ما يجعلنا نتصور هنا أننا بصدد أفراد تفوق قدراتهم وأدوارهم لدور الأنبياء والمصطفين، أو قل إنهم يتماهون مع المطلق النهائي، وهو ما يعبر عن نرجسية متعاظمة للذات الإنسانية.

إنه على حسب ما سبق، فإن السحر وفق ثورته على كل ما هو قائم، فهو في الوقت الذي يدعو إلى استنساخ التاريخ، والعودة إلى أزمان مضت، فإنه في الوقت عينه يسعى إلى تحويل الأرثوذوكسية الدينية، إلى فكر خاص يعتمد على الكلمة والطقوس والرمز، بهدف خلق مجموعة من الآلهة الصغار، ومن ثم توطيد دين أسطوري شعبي، يتناقض مع كل ما هو رسمي. إن العودة إلى أساطير الأولين أو مشروع العالم القديم لامتلاك الواقع المعاش، وتبديل

الذهنية الدينية، وقلب الأوضاع الاجتماعية بصـورة غبيـة، إنما يشير إلى سيادة نوع من الديانة التعويضية التي تنطلـق من ثقافة تراثية فلكلورية، لإيجاد عالم طوباوي حـالم بقـوة الاعتقاد، ومن ثم يشير إلـى سـيادة حالـة مـن الفصـام والاغتراب، والتواصل مع ما هو أسطوري وغير عقلانـي، لإنتاج المسكوت عنه والمكبوت في الذات الإنسانية، ناهيـك عن اغتيال العقل ونفي الظاهر الحاضر.

وقبل أن نختم حديثنا، فإنه يفـرض علينـا طبيعـة الموضوع الراهن أن نطرح ما دفع بـه كـلا مـن فرويـد وماركس لكي نعضد به مناقشتنا السابقة. فبالنسبة إلى فرويد فإنه يقول:

"... ليس في وسع الإنسان أن يبقى طفلاً إلى الأبـد، عليه أن يخرج في النهاية إلى الحياة العاديـة.. وللمـرء أن يسمي هذا التربية على الواقع.. الوهم هو الاعتقاد.. إن فـي وسعنا الحصول من مكان ما على ما لا يسـتطيع الـوهم أن يمنحنا إياه.. وحينما كان "هو" ينبغي أن يصبح أنا... ". وإذا ما انتقلنا إلى ما يدفع به ماركس في السياق عينه، فإنه يذكر:

".. إن المطالب بالتخلي عن الأوهام بالحالة التي هو عليها فيها، لهو المطالب بالتخلي عن حالة تتطلب الأوهـام.. لقد نتف النقد الزهور الخيالية في السلسلة، لا لكـي يحمـل الإنسان السلسلة العادية من الخيال، والباعثة على الأسى، بل لكي يرمي بالسلسلة ليقطف الزهور الحية..." [1].

إنه حسب ما تقدم فإنه من الأهمية بمكـان أن يفهـم الإنسان ـ أي إنسان ـ فهما صحيحا وموضـوعيا لجميـع القوانين التي تتحكم في حياة الفرد والمجتمع، وهو ما يعنـي أن الذات الإنسانية في إطار وجودها الاجتماعي تعيش، بـل وتعج في الأوهام مما يتطلب أن تتسلح الذات بالفهم والوعي بالحقائق، حتى يمكن أن يغير الواقع الذي يكرس وجود مثل هذه الأوهام. وبيد أننا هنا نطالب بضرورة الـوعي، فإنـه يتوجب علينا أن نزيل اللبس الذي يكتنف الذهنية الإنسـانية، وهو ما يأتي من خلال تربية الذات على الفهم الصـحيح لا المغلوط، والذي من شأنه سوف يحرك الواقع القائم برمتـه

---

(1) استندنا في هذا الاقتباس على:

أريد فروم، ما وراء الأوهام، ترجمة صلاح حاتم، دار الحوار، الطبعة الأولى، اللاذقية، ١٩٩٤ م، ص ٥.

رأسا على عقب، ويأتي بآخر خالص من التناقضات التي هي سبب في ركون الذات إلى الخيال والوهم.

فعن طريق التربية والمنطق والعقل، يمكن الحد مـن ضياع الذات واغترابها، ومن ثم عدم اللجوء إلـى الخطـاب السحري لحل ما يعترضه من مشكلات، إن عـدم انسـحاب الذات من المجتمع وغربتها عن الآخرين، سوف يأتي بما هو محجوز، أي سوف يأتي بواقع جديد تتم فيه المصالحة بينهـا وبين الطبيعة أولاً، وما ينبغي عليه أن يفعل ثانيا، ناهيك عن رأب الصدع بينها وبين الذات والواقع القائم ثالثًـا، وفصـم العلاقة بين السحر والذات الإنسانية التي تقوم على التملـك والاستهلاك رابعا.

وحرى بنا أيضا أن نسجل هنا، أنه حسـب تفعيـل منطق التربية والفهم، فإننا نكون بصدد إعادة لوضع الإنسان في صورته السليمة لا المريضة، إذ من خلالها يتم اسـتبدال سيكولوجية الفكر أو ما هو جواني، بوجودية الواقع العينـي، والتي تعكس التبصر والمعرفة الحقيقية، التي من شـأنها أن تعمل على عزل أو نفي الانفعال، والبعد عن تداعي الأفكـار اللاشعورية وإنتاج خيالات عصابية غير سوية.

المراجع

أولاً: باللغة العربية:

١) أ. كاردينر و أ. بيريل، هؤلاء درسوا الإنسان، ترجمة أمين الشريف، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٨٤.

٢) أبو العباس أحمد بن علي البوني، منبع أصول الحكمة، دار يوسف، بيروت د. ت.

٣) أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث، الاجتماعية والجنائية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٥.

٤) أحمد أبو زيد، رؤى العالم، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٣.

٥) أحمد الديربي، فتح الملك المجيد المؤلف لنفع العبيد، المطبعة العثمانية المصرية، رمضان ١٣٤٧.

٦) أدموند ليتش، كلود ليفي شتراوس، البنيوية ومشروعها الأنثروبولوجي، ترجمة ثائر ديب، دار كنعان الطبعة الثالثة، سوريا، ١٩٨٥.

٧) أدين كيرزويل، عصر البنيوية: من ليفي شـتروس إلى فوكو، ترجمة جابر عصـفور، آفـاق عربيـة، بغداد، ١٩٨٥.

٨) أحمد فاضل (مقدمة الترجمة)، توكاريف، الأديان في تاريخ شعوب العالم، الأهالي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سوريا، ١٩٩٨.

٩) أريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ترجمـة فـؤاد كامل، مكتبة غريـب، الطبعـة الأولـى، بيـروت، ١٩٩٤.

١٠)ألبير بابيه، أخلاق الإنجيل: دراسة سوسـيولوجية، ترجمة عادل العوا، دار الحصاد وكنعـان، الطبعـة الأولى، بيروت، ١٩٩٧.

١١)ترانس هوكز، البنيوية وعلم الإشارات، ترجمة مجيد الماشطة، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

١٢)جاك لومبار، مدخل إلى الأنثولوجيا، ترجمة حسـن قبيس، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٩٧.

١٣)جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصـرية القديمة، ترجمة أمين سلامة، الهيئة المصرية.
١٤)جون الكريدج وجون ولدون، الظلمة الآتيـة علـى العالم، ترجمة إيفا وهيب، لـوجس سـنتر، الطبعـة الأولى، القاهرة، ١٩٩٦.
١٥)جون ستروك، البنوية وما بعدها، من ليفي شتروس إلى دريدا، ترجمة محمد عصفور، عـالم المعرفـة، العدد ٢٠٦، الكويت ١٩٩٦.
١٦)د. ت سوزوكي، التصوف البوذي والتحليل النفسي، ترجمة ثائر ديب، دار الحـوار، الطبعـة الأولـى، اللاذقية، ١٩٩٦.
١٧)رولان بارت، الأسطورة اليوم، في: سحر الرمـز، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمن، دار الحوار، الطبعة الأولى، اللاذقية، ١٩٩٤.
١٨)ريتشارد ويلهلم و ك. ج يونج، القوى الروحية وعلم النفس التحليلـي، دار الحـوار، الطبعـة الأولـى، اللاذقية، ١٩٨٨.

١٩)سامية الساعاتي، السحر والمجتمع، مكتبة الأنجلـو المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠.
٢٠)سيد القمني، الأسطورة والتراث، دار سينا، الطبعـة الثانية، القاهرة، ١٩٩٣ م.
٢١)سيرج سويزون، الكهان في مصر، ترجمة عيسـى طنوس، الأهالي للطباعة والنشر، الطبعـة الأولـى، دمشق، ١٩٩٤، ص ١٨ و٢٥.
٢٢)شحاتة صيام، الدين الشعبي في مصر: نقـد العقـل المتحايل، رامتان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٥.
٢٣)ـــــــ، الدين الشعبي في مصر، نقـد العقـل المتحايل، رامتان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولـى، القاهرة، ١٩٩٥.
٢٤)ــــ، العنف والخطاب الديني في مصـر، دار سينا، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٢.
٢٥)شفيق مقار، السحر في التوراة والعهد القديم، رياض الريس للنشر والتوزيع، الطبعـة الأولـى، لنـدن، ١٩٦٩.

٢٦) عبد العزيز العيـادي، ميشـال فوكـو: المعرفـة والسلطة، المؤسسة الجامعيـة للدراسـات والنشـر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٤ م.
٢٧) عبد الفتاح الطـوخي، الخـاتم السـليماني والعلـم الروحاني للإمام الغزالي، مكتبة الثقافة د. ت.
٢٨) عبد ا إبراهيم وسعد الغانمي وعواد علي، معرفـة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركـز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الرباط، ١٩٩٠.
٢٩) عبد الوهاب جعفر، البنيويـة فـي الأنثروبولوجيـا وموقف سارتر منها، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٩.
٣٠) علاء الدين عبد الرحمن السـيوطي، الرحمـة فـي الطب والحكمة، المكتبة العلمية، بيروت د. ت.
٣١) علي بن سيناء، مجموعة ابن سينا الكبرى، مكتبـة الجمهورية العربية د. ت.
٣٢) علي سامي النشار، نشـأة الـدين، مركـز النمـاء الحضاري، الطبعة الأولى، حلب، ١٩٩٥.

٣٣)عمر سليمان الأشقر، عالم الجن والشياطين، المكتبة العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، د. ت.
٣٤)عمر صبحي عبد الحي، الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم: بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٨.
٣٥)فراس السواح، دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات علاء الدين، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٤.
٣٦)فوزي العنتيل، بين الفلكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٨.
٣٧)ك. ج. يونج، الآلهة اليهودية: بحث في العلاقة بين الدين وعلم النفس، ترجمة نهاد خياط، دار الحوار، الطبعة الأولى، اللاذقية ١٩٨٦.
٣٨)كارل يونج، التنقيب في أغوار النفس، ترجمة نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٩.

٣٩)كلود ليفي شتروس، الأسطورة والمعنـى، ترجمـة صبحي حديدي، دار الحوار، الطبعة الثانية، اللاذقية سوريا، ١٩٩٥.
٤٠)كلود ليفي شتروس، البنيوية، ترجمة حسن قبيسـي، المركز الثقافي العربـي، الطبعـة الأولـى، الـدار البيضاء، ١٩٩٥.
٤١)كولن ولسن، الإنسان وقواه الخفية، ترجمة سـامي خشبة، دار الآداب، الطبعـة الخامسـة، بيـروت، ١٩٨٧.
٤٢)ل ك تبوا، المذهب الباطني في ديانات العالم، ترجمة نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات، الطبعـة الأولى، بيروت، ١٩٩٨.
٤٣)اللؤلؤ والمرجان في تسخير ملوك الجـان، مكتبـة الجمهورية العربية د. ت.
٤٤)لويس مينار، هرمس: المثلـث العظمـة أو النبـي إدريس، ترجمـة عبـد الهـادي بـن عبـاس، دار الحضارة، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٩٨ م.

٤٥)مجدي الشهاوي، خوارق العادات، مكتبـة القـرآن، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٦١.
٤٦)محمد الجوهري وسـعاد عثمـان، دراسـات فـي الأنثروبولوجيا الحضرية، دار المعرفـة الجامعيـة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص، ص ٣٢٧ ـ ٣٣٦.
٤٧)محمد الصايم، حوار مع الشـيطان، دار الفضـيلة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٢.
٤٨)محمد رضا اللواتي، المعرفة والنفس والألوهية، دار الساقي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٤.
٤٩)محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب من الجاهلية وولادتـي، الجـزء الأول، دار الفـارابي، الطبعـة الأولى، بيروت.
٥٠)مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية (ثلاثة أجزاء)، دار دمشق، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٧.
٥١)مزامير داود، الملك والتي، مطبعة رومية، مصـر، ١٣١٤ م.

٥٢)ميشال فوكو، نظام الخطاب، تعريب محمد السكاني وعبد السلام بعبد العـالي، دار النشـر المغربيـة، ١٩٨٥ م.

٥٣)هاري دوجلاس، الطهر والخطر، ترجمـة عـدنان حسن، دار المدى، الطبعة الأولى، سوريا، ١٩٩٥ م.

٥٤)ون كولر، الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، العدد ١٩٩، الكويت، ١٩٩٥.

٥٥)ويليام وودز، تاريخ الشـيطان، ترجمـة ممـدوح عدوان، دار الجندي للنشر، الطبعة الأولى، دمشـق، ١٩٩٦.

٥٦)يوليوس ليبس، بدايات الثقافة الإنسانية، ترجمة كامل إسماعيل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٨.

ثانيا: باللغة الأجنبية:

٥٧) Badcockl, Levi – Strauss, Structuralism and sociological theory, Huntchinson, London, ١٩٧٥.

٥٨) Clark S., The foundation of structwalism, haveser pres, sussex, ١٩٨١.

٥٩) Frazer G., The Golden Bough, the Macmill press, London, ١٩٥٨.

٦٠) Giddens A., Hermeneutics and social theory, in; Profiles and critiques in social theory, Macmmilan press, London, ١٩٨٢

٦١) Leach E., Social Anthropology, Fontana, London, ١٩٨٢.

ملاحق الدراسة

١- بعض الموضوعات الصحفية التي تعبر عن مدى شيوع السحر في المجتمع المصري.
٢- جدول يوضح طرائق وآليات العمل وفق ما جـاء بـه خطاب السحر.
٣- نماذج للأعمال والأحجبة وكتابات السحر.
٤- شهادة عالم دين توضح حقيقة السحر.

الوطن العربي ٢٩/٣/١٩٩٠

العلاج بالقرآن حقيقة أم وهم ؟

جن يخطط لطلاق زوجة يحبها !

[illegible] الحالة المريض يجسده عاشقة من الجن ... والشيخ يظهر على الصورة

أحيانا يقف الطب عاجزاً أمام بعض الحالات المرضية. فليجأ المريض للعلاج بالقرآن الكريم معتقداً أن الجسد مصاب بمس من الجن أو السحر. وأن الجن ممسكا بأعضاء جسده. مسببا له آلاما لا تطاق.

ونحن في هذا التحقيق نقدم بعض الحالات التي لجأت للعلاج بالقرآن بعد سنوات طويلة من المعاناة مع المرض ونلتقي بأحد المعالجين بالقرآن.

ونترك للقارئ في النهاية الحكم على ظاهرة العلاج بالقرآن.

ويؤكد الشيخ محمد عبد الواحد على صدق وجدوى العلاج بالقرآن الكريم فيقول هناك آيات قرآنية كثيرة تؤكد جدوى العلاج بالقرآن وكذلك السنة النبوية تؤكد ذلك كما ورد في الحديث النبوي «وخير الدواء القرآن».

وهناك أمراض كثيرة يصاب بها الإنسان عن طريق مس الجان وقد مرت علي حالات كثيرة من تلك وتم شفاؤها بحمد الله بفضل القرآن.

حرج الجن

ومن تلك الحالات حالة غريبة لا أستطيع نسيانها حتى الآن وهي حالة سيدة أصيبت بحالة انتفاخ غريبة في البطن واستمر الانتفاخ يتزايد بمرور الأيام حتى كادت السيدة أن تهلك وقد عرضها أهلها على عدد كبير من الأطباء، ففشلوا في علاجها وأخيرا جاء لي زوجها مستغيثا فذهبت إلى المنزل حيث وجدت حالتها خطيرة وبدأت معها رحلة علاج طويلة استمرت أسابيع حتى تمكنت من إخراج الجن الذي كان يتلبس جسدها وحرقه بعد أن ظل يصرخ بأنه يحب هذه السيدة ولا يستطيع تركها، لذلك أصابها بهذا الانتفاخ حتى يكرهها زوجها ويطلقها.

اغتيال ثعبان

ويؤكد كرم عطية عبد العال صحة العلاج بالقرآن الكريم فيروي تجربته الشخصية مع الشيخ عبد الواحد قائلا منذ شهور بدأت أشعر

تحقيق
مرتضى العمدة

بانتفاضات غريبة في جسدي كنت أسقط خلالها على الأرض وبازدياد حالتي سوءاً ذهبت إلى عدد كبير من الأطباء منهم الدكتور جمال ماضي أبو العزايم.

إلا أنهم جميعا فشلوا في علاجي برغم أنهم أجروا لي عشرات الفحوص والتحاليل الطبية التي عجزت عن معرفة حسابي حتى جاء العلاج بالصدفة حينما قال لي الدكتور هشام أبو النصر بعد أن يئس من علاجي ليس هناك شيء يمكن فعله لك سوى أن تلجأ إلى الله - في هذا اليوم رأيت فيما يرى النائم ثعبان حجمه غريب فاتحا فاه ليفترسني وظل هذا الحلم يتكرر على مدى أيام طويلة فذهبت إلى الشيخ عبد الواحد، الذي بدأ معي رحلة العلاج بالقرآن وقال لي حينما ترى الثعبان في الحلم امسك سكينا واقطع رأسه وسألته كيف قال لي اقرأ آية الكرسي قبل النوم وستكون في يدك سكينة وأنت نائم وبالفعل قرأت آية الكرسي وعدة آيات أخرى قالها لي الشيخ ونمت وحينما جاء لي الثعبان في الأحلام فوجدت سكينة في يدي فقطعت بها رأس الثعبان بسرعة بعدها صحوت من النوم وأنا أشعر براحة نفسية هائلة ومع مرور الأيام اختفت كل الأعراض المرضية التي كنت أعاني منها وعدت سليما والحمد لله بعد أن تأكدت من الشيخ عبد الواحد أن هذا الثعبان كان جنيا أخذ صورة الثعبان وهو الذي كان يؤذيني.

سر عبد الواحد

أما أغرب الحالات فهي حالة لطفل يدعى أحمد ٩ سنوات ويقول والد أحمد ابني أصيب بحالة صرع غريبة ومررنا به على جميع أطباء مصر لعلاجه بدون جدوى إلى أن أتيت به للشيخ عبد الواحد فأخذ يقرأ عليه آيات من القرآن حتى حضر الجني الذي كان يتلبس جسده ونطق بصعوبة وقال - أنا لم أقصد أذيته، وأحمد هو الذي وقع علي بالصدفة فأمر الشيخ عبد الواحد بالخروج بعدها شفي أحمد تماما بفضل العلاج بالقرآن الكريم.

(الوطن العربي) على استعداد تام لتلقي الحالات المستعصية وتوجيهها للشيخ عبد الواحد لعلاجها بالقرآن.



الأهرام ١٩/١١/١٩٩٤

المشعوذون والمصيدة!!

• مدرس أنام بدعوى تحسانية أمام محكمة الإسكندرية للأحوال الشخصية ينفي فيها بنوة ابنته ويزعم أن زوجته أنجبتها من معاشرة الجان!

• دجال بالبساتين استولى على ٨٠ ألف جنيه من تاجرين بحجة أن الأسياد ابتلعوهما!

• تاجر يمارس أعمال الشعوذة والدجل للاستيلاء على أموال المواطنين بزعم قدرته على علاج الأمراض وحل المشاكل الزوجية مقابل حصوله على مبلغ ٥٠٠ جنيه في الجلسة الواحدة، وعثر معه على مبلغ ١٧ ألف جنيه حصيلة ساعتين من العمل وضبط عنده أكثر من ٥٠٠ سيدة في انتظار دورهن وقدرت ثروته بحوالي مليون جنيه.

• القي القبض على دجال بالمهندسين يتقاضى ألف جنيه لترويج العانس و١٠٠ جنيه للاستشارة فقط.

• بالدجل والشعوذة استطاع فراش بالسويس الزواج من ٣٠ سيدة بينهن طبيبة بحي عتاقة بالسويس واستولى منهن على حوالي ١٥٠ ألف جنيه.

• القبض على طبيب للمحبة بالفيوم الشيخ خطاب ٥٠ جنيها للاستشارة [illegible]

• مدرس ثانوي يدير منزله للشعوذة بالقليوبية ويعتزل الدروس الخصوصية.

• سائق من بولاق الدكرور يمارس مهنة الطب بمساعدة الأسياد وحصيلة اليوم الواحد ١٧٠ جنيها!

فنون وأشكال وحكايات الدجل والشعوذة كثيرة في الملفات والدفاتر داخل مكاتب رجال المباحث، رحلة قصيرة إلى مكتب المقدم عماد عبد العزيز رئيس مباحث الآداب بمديرية أمن القليوبية لنتعرف عن قرب على أسلوب من أساليب الشعوذة وجدت الوقائع تثير الدهشة ومتهمين يصرون على الإنكار بأنهم يقومون بالنصب بل يصرون على قدرتهم على الشفاء وكشف المستور باستخدام الكتب الموجودة في الأسواق مدون عليها أرقام إيداع رسمية! إنها عالم غريب ومن يتردد عليه أغرب بالرغم من ارتفاع نسبة المثقفين ممن يلجأون الى هؤلاء بعضنا شاهدنا وسار أبناءه أمام المتخصصين وكانت آراؤهم

• الدكتورة عزة كريم الخبيرة الاجتماعية بمركز البحوث الجنائية تقول لجأنا الى الخرافة لفشلنا في الوصول الى التشخيص العلمي لمشاكلنا الاجتماعية وفي غيبة من رجال الدين خرج النصابون والمحتالون والمريض غريق يتعلق بقشة ويصدق كل شيء. كما لا يفوتنا الإشارة الى أن هناك جانبا صادقا لما يبديه الدين في مسألة السحر ولأن المسألة شديدة الغيبية فلابد أن يتصدى رجال الدين العالمون لهذه الظاهرة بالتحليل وتقييم المشاهدة وأن تضاف علوم الفقه بالنسبة الى جانب كليات الطب حتى يكون للطبيب دور علمي وديني أيضا.

الدكتور أحمد شوقي العقباوي أستاذ الطب النفسي له رأي في الشعوذة والدجل يقول إنها كارثة بكل المقاييس أن يلجأ الى الدجال عقل درس الفلسفة والكيمياء واطلع على التاريخ وتخرج في الجامعة مما يؤكد وجود هوة بين المحصلة الفكرية والسلوك اليومي مما يعني المثقف فنجد من حصل على الدكتوراه في فرع من العلوم وتبحر في علمه يتوارى سلوكه مع رجل بسيط يسعى لمحو أميته الأبجدية وأتصور أن الأزمة الحالية .. والكلام للدكتور العقباوي مسئول عنها المؤسسة الدينية والإعلام بكل وسائله.

• الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر وأستاذ الشريعة يقول المسئولية تقع على الضحايا السذج لأن صاحب الحاجة أرعن سواء كان أميا أو مثقفا يصدق كل ما يقال له والدين يأمرنا بسؤال أهل الذكر، وأهل الذكر هنا المقصود بهم الأنبياء والعلماء، ووجود السحر حقيقة حسمها لنا الدين مؤكدا ضرورة توثيق الصلة بالله والابتعاد على الطهارة لأن الشيطان لا يمس المتطهرين ولأن تسأل الله أفضل بكثير من سؤال الدجال الذي يبتز أموالك.

القانون والشعوذة

• المستشار عبد القادر عبد الرشيد رئيس محكمة جنايات الجيزة يقول كل من يمارس أعمالا من شأنها إيهام الغير بوجود قوة خارقة غائبة وقادرة على القيام بتحقيق الرغبات بالوهم يعاقب بالحبس الذي يصل الى ٣ سنوات وأصبح المشرع أن هذه الطائفة تأتي بأعمال من شأنها قتل الفكر الديني والنصب على المواطنين ومعظم قضايا الشعوذة مقترنة بجرائم نصب وسلب وهتك عرض ويضيف أن القانون وحده لا يكفي لقد صدر قانون بجرم الختان ومع ذلك يمارس وصدر قانون بجرم التسول مع ذلك يمارس وشددت قوانين المخدرات العقوبة ومع ذلك هناك من يتاجر في المخدرات فالظواهر الاجتماعية السلبية لا يمكن القضاء عليها بقانون وإنما هناك المدرسة والمناهج التربوية ووسيلة الإعلام بعدها يكون للقانون أثر قوي وفعال.

خالد الأصمعي

آثار الكي واضحة في أرجل طفلة تم محاولة علاجها بالشعوذة

د. أحمد شوقي — د. أحمد عمر

د. عزة كريم — عبد القادر عبد الرشيد

أدوات الشعوذة سوائل غريبة و... وبخور وكتابات غير مفهومة وأحجبة!



في الجزء الثاني من الحوار مع « الداعية المحبوب » الشيخ اسماعيل صادق العدوى خطيب الأزهر الشريف، آثر فضيلته أن يحسم - برؤية شرعية - عشرات القضايا المتعلقة بالجن والعلاج بالقرآن!

فالرجل بحسه الايماني « يدوس على كلمته كأنه يمضغها » حين يشدد على « امكانية » الاتصال بالجن و « حرمة » الاتصال به و « حرمة » الذهاب إلى العراف. والرجل شديد الوضوح حين ينفي مصطلح « العلاج بالقرآن » ويوضح الحدود الشرعية للرقية - ويرد الأمر كله لله!

ورغم أن هذه القضايا شديدة الحساسية والغموض إلا أن رأي الشيخ العدوى « المشفوع بالحجة الشرعية » أقرب إلى الحسم والوضوح وفيما يلي نص الحوار.

الشيخ صادق العدوى :

لا أقول العلاج بالقرآن بل أقول الدعاء بالشفاء

حديث يكتبه

رضا عكاشة

الذي يذهب للعراف كالذي يحتسي الخمر ليفكر!

●● « اللواء الاسلامي » : هل تعتبر وسوسة الشيطان تعبيرا عن جوانب الشر في الانسان . أو كما يقول علماء النفس « الأنا الدنيا » .. ؟

- الشيخ العدوى :

لا ، هذا كلام الفحصلة . هناك وسوسة فعلية واتصال معنوي لا نعرف كنهه - القرآن عبر بكلمة « الوسواس الخناس » فهو يخنس في الانسان ، ويبتعد عندما يتحصن بالايمان والقرآن يشير الى أن أهل الايمان لهم إحساس بهجوم الشيطان : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » .

فنحن لا نقول بالتلبس العضوي ، ولا نقول كما قال الفلاسفة ولكن نقول بالوسوسة والتزيين المؤثر في الانسان .

بعض الفاشلين يركنون الى الوهم

●● « اللواء الاسلامي » : هل هذا المس - غير العضوي - يحدث في الممسوس آثارا أو أمراضا في جسمه أو في صدع بصيبه ؟

- الشيخ العدوى

جاءني كثير من الناس وصرفتهم الى أطباء الأمراض العصبية . وشفي بحمد الله كثير منهم ، لأن العلاج متوفر ، والمرض لا علاقة له بالجن وعندي حالات أعلمها بالاسم والعنوان . الناس مع الاسف عندما تأتي لهم عوارض أول شيء يفكرون فيه هو مس الجن ! وهذا المس أو الصرع المدعى ، قد يكون مرضا في المخ أو الجسد .

لما خرجت من المستشفى بعد أن عجز الاطباء عن علاجي وبعد أن عدت الى البيت وفق الله طبيبا في العلاج . هل أقول أن عندي جنية في ركبتي لأن الطبيب حار في العلاج .

هذا كلام فارغ . أوقع الناس في خيالات

هالات من الخزعبلات تحيط ببعض المدعين من هذه الزاوية .. فالبعض يدعى أنه على علاقة بملايين الجن .. وأنه قادر على تسخيرهم ؟

- الشيخ العدوى :

مسالة تسخير الانس من جهة ... ممكنة !

أما إدعاء الناس تسخير الجن ... مخالف شرعا ، وإنه من الشبهات ما ... إننا لا نثق في الجن . ومن الظواهر ... مثلا أن يقول إنسان - كما قال لي مسئ... سابق - أن الجني أتى له بجنيه ، وا... الجني « سرق » الجنيه لصاحبه إلى ... فالجني سارق ، يسرق كما يسرق الله... الأصل ... أن البعض عاش عند هذه ... ووقف عندها ، فاعتقدنا مثلا في الانسان ... يسخر الجن أنه يستطيع أن يصنع ... وهذه غفلة ، بل هو شأن المغفلين ... يدركون الحقائق .

الحقائق أنه ليس من العسير على ال... من خواصه ، أن يأتي لك بطعام من أي ... استمالة .

الزهق والخسران

●● قلت : هل مسالة الاتصال هذه ... عمل مشروع ...

- الشيخ العدوى :

لا - هذا الاتصال ليس بمشروع قط ... الاسلام عنه ، ونهانا المصطفى صلى الل... وسلم في أكثر من حديث . يقول : من ذ... عراف فصدقه فقد كفر بما نزل على م... واكتبها على لساني ، كل الذين ... أنفسهم إلى الاتصال بالجن ، خاسرون وم... ومرضى وجائعون . ولو كان الجن ينفع ... هم . والقرآن نكر أن من اتصل بالجن زاد... تعبا : « وأنه كان رجال من الانس ي... برجال من الجن فزادوهم رهقا » سورة ... الآية ٦ .

العراف وشرب الخمر

●● قلت : البعض يقول إن الذهاب إلى العراف ليس معناه الاستعانة بالجن .. بل هو بحث عن حل لمشكلة ...

اتق الله .. وحده

■ طلبت من الداعية الكبير أن يوجه رسالة الى ثلاث شخصيات ، فقال : أقول لأي مسئول ، اتق الله في منصبك ، وتمثل عدل عمر .

وأقول للدعوة : وأنا خادم في محراب الدعوة ، اتق الله في دعوتك ، وتمثل اخلاص صاحب الرسالة في دعوتك .

وأقول لكل مسلم : اتق الله ، ولا تكن من الذين قال الله فيهم « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم » !

قضايا الفكر الاسلامي

الدكتور

عامر النجار

لقد أكدنا - من قبل - على حقيقة ناصعة هامة ، وهي أن الاسلام لم يكن دعوة الى التعصب . واذا كانت هناك شهادة ، تؤكد مدى عظمة التسامح الاسلامي ، فهي شهادة عيشويابه ، التي عرضناها في المقال السابق ، وفي هذه الشهادة يؤكد البطريرك عيشويابه على أن المسلمين لم يكونوا قط أعداء للنصرانية .

واذا كانت هذه الشهادة قديمة ، فإن من العلماء المحدثين المنصفين من بين أيضا عظمة التسامح في الاسلام ، منهم على سبيل المثال الأستاذ « ميتز » في كتابه « نهضة الاسلام » فالعالم المسيحي الأستاذ ميتز يقول في نزاهة وموضوعية « أن ما يميز المملكة الاسلامية عن أوربا النصرانية في القرون الوسطى ، أن الأولى يسكنها عدد كبير من معتنقي الأديان الأخرى غير الاسلام ، وليست كذلك الثانية ، وأن الكنائس والبيع ظلت في المملكة الاسلامية ، كأنها خارجة عن سلطان الحكومة ، وكأنها لا تكون جزءا من المملكة الاسلامية ، معتمدة في ذلك على اليهود ، وما اكسبتهم من حقوق ، وقضت الضرورة أن يعيش اليهود والنصارى بجانب المسلمين ، فأعان ذلك على خلق جو من التسامح لم تعرفه أوربا في القرون الوسطى » .

انها شهادة عالم مؤرخ منصف تبين لنا

مطلوب

إنقاذ قرية الفرعونية من عمليات الدجل والشعوذة

تحقيق :
عزة بيومى

نبهنا منذ فترة الى خطورة اثنين من الدجالين فى قرية الفرعونية يمارسان الاتجار بالمرضى . ويتقاضيان مبالغ طائلة ويدعيان ان الملكة ساق المزعومة تعمل مع كل منهما فماذا حدث بعد ان اقبل عليهما المخدوعون من المرضى ؟ زادت نسبة المرضى بغيبوبة السكر حتى امتلأ مستشفى شبين بالضحايا . ونحن نطالب الدكتور عادل حسين محافظ المنوفية بالتدخل لوقف هذه المهزلة .



تاريخ مجدى !! بالامس يمارس القمار .. واليوم يدعى العلاج بالقرآن !!

صراع بين اثنين من الدجالين يكشف

عن أخطر مؤامرة على صحة المرضى وضحايا النصب



د - جمال ماضى ابو العزايم — د - عبد البديع ابو هاشم



نشأ على رائحة السجائر واصدقاء السوء .. وانتهى الى النصب على المرضى !!

وقد تحولت المنافسة بين الدجالين : السنوسى ومجدى الى صراع واشتباك وتبادل للتهم . السنوسى يشكك فى مزاعم مجدى معللا ذلك بأن الملكة ساق ومملكتها مملكة الطب الروحانى معه ويصف مجدى بصفات مقذعة . اما مجدى فيتهم السنوسى بالجهل ويقول انه لا يملك الا الدجل والشعوذة . وان ساق معه هو . وكلاهما على ضلال وعندما يقول البعض لمجدى ان قصة ساق ومملكة الطب الروحانى كان للسنوسى فضل السبق فى ادعائها يقول هذا منذ زمن مضى ولكنى اخذت عنه الملكة بالملكة .

وكلاهما له انصار من المنتفعين به يحمونه ويبعدون عنه التهمات الخصم . ويروجون الشائعات الكاذبة عنه . حتى ان سائقى عربات الميكروباص ومعظمهم من الاميين ينقسمون الى فريقين :

فريق يناصر السنوسى . والاخر يقف وراء مجدى وكل منهما يسرق الزبائن من الاخر .

وكلاهما مجدى والسنوسى مازالا حرين طليقين يجريان طقوس الدجل والنصب على الناس علانية امام الكل ويكسبان الملايين رغم ادعاء كل منهما انه يعمل بالمجان تحت اسم الجمعية الخيرية وجمع التبرعات لبناء المسجد ومساعدة المحتاجين والايتام بالقرية . وقد استطاع السنوسى ان يجمع اموالا طائلة بعد حصوله على تصريح من وزارة الشئون الاجتماعية بإنشاء جمعية خيرية على ان تكون قيمة التذكرة التى يدفعها المريض (خمسة جنيهات) تبرعا للجمعية هذا ما يبدو امام الناس . ولكن الحقيقة تقول ان كل هذه التبرعات تدخل فى خزانة السنوسى . حتى اصبح وهو المزارع البسيط يمتلك عقارات واملاكا خارج محافظته الى جانب مستشفى تخصصى يقوم ببنائه واصبح له سكرتير خاص ينظم له مواعيده .

لذلك يحاول مجدى الآن بشتى الطرق الحصول على تصريح لانشاء جمعية خيرية هو الاخر لتكون ستارا للاموال التى يبتزها من الناس . وقد ذكر احد المحيطين به انه طلب من سكرتير السنوسى ان يعطيه دفترين من دفاتر التذاكر التى يعمل بها السنوسى والتى تحمل اسم الجمعية الخيرية - ليعمل بها مؤقتا ولكنه رفض .

هذان الدجالان يتاجران بامراض الناس .. هذه العبارة قالها اكثر من واحد من اهالى القرية وقالوا .. ان القرية اصبحت تجمعا لاخطر الامراض حيث يتوافد إليها كل يوم مئات المرضى يحملون امراضا متنوعة منهم لا يذهبون الا للاطباء اما مجدى والسنوسى فلا يلجأ اليهما احد على الاطلاق لاننا نعلم حقيقتهما ونعلم ان لمجدى ابن عم مريضا بالشلل فإذا كانت لديه القدرة حقا على العلاج فمن باب اولى ان يعالج ابن عمه وكذلك السنوسى .. لماذا ترك اخاه يدخل المستشفى عندما مرض واجريت له عملية جراحية ؟

الدجال يذهب الى الطبيب

وقال الدكتور محمد الزهار طبيب بالفرعونية انه يعالج جميع افراد اسرة مجدى والسنوسى بل ان السنوسى نفسه عندما مرض لجأ إليه ليعالجه ولكنه ذهب اليه متخفيا واخفى عنه شخصيته .

وقال د . الزهار ان العيب ليس فى

اصدقاء مجدى واسمه «فيصل» خرج عليه يوما واشتبك معه وطلب منه نسبة من المكاسب الكبيرة التى يحصل عليها يوميا . وعندما رفض مجدى اخذ فيصل يكتب شكاوى ضده للمسئولين ويطبع اوراقا تحمل تاريخ مجدى وبراعته فى لعب القمار ويوزعها على مرضاه . بل كان يقف وسط الناس ويقول ان مجدى هذا بالامس كان يجلس بجانبى ويحاورنى على منضدة القمار .. واليوم بقدرة قادر اصبح الشيخ الورع المعالج بالقرآن .. الى ان شعر مجدى بخطر فيصل فخضع له . وانضم فيصل لشلة المنتفعين فى مقابل مائة جنيه يرسلها مجدى اليه يوميا مع شروق الشمس .

إدخاله بدون تصريح من وزارة الصحة .. فخرجت عليه سيدة من بين الصفوف وهى تقول له : انا مريضة بالايدز واريد ان تعالجنى بالرغم من انه كان متشوقا لعلاج حالة ايدز .. رفض حتى ان يقترب منها وقال لها لن اعالجك قبل ان تحضرى معك احد المسئولين ..

وقد بحثت عن حكاية مستشفى العباسية التى يرويها . فاكدت لى إدارة المستشفى انه حضر اليها بالفعل هو وبعض مساعديه وطلب حالة ايدز . فقالوا له : لاتوجد حالات ايدز بالمستشفى ولكن توجد حالات كوليرا وبعلوا باحضار حالة له لعلاجها .. ولما شعر مجدى ان هزله اقترب من الجد قال : لا انا تخصص ايدز فقط ولا ملاريا .

ان مجدى ... فى تدهور حالة مرضية الى ان اصيب بفشل كلوى خاصة وانه اشترط على المريض ان يتوقف عن علاج الاطباء .

● رجل يشغل مركزا مرموقا سحب منه مجدى فى عدة جلسات ٢٥٠٠ جنيه وهو يجهله . وعندما اكتشف نصبه واحتياله طالبه بالمبلغ . فرفض رده وتصدى له اعوانه الى ان كشف لهم عن شخصيته فردوا اليه المبلغ .

● اكثر من حالة وفاة حدثت اثناء الجلسات منها مثلا مريض من المنصورة كان يعانى من مرض خطير - جاء الى مجدى وعمل بنصيحته بان توقف عن العلاج الكيميائى حتى لا يتضارب مع علاج الاطباء الروحانيين وفى اليوم الثالث توفى الرجل وهو منتظر دوره بين الصفوف فتركه مجدى ملقى فى الشارع متبرئا منه .

الأمية الدينية هى السبب

لاشك ان ظاهرة الطب الروحانى والشيخ المعالج صاحب السر الباتع ظاهرة تتكرر كل يوم فى مجتمعنا فى الوقت الذى بلغ التقدم العلمى اقصاه فى مجتمعات اخرى - هذا ما اكده الدكتور عبد الباسط ... الاسلام دين يحترم العقل والمنطق ويحث على الاخذ بالاسباب ولعل ذلك يرجع الى تفشى الامية الدينية فى المجتمع .

ويضيف د - عبد الباسط .. بحكم عملى كطبيب عرضت على حالات مرضية عديدة وربما كان المرض بسيطا ويسهل حصاره والقضاء عليه فى بادىء الامر . ولكن الذهاب الى هؤلاء الدجالين من امثال السنوسى ومجدى وغيرهما من محترفى الشعوذة ادى الى ان المرض اصبح مزمنا ووصل الى درجة كبيرة من الخطورة .

واكد الدكتور حسن بلال - وكيل وزارة الصحة - ان مهنة الطب لها اصول وقواعد وقوانين تنظمها كمهنة ويحاسب اى طبيب يخطىء فى عمله لانه درس الاصول العلمية لهذه المهنة الامراض المزمنة ... روحانيا او بتحضير الجنى المتخصص فى علاج مرض او بقراءة بعض الايات القرآنية من الذى يحاسبه ويعاقبه اذا اخطأ ويذكر د - بلال ان الاحصائيات فى احد مستشفيات المنوفية اكدت ارتفاع نسبة حالات غيبوبة السكر وبالبحث تأكدنا من وجود دجال بالقرية - السنوسى - يدعى علاج مرض الفشل الكلوى والسكر بالقرآن . فتوافد عليه المرضى دون الاطباء . واكد د - بلال ان اى واحد يمارس مهنة التطبيب ويطلق على نفسه لقب معالج بدون ترخيص من وزارة الصحة يجب ان يعاقب .

يؤكد على ما سبق الدكتور جمال ماضى ابو العزايم ويقول ان العلاج له ادوات وقبل العلاج لابد من التشخيص . اما الذين يقدمون العلاج قبل التشخيص فانهم اثمون لان كل مرض له اسبابه فكيف يقدمون على وصف بدون معرفة سبب المرض ونوعه ؟

إساءة للمريض

مصيدة للأرواح الشريرة في كنيسة العذراء المغيثة بحارة الروم !

العفاريت في كل مكان !

هكذا يقول الناس وتؤكد الكتب السماوية لكن موعدنا هذه المرة كان غريبا ومثيرا .. فلم يكن يخطر ببالنا ونحن نقدم حلقات العلاج بالكتب السماوية في الاسبوعين الماضيين ان يكون الموعد هذا الاسبوع داخل احدى كنائس القاهرة .. حيث يتم العلاج من امراض الجان والعفاريت بالانجيل !.. وحيث يتوافد مئات المسلمين والمسيحيين على قاعة الصلاة بكنيسة العذراء بحارة الروم بالغورية .

المشاهد هناك كانت أكثر من مثيرة .. اما اصحاب الحالات من المرضى فكان صراخهم يصم الاذان .. كلما اقترب الراهب جبرائيل ذو الثمانين عاما من احدهم ومسهم بصليبه وتلا عليهم ترانيم الانجيل !

صليب « جلد » في يد « الراهب » جبرائيل لحرق الجان !

الطريق الى كنيسة العذراء المغيثة بالغورية لم يكن سهلا !

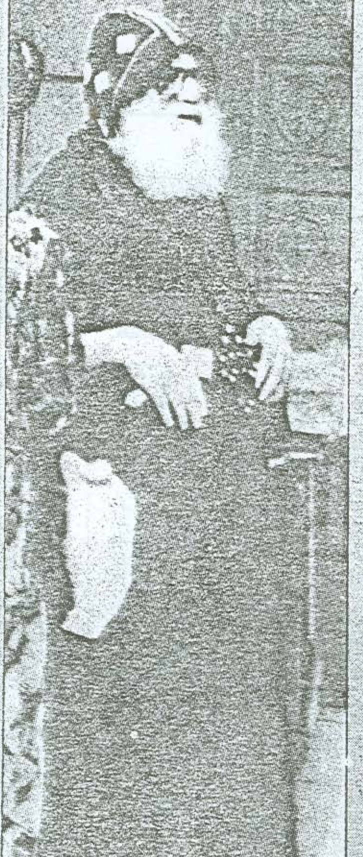
في الساعة الحادية عشرة صباح يوم الجمعة الماضي توقفت سيارة « اخبار الحوادث » امام باب الكنيسة .. واخترقنا الزحام الشديد الموجود بالشارع الصغير وهدفنا شيء واحد .. هو لقاء الراهب «جبرائيل» الذي سمعنا الكثير من الحكايات عن قدرته الخارقة في شفاء المرضى بالجان .

على باب الكنيسة سألنا الخفير عن مكان الراهب « جبرائيل » فقال لنا انه بالداخل .. في قاعة الصلاة يطارد الارواح الشريرة !.. وقبل ان نتحرك من مكاننا دوت صرخة عالية اصابتنا بالفزع .. كان مصدر تلك الصرخة هو قاعة الصلاة حيث يوجد الراهب « جبرائيل » .

اسرعنا الى القاعة .. كنا نتوقع ان نجدها خالية الا من القس « جبرائيل » وصاحبة الصرخة المدوية التي انطلقت منذ لحظات ولكن المفاجأة ان قاعة الصلاة كانت تعج بزحام شديد .. مئات من البشر يجلسون على المقاعد في رعب يتابعون بنظراتهم الزائغة ما يفعله ابونا « جبرائيل » بمرضاه !

صرخات لا تنقطع !

مع اول خطوة لنا الى داخل القاعة وقع نظرنا على فتاة في بداية عقدها الثاني من العمر .. تنام على الارض وتصرخ بلا انقطاع .. تسمرت اقدامنا من هول المشهد .. وقفنا نراقب الراهب « جبرائيل » بملابس الصلاة السوداء وهو يقترب من الفتاة



الملقاة على الارض حاملا في يده صليب « جلد » وراح يتلو بعض تراتيل الانجيل !

توقف الراهب « جبرائيل » امام الفتاة التي تتلوى على الارض .. امسك بشعرها بقوة ثم اقترب بالصليب الجلد من جسدها فاذا بالفتاة تنتفض في فزع وراحت تصرخ بعنف حتى ظن الجميع انها اصيبت بحالة صرع لا شفاء منها !

وكرر الراهب « جبرائيل » ما فعله مرة ثانية وتعالت صرخات الفتاة تهز ارجاء المكان بقوة .. وشعر كل الموجودين ان هذه الفتاة لن تهدأ بعد ما قام به الراهب « جبرائيل » ، ولكن المفاجأة التي اذهلتنا ان الفتاة بعد تلك الصرخة القوية هدأت تماما !!..

توقفت عن « المرمغة » على الارض واسرع اليها اقاربها يحملونها الى اقرب مقعد .. استلقت الفتاة بظهرها في هدوء ولم تنبس بكلمة او صرخة اخرى !!

لم نهنأ قليلا بالهدوء الذي ساد القاعة بعد ان انقطعت صرخات الفتاة المريضة بالجان .. فقد انطلقت صرخة اخرى لم نكن نعلم مصدرها !.. توجهنا بانظارنا ونحن واقفين بالقرب من باب القاعة الى شاب يجلس بين الحضور يمسك بذراعيه بقوة ويحاول ان يكتم آلامه .. ولكنه لم يقو على الاحتمال اكثر من ذلك .. اطلق صرخة اخرى مدوية والقى بنفسه الى الارض وراح يتألم بشدة .

في تلك اللحظة .. شاهده الراهب « جبرائيل » .. التفت بجسده الى الشاب واسرع اليه ولكنه توقف فجأة عندما وقع بصره علينا فقال لنا بصوت اجش ولهجة آمرة

انتم !! .. ابتعدوا عن الباب .. ادخلوا الى الناحية الشرقية وادعوا لإخوانكم المرضى !!

لم نجد امامنا سوى الانصياع لاوامر الراهب « جبرائيل » الذي فرض علينا رهبته !.. تقدمنا بخطوات حثيثة وجلسنا نتابع مع الآخرين ما يحدث

الالم .. لا يطاق !

كانت صرخات الشاب الذي سقط فجأة على الارض تتعالى بينما الراهب « جبرائيل » يطيل النظر الينا نحن الغرباء الذين اغضبناه لاننا وقفنا امام باب القاعة !

ادار الراهب « جبرائيل » وجهه عنا فجأة واسرع الى الشاب الصارخ الذي يتألم بشدة .. اقترب القس منه وراح يتلو عليه بعض الترانيم بينما الشاب يزداد ألما .. ثم امسك الراهب « جبرائيل » بالصليب الجلدي ومسح به على رأس الشاب فاذا بالشاب يصاب بحالة هياج وراح يتلوى على الارض وكان القس المعالج قد ضربه ضربة ساحقة !

مرة اخرى .. اقترب الراهب « جبرائيل » من الشاب .. امسك بفكه ومسح على جسده بالصليب الجلدي فاطلق الشاب صرخة صمت آذان كل الموجودين بالقاعة حتى اننا نحن الغرباء - قررنا دون اتفاق مسبق بيننا ان نهرب من المكان ولتسامحنا صاحبة الجلالة !!

لا ندري كيف حملتنا اقدامنا حتى وجدنا انفسنا خارج قاعة الصلاة ؟.. وجدنا انفسنا في لحظة نقف امام باب الكنيسة الخارجي والى جوارنا زميلنا المصور وقد انقطعت انفاسنا .. لا احد يكلم الآخر واكتفينا بتبادل نظرات الرعب والفزع التي تقفز من عيوننا كما يقفز قلبنا بين ضلوعنا من الخوف غير مصدقين اننا نجونا بانفسنا .. ولكن !

الصحفي لا يخاف !

هذا هو الدرس الاول الذي تعلمناه منذ ان التحقنا ببلاط صاحبة الجلالة .. لذا قررنا ان نعاود الكرة من جديد .. ان نهزم خوفنا ونعود الى ما كنا فيه .. قررنا ان ننقل كل ما يحدث داخل قاعة الصلاة بكنيسة العذراء المغيثة مهما كان الثمن

بصراحة .. لا نعرف من اين اتت لنا هذه الشجاعة التي قادتنا الى دخول القاعة مرة اخرى .. ولكن هذا ما حدث .. اقتربنا من باب القاعة توقفنا للحظات ثم دخلنا الواحد تلو الآخر تعلو وجوهنا علامات الاعتذار للراهب « جبرائيل » لما سببناه من هرج ومرج اثناء لحظة هروبنا .

ابتسم لنا الراهب « جبرائيل » واومأ لنا برأسه ان نجلس في الصفوف الاولى من القاعة بعيدا عن الباب .. وقلنا في انفسنا ان الراهب « جبرائيل » يحاول منعنا من تكرار محاولة الهروب باسلوب لطيف .

عندما دخلنا الى القاعة واتخذنا اماكننا رحنا نبحث عن الشاب الذي كان يتألم بقوة لحظة هروبنا .. وفي نهاية القاعة وقع نظرنا عليه .. كان نفس هذا الشاب يجلس مبتسما هادئا وكأن شيئا لم يحدث له !!



البقية ص ٤

زواج الإنس والجان في حكم قضائي!

د. عمار عبد الله

لم يكن قد انقضى من الثمانينات إلا ثلاث سنوات او اربع عندما اصدرت محكمة الجيزة للاحوال الشخصية حكما لم يلتفت إليه الكثيرون ولم يقدروا خطورته في حينها حق قدرها ، وإن كانت جريدة الاهرام قد نشرت خلاصة الحكم في صفحة الحوادث والقضايا ، وكانما هو حكم عادي من بين مئات الاحكام التي تنشرها الصفحة في كل عام .

كان الحكم متعلقا بدعوى اقامتها سيدة تطلب فيها الطلاق من زوجها لانه فيما تزعم قد تزوج بواحدة من بنات الجن !! (بالقانون) ، وانه انجب منها - اي الجنية - طفلين يتسمان بسوء التربية !!! (بالقانون مرة اخرى) ... اي محام سمح له عقله وضميره المهني ان يسطر كلاما كهذا في صحيفة دعوى ؟! وهل تخرج مثلنا في كلية الحقوق العريقة ام انه متخرج من كلية الجن والعفاريت ؟ وهل مايزال إلى يومنا هذا مقيدا في سجلات النقابة ؟ ... على اية حال فليست هذه هي الكارثة ... الكارثة الحقيقية ان عدالة المحكمة فيما نشرته جريدة الاهرام .. قد استمعت إلى شهود الزوجة ، واطمان وجدانها إلى الوالهم (إنه وجدانها وهي حرة فيه) !! ثم قضت من ثم بتطليقها تاسيسا على الضرر الواقع عليها ... مرة اخرى التساءل : هل مايزال القاضي الذي اصدر هذا الحكم معتليا منصة القضاء ؟ إنه مجرد سؤال اوجهه إلى وزير العدل وإلى المجلس

(٣٦) روزاليوسف - ٢٦/٦/٩٥ - [٣٤٩٨]



كل انسان له قرين ... من الملائكة

● هل لكل إنسان قرين من الجن يستطيع ان يؤذيه فى اى وقت ؟

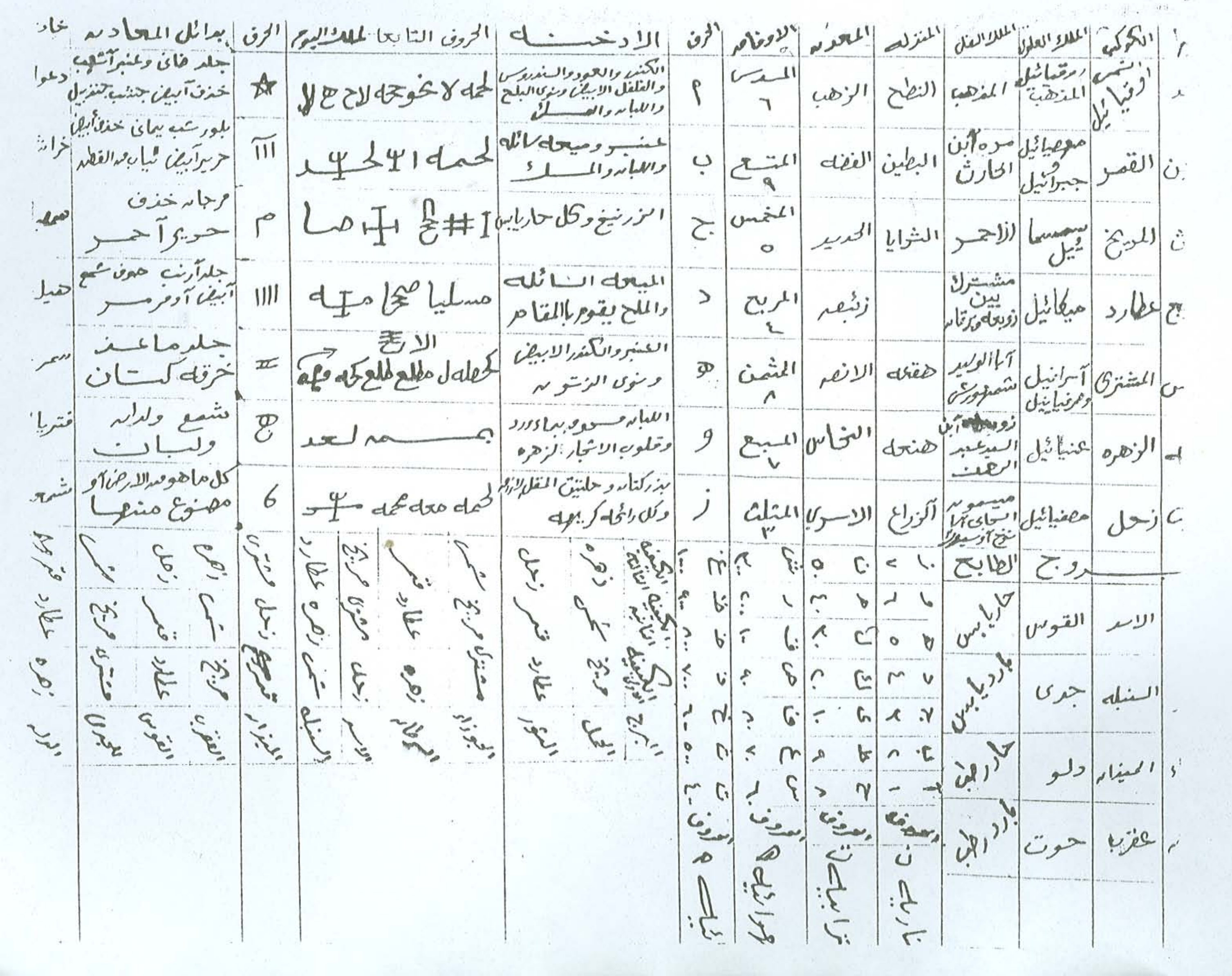
م . ى . د

●● اجمعت الامة على [illegible] صلى الله عليه وسلم وحفظه وحمايته من الشيطان [illegible] ليس لك عليهم سلطان ، وعلى ان الله [illegible] سروره الظاهرى وال[illegible] لا فى جسمه بانواع الاذى كالجنون والاغماء [illegible] خاطره بالوسواس . الذى يوسوس فى صدور [illegible] الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال [illegible] صلى الله عليه وسلم : ما منكم من احد الا وقد و[illegible] من الجن وقرينه من الملائكة . قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياى . ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم . بفتح الميم اى انقاد وقيل لمن وقيل بضمها اى فاسلم من شره زاد سفيان احد رواته : . فلا يامرنى الا بخير . وهذا الحديث فى مسلم وقال الدلجى : هذا الحديث فى البخارى : قال القاضى عياض فى الشفا : . فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بنى ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه ؟ وقد جاءت الاثار بتصدى الشياطين له فى غير موطن رغبة فى اطفاء نوره وإماتة نفسه وادخال شغل عليه اذا يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له فى صلاته فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم واسره ففى الصحاح قال ابو هريرة رضى الله عنه صلى الله عليه وسلم : [illegible] الشيطان عرض لى ، قال عبد الرزاق فى صورة [illegible] يقطع على الصلاة فامكننى الله منه فذعته [illegible] ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه [illegible] رب اغفر لى وهب لى ملكا) الاية [illegible] الشيطان انى بلالا فلم يعينه كما يهدأ الصبى حتى [illegible] وان لكل انسان قرينه من الجن ومن [illegible] شىء من وسوس [illegible] الله سبحانه لقوله تعالى : (واما ينزغنك [illegible] فاستعذ بالله) الاية فان الله سيكفيه ويحميه من سروره اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا واجعلنا فى حمك يا ارحم الراحمين اللهم امين .

□ آخر فتوى عن الجن تنشرها جريدة اللواء الإسلامية التى يصدرها الحزب الوطنى

الاعلى للقضاء ، مع احترامى الكامل للجهاز القضائى المصرى المشهود له بعدالته ونزاهته ، والذى لا يمكن ان يسيء إليه ان يوجد من بين افراده واحد يخل إخلالا جسيما بتقاليد مهنته ، طالما ان الجهاز نفسه يقوم بتطهير نفسه اولا باول من كل مايلحق بصفحته الناصعة من ادنى الشوائب . وهو ما يجعلنى اتساءل مرة اخرى : ما الذى فعله التفتيش القضائى ؟ وما هى مهامه إن لم يكن فى مقدمتها محاسبة الناس اخذ بشهادة الشهود فيما يخالف العقل - مهدراً بذلك ابسط ضمانات العدالة التى تعلمناها فى كلية الحقوق ، وفاتحا بذلك الباب على مصراعيه لتكريس الخرافة وتاكيدها فى حكم قضائى يفترض فيه كما تعلمنا انه عنوان الحقيقة ؟؟ (قد يقول قائل إن الجن ليس خرافة .. نقول له .. على الاقل فإن الزواج منه والإنجاب خرافة لاشك فى انها كذلك) .. لقد سارعت وقتها إلى كتابة مقال بمجلة « المصور » .. لم اجد إلى الآن له صدى لدى وزارة العدل ... اوضحت فيه وقتها مدى خطورة ان يمر هذا الحكم الذى لايجد له سندا لا فى العقل ولا فى الواقع ولا فى الشرع ولا فى التراث الإسلامى المضيء .. مدى خطورة ان يمر هذا الحكم مرور الكرام ، دون ان يجد تعقيبا يطمئن النفوس على مصداقية جهازنا القضائى ، وعلى صورته الناصعة فى عيوننا وفى عيون العالم الخارجى ، خاصة اننا مازلنا رغم كل شيء نتمسك بقضائنا ملاذا للعدل الذى افتقدناه فى مواقع اخرى .. إنه ملاذنا الاخير ونحن نتلقى الضربات من كل جانب . وإننا واثقون من ان ملاذنا الاخير لن يخذلنا فى النهاية حتى وإن ظهر بين الحين والحين من بين افراده من يتنكرون لرسالتهم - فهذا وارد فى كل مجال - كل ما نرجوه وهذا حقنا الذى نلح فى طلبه .. ان تطمئننا وزارة العدل إلى انها لن تهون او تتهاون مع اى عبث بالقانون حتى ولو كان صادرا من رجال القانون انفسهم . وإلا فإننا لم يعد لنا إلا الله نستجير به .. إنه نعم المجير . ■

ملحق رقم "٢"



	الكوكب	الملاك العلوي	الملاك السفلي	المنزله	المعدن	الأوفاق	الحرف	الأدخنه	الحروف التابعة للملاك اليوم	الحرف	بدائل المعادن	خادم
١	الشمس	رقيائيل أوفيائيل	المذهب	النطح	الذهب	المسدس ٦	ا	الكندر والعود والسندروس والقلفل الابيض وسنوى البلح واللبانه والمسك	لحمه لاخوحمه لاح ع لا	☆	جلد ضأن وعنبر أشهب خذف أبيض جنشب جنزيل	دعوا
ن	القمر	معهيائيل وجبرائيل	مره ابن الحارث	البطين	الفضه	المتسع ٩	ب	عنبر وميعه سائله واللبانه والمسك	لحمه ا لحد	ااا	بلور شب يماني خذف أبيض حرير أبيض ثياب من القطن	خرانة
ث	المريخ	سمسمائيل	الأحمر	الثريا	الحديد	المخمس ٥	ج	الزرنيخ وكل حاريابس	I#ع ٮ ا ما	م	مرجان خذف حجر أحمر	سمهـ
ج	عطارد	ميكائيل	مشترك بين زوبعة ومرتاس		زئبق	المربع ٤	د	الميعه السائله والملح يقوم بالقام	مسليا صحا ميه	IIII	جلد أرنب حوت شمع أبيض أو مرمر	هيل
س	المشترى	أسرافيل وعمرغيائيل	أبا الوليد شمهورش	هقعه	الانك	المثمن ٨	هـ	العنبر والكندر الأبيض ونوى الزيتون	لحطه ل مطلع طلع لحه فيه	≡	جلد ماعز خرقة كتان	سمر
ا	الزهره	عنيائيل	زوبعة أبو السعيد عبد الرحمن	هنعه	النحاس	المسبع ٧	و	اللبانه والعود وبذور وقلوب الأشجار الزهره	بسـ لعد	♀	شمع ولدانه ولبان	قتريا
ح	زحل	كسفيائيل	ميمون أبا نوح	الذراع	الأسرب	المثلث ٣	ز	بذر كتان وحلتيت المقل الأزرق وكل رائحه كريهه	لحمه معه محه	6	كل ما هو من الأرض أو مصنوع منها	شمهـ

بروج		الطابع
الأسد	القوس	حاريابس
السنبله	جدى	بارديابس
الميزان	دلو	حار رطب
عقرب	حوت	بارد رطب

ملحق رقم "٣"

[illegible] محمد [illegible] الجليل [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم بسر اسرار [illegible] البارئ بالله بحق اسماء
المحمود الذي جعلت منه سيدنا محمد رسولا وبحق اسماء الظاهر الذي جعلته
سيدنا فاطمة الزهراء رسول الله وبحق اسماء الاعلى الذي جعلت منه سيدنا علي ولي امر
المؤمنين وبحق اسماء المحسن الذي جعلت منه سيدنا الحسن
الانسان جعلت سيدنا الحسين الاماما [illegible]
[illegible] فنشق له من اسمه ليجله ذو العرش محمود
[illegible] قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح
عمل المفسدين [illegible]
ذكر [illegible] الجبال كثيبا مهيلا انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم
[illegible] الارض والجبال
[illegible] يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران
[illegible] فاخذ وبيلا
ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
[illegible] وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
[illegible] هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا
[illegible] كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
[illegible] السفينة [illegible] الجبال [illegible]
عليكم بالله ورسوله [illegible]
الاول والآخر [illegible]
لا اسماء الله رب العالمين [illegible]
هذا [illegible] العلوية والاثيرية [illegible] بحق هو
[illegible] ان كان [illegible] ان تحلوا [illegible]
الحلف [illegible]
بحق الاسم [illegible] كبيرا [illegible]

... ودار ... [illegible] ...

وانت يا منبه يائيل وانت يا عهود يا الوصا تطم لعموم ... وانت يا منيائيل

يا عزرائيل وانت يا روقيائيل وانت يا دردائيل وانت يا روقيائيل وانت

وانت يا الحيت وانت يا روقيائيل وانت يا الحجر وانت يا شمهورش

ابو ... الملوك وانت يا برقان وانت يا زوبعة الـ...

ونعوذ ... عن الخدام ... والارواح الطاهرة اجيبوا

ما تؤمرون به واقتلوا باذن الله ورسوله ... ان كان

او من امر ... فحلوه او ... فحلوه

او مربوط فحلوه او مسحور فحلوه او ... فحلوه

او امسكه فحلوه او ... فعله ... فحلوه

من الارض ... تحت الذي يعمل ... وانس

والتراب ... ابنما كان ... ان تشفع

... ولا ... فحلوه

الله ... بالله العلي العظيم

... [illegible] ...

... [illegible] ...

... [illegible] ...

... [illegible] ...

... [illegible] ...

... [illegible] ...

... [illegible] ...

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

اللهم إني أسألك باسمك الأعظم المكتوب من نور وجهك الأعلى المعظم الدائم الباقي المخلد في قلب نبيك ورسولك سيدنا محمد وأسألك باسمك الأعظم الواحد بوحدة الأحد المتعالي عن الكم والعدد المقدس عن كل أحد وبحق (بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أن تصلي على سيدنا محمد صاحب الوجه [illegible] الأعظم [illegible] [illegible] في قلب [illegible] وتخلص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وعلى آله وصحبه وسلم)

لا إله إلا الله
محمد رسول الله

١٧٦

١٧٦ ١٧٦

١٧٩ ١٧٦

١٨١

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد [illegible]

بالمحبة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

يا [illegible] [illegible]

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين

ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض [illegible]

من ت الهم ، ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا
فيه يعرجون ، فافتح بيني وبينهم فتحا ، فافتح [illegible]
[illegible] رحمة من [illegible] حتى [illegible]
[illegible] ، إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ففتحنا
أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا ،
نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ، إذا
جاء نصر الله والفتح ، صدق الله العظيم .
اللهم أسألك بالفتوح الربانية وخصائص الأسرار بالله
سيدنا محمد وآله الفاتح لما أغلق بالفتح لكل
[illegible] يا من [illegible] سيدنا محمد رسول رب العالمين
[illegible] سيدنا محمد رسول رب العالمين [illegible] الله
[illegible] الرسول [illegible] صلى الله عليه وسلم
[illegible] من الله على سيدنا محمد صلى الله
البيت ومن قصد [illegible] الله سيدنا محمد [illegible]
عليه [illegible] الحبيب [illegible] بالسر

اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد الحق وبشر لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

حريص عليكم حريص عليكم [illegible]

[illegible]

جحلبيش . جليش . هجلهيش . هجلجهش

هبلجسهص . هال .. هيلوال

لههجهج . آكلش . آلمشكهج

فلح . ملحال . ككبكوش

٩ ٥ ٥ ٩ ١١ ٨ ١٣ ٣ ٣

[illegible]

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم الفاتح لما أغلق ناصر الحق بالحق
[illegible] العالي [illegible] بحق [illegible] حصنت
بالقوة [illegible] حصنت بالحي الذي لا يموت
حصنت بالواحد الأحد حصنت بالفرد
الصمد حصنت سيدنا محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم [illegible] إذا السماء انشقت وإذا الأرض
[illegible] زلزالها وحصنت ملك [illegible]
الأعظم [illegible]

لا إله إلا الله محمد رسول الله

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

٢٦	٤٥	٤١
٣٤	٢٥	٢٣
٢٩	٢٧	٢٨

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

ملحق رقم "٤"

بسم الله الرحمن الرحيم

لا زلت أتذكر حكايات الحاجة "معيبة" هذه المرأة العجوز التي كانت تأتي [illegible]
لمنزلنا لتساعد أمي في أعمال البيت وتبقى معي تسليني وتحكي لي ولنا نحن الأطفال الحكايات
العجيبة الغريبة عن الجن والعفاريت والنداهة "وأم برازحديد"(1) كما تحكي لنا قصة
الجنية أم شعور طويلة التي كانت تظهر عند الساقية والتي اختطفت شاباً في
سن الخامسة عشرة وخنقته. إلى غير ذلك من الأقاصيص والحكايات التي كانت
أحياناً تذكر لنا أسماء أبطالها وأعمارهم وأزمانهم. وكنا نُشد كثيراً بهذه الحوادث
وهذه الأقاصيص ونسر [illegible] مع الست معيبة إستمع لوصفها لهذه الخرافة الغريبة
العجيبة ذوات العيون المشقوقة بالطول والتي يخطف بريقها الأبصار والبصائر
ودنا لها أحياناً عن طول أسنانها وعرض أظافرها التي قيل إن النار تنقدح منها
ويتطاير شررها. كما أن أصواتها الخشنة الغليظة المزمجرة تصم الآذان وتخلع القلوب
وكنا نأوي إلى بيوتنا [illegible] مخادعنا نحاول [illegible] وأوزار من هذه الأوهام تحول
بيننا وبين إغماض عيوننا. وإن أغمضنا بعد سهاد طويل كان إغفاءة تقطعه الأحلام
المزعجات. وقد ظلت صور هذه الحكايات في رؤوسنا الصغيرة لفترة ليست قصيرة حتى كنت
أتخيل وأنا أسير وحدي [illegible] أو حتى بالنهار من عز الظهيرة أن أحداً يسير ورائي
من الجن والعفاريت يلاحقونني. وأن طرقعة الثياب من قدمي ما هي إلا عفريتاً يسير
خلفي ويتتبع خطاي. وكانت حكايات العفاريت التي تظهر في الأماكن التي قتل فيها بعض
الناس من أبناء قريتنا بسبب ثأر أو نتيجة حادث أو غير ذلك. كانت حكايات هذه العفاريت
لا تنقطع بيننا نحن الأطفال. بل إنها استمرت حتى حين بلغنا سن الثالثة عشرة والرابعة
عشرة من أعمارنا - [illegible] ولا زال في مخيلتي حتى الآن صورة شبح خيل إليّ
أني رأيته في عز الظهيرة في حجرة مهدمة بجرن القرية عُرف أنه قتل فيها أحد أبناء
القرية من اللصوص على يد شركائه الذين اختلفوا معه على أنصبتهم فيما سرقوه
وكنا نسمع من شيخنا في كُتاب القرية أن قراءة آية الكرسي والمعوذتين تمنع أذى
الشياطين وتبعد اعتداء الجان على من يقرؤها وأن حافظ القرآن الكريم لا يتأثر
بسحر السحرة أو أذى الجان، ولذا كنا نقبل على قراءة القرآن لنتقي أذاهم.

(1) [illegible] (الجن) هو (الشبح)

وأذكر أن الله وفقني فحفظت القرآن كله حفظاً جيداً في تسعة أشهر فقط
وحصلت على جائزة التفوق وقدرها مائة وخمسون قرشاً كاملة!! وكانت
وقتئذ تساوي أكثر من مائتي جنيه الآن. وقد شغلتني هذه الحكايات عن
الجن والعفاريت وجعلتني أبحث وبخاصة بعد أن أصبحت طالباً بالأزهر عن حقيقة
الجن ومدى تأثيرهم على البشر ومحاولة معرفة بعض الأسرار عن هذا العالم غير
المنظور.

وقد اشتهر في قريتنا بعض الأسرة المحترفين. ومازالت قصص تسخيرهم للجن
وما يجري على أيديهم من نوادرهم أسماع أبناء القرية وما حولها من القرى والنجوع وأخذ الناس
يرددون ما شاهدوه من خروج العروس فلانة بنت فلان من منزل الزوجية
في الصباح وهي شبه عارية وتصرخ وتجري في الشوارع هائمة على وجهها
وما حدث لفلان وفلانة وما صنعه الشيخ (أبو فاطمة) مع أهل القرية الذين تحدوه
يوماً فعقد لهم خيطاً ووضعه أمام باب المسجد فربط به كل المصلين إلى آخر
هذه الحكايات. التي كنت أسمع الناس يرددونها وأجلس معهم في المساجد وعلى
المصاطب أبين لهم أن هذه خرافات وخزعبلات. وأن الإسلام لا يقرها ولا يعترف
بها على الرغم من أنني كنت أؤمن في قرارة نفسي بأن شيئاً من ذلك يحدث وأن
هناك فيه بعض المبالغات. وكنت أعتقد أن الرسالة التي حملت دعوتها منذ ألحقني والدي بالأزهر
الشريف. تحتم علي أن أحارب ما سميته أنا بالخرافات. وأن ألقي الدروس وأنا لا أزال
بالمرحلة الابتدائية بمساجد القرية وبخاصة مسجد جدي الذي بناه. وكلفني والدي وأنا
في سن الرابعة عشرة فقط بإلقاء خطبة الجمعة فيه والتدريس لأبناء الحي بما عرفته
ودرسته من فقه الإمام الشافعي الذي اخترته مذهباً لي. وكان يتم ذلك في الإجازات
الأسبوعية بعد أن أعود إلى القرية من مدينة الزقازيق التي كنت ألتحق بمعهدها الديني
في نهاية الأسبوع. وفي الإجازة الصيفية التي كانت تصل أحياناً إلى خمسة أشهر
بسبب انقطاعنا عن الدراسة قبل الامتحان بشهر أو شهرين تقريباً. كنا
نسميها شهور المذاكرة. وكنا نسأل مشايخنا في المعهد الديني عن حكاية
الجن والعفاريت وإمكانية تلبس الجن بالإنس وتأثر الناس بالسحر فكان

يعترف بذلك.

بعضهم، وكثير منهم من كان يجاهر بذلك وبعضهم كان يتفلت من الإجابة ويمتنع عن الكلام.

وفي صيف عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين (١٩٥٢) وهو العام الذي حصلت فيه على الابتدائية الأزهرية كنت أتصفح بعض الكتب الموجودة في مكتبة والدي الصغيرة الموجودة بمنزلنا بالقرية. وعثرت على كتاب لا أذكر اسمه بالضبط وهو من الكتب المطبوعة طباعة حديثة وقتئذٍ ولكنه كان يتحدث عن موضوعات شتى من بينها قراءة الكف وفتح المندل وفتح الكوتشينة إلخ. وتصفحت الكتاب فوقع نظري على بعض كلمات قيل إنها تعويذة لفتح المندل. وقد شرح المؤلف الطريقة التي يجب أن يتم بها فتح المندل وهي عبارة عن قراءة هذه التعويذة المكتوبة والتي لا يمكن فهم معناها بسهولة حيث تشتمل على كلمات قيل إنها كلمات سريانية وعلى المعزم أن يقرأها بعد أن يحضر طفلاً لم يبلغ الحلم بعد. ويكتب على جبهته "دفلشتنا عنه غطاءك فبصرك اليوم حديد" ويحمل الطفل فنجاناً يضع فيه زيتاً أو حبراً أسود ثم يعزم المعزم بهذه التعزيمة. وسيرى الطفل أشخاصاً وصوراً سيميزهم جيداً. فيطلب منهم أن يجيئوا ويسلموا ويطبخوا ويرشوا الأرض وينظفوها ويأمرهم أن يأكلوا ويغسلوا أيديهم بعد الطعام ثم يسألهم بعد ذلك عن الشيء المفقود فيرى الطفل هذا الشيء بلونه وطوله وعرضه من هذا الفنجان الصغير وإذا المعروف المكان أو الشخص فحينئذ يسألهم عن اسم هذا الشخص فيكتبوا اسمه بحروف معروفة على سبورة يستطيع الطفل أن يقرأها بسهولة. ويكرر المعزم والحاضرون معه أن يضعوا الحروف التي يحصل لنفرغوا أن هذا الشخص السارق. وعليه للمعزم أن يسأل خدام المندل وهم كما قيل من إخواننا الجان كيف تمت السرقة وكيف دخل السارق إلى المكان ومن أي موضع استولى على الشيء المسروق. ولاحت في ذهني فكرة بعد أن قرأت هذا الموضوع واستوعبته جيداً. لماذا لا أجرب هذا المندل حتى أعرف من الذي سرق محفظتي التي فقدتها في العام الماضي وبها "جنيه كامل صحيح" مائة قرش كانت وقتئذٍ أجراً لاثني عشر رجلاً يعملون في حقلنا بالقرية من طلوع الشمس حتى غروبها. أما المحفظة فقد كانت مصنوعة من الجلد الخالص المطبوع عليه صور ومناظر لبعض آثارنا المصرية

وأخذ "زينتي" أي المحفظة " بعدد كبير من الكبسولات المعدنية حول أطرافها
ولكنت أعتز بهذه المحفظة الكبيرة. وأتفاخر بها أمام الزملاء والأصدقاء وكانت عندي أهم بكثير من الجنيه الذي
سرقت مني من أجله ....

وأحضرت شقيقي الذي كان يبلغ من العمر وقتها ثمانية أعوام. وجلست معه فوق
سطح منزلنا بعد أن أحضرت الأدوات المطلوبة وجلست أتلو التعزيمة وأنا لا أصدق
أن شيئاً مما قرأته في الكتاب سيحدث. لكنني فوجئت بأخي وهو يخبرني بأنه يرى رجلاً
أمام خيمة منصوبة ويصف الرجل وصفاً دقيقاً بل يصف لون حذائه وكأنه يرى
منظراً سينمائياً واضحاً. وطلبت منه وهو الوسيط بيني وبينهم أن يطلب منهم الكنس
والرش والذبح والطبخ والأكل. وكان يخبرني بأن ذلك كله يحدث أمامه من ثوان
معدودات وبعد أن انتهوا من كل هذه الإجراءات. وتنفيذ الطلبات طلبت من أخي
أن يطلب منهم رؤية سارق محفظتي التي سرقت
من دولاب حجرتي التي أسكن فيها مع بعض زملائي بالمعهد الديني في مدينة الزقازيق على بعد ثلاثين كيلو من قريتنا.
وإذا بأخي يخبرني بأنه يرى شاباً أسمر اللون لكنه لا يعرفه وظل يصفه وصفاً دقيقاً. كان
الوصف ينطبق على أحد أبناء قريتنا الذي ألحق بالمعهد الديني منذ عام واحد فقط وهو
ليس واحداً من الاثنين اللذين يشاركاني في هذا السكن. والغريب
أنه بدأ الآن بالتفصيل كيفية دخوله المنزل وفتحه للقفل الذي أغلقنا به الباب
ودخوله إلى الحجرة. وكيف فتح الدولاب وكيف استولى على المحفظة ثم خرج. وقد
وصف أخي الحجرة وصفاً دقيقاً مع أنه لم يشاهدها من قبل بل وصف معالم المنطقة
وصاحبة المنزل (أم عز الدين) التي كانت تجلس وقتها أمام الباب مع الست أم محمد زوجة
عطية البقال صاحب المنزل المقابل للمنزل الذي نسكن فيه. وحتى نتأكد من
أن هذا السارق هو هذا الاسم الذي أعرفه أنا بعد أن استمعت لأوصافه سألناهم
أن يكتبوا اسمه فكتبوا اسمه بحروف متفرقة لكن هل نصدق هذا؟ وكيف
نثبت أنه السارق؟ ولا توجد أدلة مادية على ذلك؟ وهل يصدق العمدة
بحكاية الجن؟ وإذا اعترفت فسيتهمني العمدة بأنه يناصرني ويتحيز لي لأنه خالي
إذاً فلنبحث عن المحفظة ولنحاول العثور عليها حتى نثبت التهمة على هذا

حتى الأمس. وقد أخبرت الأسرة بما فعلت وضحك والدي الذي لم يكن يؤمن لا بالمندل ولا بالجن والعفاريت وقال لي حين أخبرته بما حدث "بلاش كلام فارغ" وبعد يومين فقط أو ثلاثة جاء عمي الأصغر وكان يكبرني بخمس سنوات فقط ليخبرني بأن محفظة تشبه محفظتي رآها مع ابن عم المتهم. وأنه يجلس الآن على القهوة الموجودة بالسوق والقريبة من منزلنا. وذهبت معه على الفور إلى القهوة وأمام جمع كبير من الناس طالبت ابن عم المتهم أن يريني المحفظة التي يضعها في جيبه فإذا بي أجدها محفظتي التي كنت أعرفها جيداً وأعرف بعض العلامات الموجودة بها وذهبنا إلى عمدة القرية وصممت على التمسك بالمحفظة التي ادعى حاملها بفخر بأنه اشتراها من سوق الثلاثاء ثم اضطر من النزهة إلى الاعتراف بعد أن أخبرته بعلامة كنت قد وضعتها على الجلد الداخلي لأحد جيوب هذه المحفظة. فاضطر إلى الاعتراف بأنه اشتراها من ابن عمه الذي بدأ حياته في الأزهر بسرقة زميله وابن قريته

وقد كانت هذه الحادثة سببا في تأخره من العام الثاني في الدراسة بسبب الإهانات التي لحقت به من زملائه في المعهد بعد أن ... عرفوا ... الحقيقة. وقد اضطر إلى ترك الدراسة والعودة إلى القرية ليعمل مع والده في الزراعة. حتى شاء الله بعد ذلك أن يلتحق عاملاً بأحد المصانع بالقاهرة ولا يزال موجوداً يعمل به حتى الآن. ورغم تأكدي بعد فتح المندل من وجود الجن وإمكان تسخيرهم فقد ظللت أكذب ما يدعيه [أبو مطاوع ومحمد أبو زيد] وغيرهما ممن اشتهروا في قريتنا بعمل الأسحار وتسخير الجان رغم أن بعض الناس كانوا يقسمون بأغلظ الأيمان بأنهم رأوا وشاهدوا بأعينهم أناساً من العالم الآخر أحضرهم ... أبو مطاوع والشيخ محمد أبو زيد وأنهم رأوا على يديهم بعض الخوارق كإخراج الأعمال وتحرك قلة الماء وحدها في الجو وتساقط قوالب الطوب وغير ذلك مما لم أكن قد شاهدته بنفسي. وذلك إيماناً مني بأن اعترافي بذلك وأنا محسوب على علماء الدين رغم أني لا زلت طالباً. قد يؤدي إلى فساد كبير. وزعزعة الثقة بالله في نفوس المسلمين وبخاصة أن آخرين ممن اشتهروا بالسحر في بعض القرى المجاورة كانوا من القساوسة والرهبان وكان كثير من العوام في قريتنا يذكرون أنهم أقدر على تسخير الجان وعمل الأسحار وفك السحر أكثر من أبناء المسلمين - وقد اضطررت في النهاية وبعد إلحاح كبير أن أحضر بعضهم

الجلسات التي أقامها الشيخ محمد أبو زيد هذا الذي كان رفيق دراستي في كتاب القرية والذي تفرغ لهذا العمل بعد وفاة والده الذي كان يعمل خادما بمسجد جدي الذي فرض علي والدي القيام بإلقاء خطبة الجمعة فيه منذ كنت طالبا بالمرحلة الابتدائية الأزهرية - وعلى الرغم من مشاهدتي لبعض هذه الخوارق ... بنفسي إلا أنني لم أكن مطمئنا تمام الاطمئنان لكل ما أراه وأشاهده. وكنت أشك في أن وراء كل ما أراه عملا مرتبا عن ذكاء (أو ما يسمونه خفة يد) وكنت أصمم على رؤية من يحضرهم في حجرته المظلمة والاستماع إليهم وهم يحدثونه وأنا أجلس معه في الداخل - ويوم أن صممت على الدخول معه في خلوته التي كنا نسمع فيها أصواتا غريبة وحوارات تتم بينه وبين أصحاب هذه الأصوات ودخلت بالفعل مع صديق لي يزاملني الدراسة في الأزهر سمعنا أصواتا غريبة تأتينا من سقف الحجرة ثم فوجئنا بأصوات نسائية تقول بصوت عال [اضربوه] فأسرعت أنا وصديقي على الفور إلى باب الحجرة الذي جلسنا قريبا منه تحسبا لأي أمر يعجل بخروجنا إلى خارج الحجرة ثم سمعنا الشيخ محمد وهو ينادي بصوت عال ويقول ... [انهضني يا سرور] وكان يقول ذلك وكأنه يرتفع إلى أعلى الحجرة ثم ينزل على الأرض ويضرب ضربا شديدا وأصوات النساء لا تزال في الحجرة تقول لبعضهن بلغة أهل بولاق [اضربي يا بنت. اضربي يا بنت] وخرج الشيخ محمد بعد فترة وقد ظهر عليه الإرهاق الشديد وبدا كأنه ضرب ضربا حقيقيا ثم أخبرنا بأن الذين ضربوه هم عمار المكان الذين لم يكن قد تم صرفهم بالفعل قبل أن ينادي على ملك الجان، وأن سرور الذي سمعنا صوته بالداخل وصبر عليه بعد أن يتصرفه ويقول له [لبيك يا سيدي] هو الذي - وهو خادم ملك الجن - أنقذ الموقف وجاء لينقذه ويطرد هؤلاء العمار لينقذه من موت محقق. ثم أخبرنا بأنه لولا ما يحمله من حجبة وطلاسم تحميه من أذى الجان لكان قد قضي نحبه وأخبرنا بأن علينا أن نحمد الله الذي نجانا من بطش هؤلاء العمار قبل أن يصلوا إلينا بسبب خروجنا سريعا ... وأنه لولا بعده عن الباب وعدم تمكنه من الإسراع في الخروج لكان قد جرى قتلنا وقتله معنا —

وعلى الرغم من كل الذي حدث فقد تخيلت أيضا أن هذه أمور ملفقة وخططا مدبرة أراد بها إيهامنا وإقناعنا بقدرته على تحضير الجان وتسخيرهم - وطلب عند بعض

بباعه في الحاضرين عنده. وعندئذ أخذوا يخبروننا عن بعض أفعاله وأعماله والخوارق التي شاهدوها بأعينهم أو جربت مع بعضهم وطلب منا أن نحضر جلسة أخرى من الجلسات التي يعقدها لمن يترددون عليه للعلاج ويسأل الطبيب أمام مرضاه عن العلاج الذي يقدم لهم. ووافقت أنا وصديقي الشيخ محمد عبيد الذي يعمل الآن مدرساً لأحد المعاهد الأزهرية الثانوية على حضور هذه الجلسة التي حدد يومها. وساعتها إلا أن الظروف ما حالت بيني وبين حضور هذه الجلسة التي حضرها صديقي الشيخ محمد وأخبرني بما تم فيها وذكر لي أن ملك الجان قد حضر بالفعل وأنه ناقشه في بعض الأمور العلمية وسأله عن بعض الأحاديث النبوية التي ذكر له ملك الجن أنها أحاديث صحيحة وفسر مضامينها له ثم ذكر له أي (ملك الجان) أنهم لا يعرفون الغيب. وأنهم لا يخبرون إلا بما وقع بالفعل وشاهده عمار المكان الذين يخبرون بما وقع حين يسألون. وقال له أي ملك الجان حين سأله عن نتيجة مسابقة تعيين مقيمي الشعائر التي تقدمت إليها أنا وهو بعد حصولنا على الثانوية الأزهرية ولم تكن قد أعلنت نتيجتها بعد بأنه لا يستطيع أن يعرف شيئاً عن هذه النتيجة لأنها من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. وقد أقسم صديقي (الشيخ محمد عبيد) بأغلظ الأيمان بأنه لا يكذب علي في حرف واحد مما يقول. ثم روى لي ما قاله ملك الجان لزوج عمتي الذي كان مع الحاضرين وقد ذهب يستفسر عن أسباب تكرار سقوط الحمل لزوجته (عمتي) وقد أفاده بأن القرينة هي السبب في ذلك وطلب منه إحضار القرينة بعد انتهاء الجلسة وأنه أحضر القرينة بالفعل واستمع الناس إلى حوار بينه وبين القرينة ... والشيخ أبو زيد [المحضر] والناس تجلس خارج الغرفة. وقد أكد لي زوج عمتي ذلك وشاء الله أن تحمل عمتي بالفعل بعد ذلك وأن تلد أول مولودها بعد الزمن عشر سنوات من زواجها الذي أجهضت فيه أكثر من مرة.

وفي كلية أصول الدين أسأل أستاذنا الشيخ أبو بكر زكري عليه رحمة الله عن السحر وعما يفعله السحرة مع الناس فينكر ذلك تماماً ويتحدى أن يأتيه ساحر ويريه بنفسه أو يجرب معه سحره أياً كان هذا السحر

وأسأل الشيخ منصور رجب عليه رحمة الله عن ذلك أيضا فيقول إن ذلك
كلام فارغ ودجل وشعوذة وخرافات لا أصل لها ولا تمت إلى الواقع بصلة
وأسأل غيرهما من مشايخنا فيتحفظ بعضهم في الإجابة ويعترف بعضهم بوجود
الجن والسحر لكنه ينكر إمكانية تلبس الجن للإنسي أو [illegible] تأثير الجن
على الإنسان بمرضه [illegible] أو غيره كنزيف المرأة أو رباط الزوج
أو الزوجة أو غير ذلك مما نسمع عنه ـ ومنهم من [illegible] من ينكر ذلك
مما قرأناه في كتب الفقه عن ذلك وما تقرره هذه الكتب من زواج الإنس
بالجن أو ضرورة القصاص من الساحر الذي قتل إنسانا بسحره أو غير ذلك
مما قرأناه في كتب الفقه خاصا بأحوال الجن مع الإنس. يقول بعضهم بسخرية
(دول ناس خايبين) أو هذا كلام مدسوس على كتب الفقه ومنسوب
لهؤلاء العلماء وهم منه براء ـ
وكما قلت قبل ذلك كنت أقف فوق المنابر وأثناء الدروس في المساجد
في رمضان وغيره أحارب بكل قوة وشدة أعمال السحرة والساحرين وأكذب
كثيرا مما يتناقله بعض الناس عن الخوارق التي يصنعها السحرة وأنادي بالضرب
بشدة على يد هؤلاء ومقاطعتهم وأذكر للناس ما قرره الإسلام بخصوص
السحرة والمنجمين. وأحاول تهدئة الناس الذين يشكون من وقوع السحر وأخبرهم
[illegible] بأن ما يعانونه منه هو مجرد تخيلات. وأن حالتهم النفسية وتيقنهم
من صحة هذه الأعمال هي التي تشعرهم بما يشكون منه من أمراض وأسقام وكنت
أتحدى هؤلاء السحرة أن يصنعوا شيئا معي وأن يثبتوا لي صحة ما يدعونه
من قدرة على الضرر عن طريق تسخير الجن وتسليطه على الناس ـ
ويبدو أنهم أرادوا أن يجربوا سحرهم في واحد من أسرتنا
فحدث عام [illegible] بالمنصورة فقد مرضت أختي الصغيرة فجأة وهي فوق السطوح وصعدنا
لنجدها وقد أغمي عليها تماما وأحضرنا الطبيب على الفور فكشف عليها ثم أخبرنا بأن
حالتها غير طبيعية وأنه يتوقع أن يكون السبب غير مرضي. وخاصة أننا كنا
نحس قبل حضور الطبيب وكأنها قد فارقت الحياة تماما. وكنا نشعر وكأن قلبها
قد توقف ـ وظن الطبيب ذلك في بادئ الأمر ثم أخبرنا بأنه يشك أن

هذا عمل ساحر وأنه ينصح بإحضار شيخ من مشايخ القرية الذين عرف عنهم قدرة
على فك السحر. واعترضت في البداية لكنني اضطررت للاستسلام بعد أن
فوجئت بأنهم قد أرسلوا بالفعل لاستدعاء الشيخ [أبو مطاوع] الذي
ما كاد يقرأ عليها بعض الكلمات غير المفهومات، حتى فوجئنا بأن وهي تنتفض
وتجلس أمامنا ثم تعوي تماماً كالكلب، وتحاول بالفعل أن تنقض من حولها
وكان ذلك سبباً في بكاء بعض الواقفين وضحك بعضهم في وقت واحد
وقد أثار هذا شقيقي الذي يكبرني بعامين بوضوح ورأى أبو مطاوع يمسكه
يريد أن يقتله ظناً منه أنه هو الذي سحرها، وأنه أراد أن
يكيد لنا وأن يرينا مقدرته على عمل السحر بصورة لم نكن نتوقعها أو لم
يألفه كثير من الناس. فالذي كان يرى شقيقتي المسكينة ويسمع نباحها وما يخرج
منها من أصوات يحس أنها قد تحولت إلى كلب حقيقي أصيب بالصرع، ويريد أن
ينهش كل من يراه ويشاهده - وقد ظلت شقيقتي تعاني فترة غير قصيرة حتى شاء
الله أن تشفى من مرضها هذا وأن يفك سحرها على يد رجل نصراني اشتهر عنه قدرة
على فك السحر وإحضار الأعمال والغريب أن الأهل كانوا قد عرضوها قبل ذلك
على بعض الشيوخ الصالحين ممن اشتهروا أيضاً بقدرتهم على فك الأسحار
بالرقى الشرعية وقراءة الآيات القرآنية إلا أن الحالة كانت تعاودها
خاصة إذا عادت إلى منزلنا في القرية. ولم تكن تشعر بأي مرض حين تخرج
منه أو تقيم عندي بالقاهرة أو عند شقيقي الأكبر بالمدينة التي يعمل فيها.
وقد دفعتني هذه الأحوال إلى محاولة الاطلاع على بعض الكتب التي تحدثت
عن السحر والسحرة وقرأت كثيراً مما كتبه بعض كبار العلماء والفقهاء عن
الجن والسحر حتى اقتنعت تماماً بوجود الجن وعرفت حقيقة السحر
وأسبابه ثم اكتشفت في النهاية أن كل السحرة مخدوعون مضللون
وأنهم مبتلون بهذه الأعمال التي عدها الإسلام من الكبائر بل جعلها من أكبر الكبائر
وأمر بقتل السحرة لأنهم من أسباب الضلال والإضلال. وأنهم يوصلون من
يصدقهم ويسير في فلكهم إلى الكفر والشرك والعياذ بالله.
كما أن كثيرين ممن تفرغوا فقط لفك السحر إنما يستغلون وسائل محرمة

يدعون أنهم من الجان . ولا يصدقونهم . وبخاصة حين لا يعالجون بالقرآن والذكر وحين لا يعرفون تشخيص حالة المريض يقررون له علاجا آخر غير العلاج المطلوب
لقد شغلت نفسي كثيرا بموضوع الجن والسحر . وأخذت أبحث وأستطلع أحوال الممسوسين والمسحورين : كما أخذت أبحث في كتب الفقه والسنة لمعرفة حقيقة هذا الأمر والتأكد من حقيقة ما أشاهده وأراه في قريتنا وفي أماكن أخرى مما يلفت الأنظار ويخرج عن عالم الحقيقة التي نعيشها .

ما هذا الذي رأيته وسمعته في وسط الدار بقريتنا [السنة في ~~[illegible]~~] تمام محددة وصوت رجل يخرج من فم فتاة يتحدث مع واحد من الذين تجمعوا حولها ويريدون إسعافها ويتمنون أن تفيق من إغمائها - الرجل الذي يتحدث بداخلها يعرف نفسه ويذكر اسمه ويخاطبهم في أمور ربما لا تدري عنها الفتاة شيئا . ويطلب أحد الحاضرين أن يتركها لتصحو من غفوتها ويطالبهم بأشياء (الجني) ويهدده الرجل ويضربها فتصرخ هي . ثم يقرأ بعض من آيات من القرآن ويتوعده فيخرج . وبعد لحظات تفيق المرأة وتعود إلى حالتها الأولى وتقول إنها لا تعرف ما حدث ولا تدري أين كانت .

في عام ١٩٦٦ وبجوار سور وزارة المالية بميدان لاظوغلي أرى جمعا من الناس يلتفون حول شاب في حوالي الثلاثين من عمره وهو في حالة إغماء . ويأتي بائع العرقسوس فيرش بعضه الماء على وجهه ليفيق - ويفاجأ الناس وأنا معهم بصوت طفلة صغيرة يخرج من الرجل المغمى عليه ويحاورها أحد الحاضرين فتذكر اسمها وبلدها وسبب تلبسها به هو الخطأ الذي ارتكبه وأنها فعلت به ذلك بسبب تركه لأهله وعدم سؤاله عنهم ثم تخبر الناس بأن اسمه فلان وأنه من بلد إسمها تلبانة مركز المنصورة . ~~وأصغرهما من أولوية نقط وهو لا يعرف حتى القراءة~~ . ثم يفيق الرجل ويسألونه عن اسمه وبلده فيرد بنفس ما أخبرتهم به صاحبته الطفلة التي تلبست به .

وفي عام ١٩٦٧ سمعت جلبة في الشارع الذي أسكن فيه فنظرت من الشباك فرأيت الناس وقد تجمعوا حول شاب في سن الثلاثين أيضا وهو في وضع يختلف عن الأوضاع التي شاهدتها مع بعض المصروعين . ونزلت ووقفت بين الناس لأرى الشاب وقد جلس على يديه ورجليه وراح يقلد القطة تماما وبعض الأطفال يحاول الاقتراب منه أو إلقاء شيء عليه فيموء كما يموء القط المتوحش ويبدو وكأنه يريد أن يخربشه ويعضه . وجرت امرأة وألقت عليه طرحتها السوداء . وما هي إلا دقائق معدودات حتى أفاق . ثم عرفنا أنه كان يعمل في فرن [حبّاز] وأنه ألقى بقطة حية وسط النيران المشتعلة . ومن يومها تنتابه هذه الحالة بين الحين والحين .

أشياء كثيرة أثارت وشاهدتها بنفسي والقراءات الكثيرة تمت بيني وبين كثير من الكرام المشهود اختلفت أساليبهم وطرقهم في السراد العلاج . وكذب بعضهم بعضا - لكنه برغم ذلك كان يظهر على يد معظمهم بعض الخوارق وما يدل على وجود الجن والسحر . وإمكانية العلاج منه وإزاء هذا اضطر لإطالة هذه المقدمة - حتى أكتب وجهة نظري كاملة في هذا الموضوع .

كثير من القدامى والمحدثين في موضوع الجن والشياطين وقد ذكرت كثيراً من هذه الكتب وعجائب هذا الخلق غير المنظور، وأثبت ذلك كثير من هذه الكتب التي ألفها بعض كبار العلماء الفقهاء والمحدثين. من أمثال الشيخ العلامة المحدث بدر الدين بن عبد الله الشبلي المتوفى ٧٦٩ هـ وهو حنفي المذهب وفقيه ومحدث وعالم جليل. وقد خرج الأحاديث التي رواها في كتابه ورد الأصل إلى مصدره. فتحرز من الوقوع في الشبهات. أما كتابه فقد أسماه [آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان] وابن كان الأستاذ إبراهيم محمد الجمل أحد علماء الأزهر قد حقق الكتاب، وعلق عليه. وأسماه [غرائب وعجائب الجن والشياطين كما يصورها القرآن والسنة] وطبعته دار الرياض للنشر والتوزيع. كذلك كتب في موضوع الجن [البرهان الحلبي من نور الدين أبي الحسن الشافعي] وإن كان لا يزال كتابه المسمى [عقد المرجان فيما يتعلق بالجان] مخطوطاً بدار الكتب المصرية تحت رقم [٢٢٠٦ تصوف وأخلاق دينية] - والكتاب بديع في نظمه. منهجي في بحثه. قوي في سنده - ومؤلفه عالم فاضل يتولى القضاء واشتغل بالعلم. كذلك كان من أهم من كتب في هذا الموضوع واشتهر بذلك الإمام ابن تيمية وقد شرح بتفصيل في بعض كتبه وبعض فتاواه - غرائب وعجائب الجن والشياطين وكشف تضليل بعض بني الجان لكثير من المسلمين وابتلاء الناس بما يظهره هذا الخلق على يد بعض مدعي التصوف. وقد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك. أن الجن والشياطين حقيقة يجب الإيمان بها فلم يخالف أحد من طوائف المسلمين وعلمائهم لا يخالفون في ذلك. بل إن جمهور طوائف الكفار يثبتون الجن أيضاً - كما أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يقرون أيضاً بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك كما يوجد في بعض طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة وجماهير المسلمين وكذا أهل الكتاب يقرون بذلك. لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواتراً معلوماً بالاضطرار. كما أنه قد علم أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة مأمورون منهيون.

وأنقل هنا في طيات هذه المقدمة كلاماً موثقاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. يؤكد ما قلته قبل ذلك ويبين كيف يسخر الجن الإنس كما يسخر الإنس الجن وكيف يتلبس الجن بجسم الإنسان ويضللونهم؟ وكيف ندفع كيد الجن وشرهم؟ وكيف يؤثر القرآن والذكر في أبدان الجن فيفرون من ذلك؟ وكيف يبيح الإسلام العلاج بالقرآن والرقى التي يتأكد من خلوها مما فيه شرك؟ وكيف يدخل الجن في بدن الإنسان ويصرعه؟ إلى آخر ذلك مما نسمع عنه ونرى آثاره لكثير من حولنا ونحن تحته

يقول ابن تيمية[1] [إن جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن. وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب. وكذلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد سام والهند وغيرهم من أولاد حام. وكذلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث

١ - راجع مجموعة فتاوى ابن تيمية مجلد ١٩ صـ ١٢

هذه الطوائف تقر بوجود الجن ، بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم ، سواء أكان ذلك سائغا عند أهل الإيمان . أو كان شركا ، فإن المشركين يقرأون من العزائم والطلاسم والرقى ما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم ، وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية . فيها ما هو شرك بالجن —

ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها / لأنها مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك ، وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنا نرقي في الجاهلية فقلنا ، يا رسول الله ! كيف ترى في ذلك ؟ فقال [: اعرضوا على رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك] —

وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر قال : نهى رسول الله (ص) عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله (ص) فقالوا : يا رسول الله ، إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى قال : فعرضوها عليه فقال : [ما أرى بأسا ، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه)

..... ويتحدث ابن تيمية عن صرع الجن للإنس والمعترضين على من ينكر دخول الجن في بدن المصروع . ويقول : إنهم مخطئون في زعمهم —

وقد نقل عن الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة أن الجن يدخل في بدن المصروع كما قال تعالى [الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس] ثم نقل عن عبدالله بن أحمد بن حنبل أنه قال : [(1) قلت لأبي إن قوما يزعمون أن الجن لا يدخل في بدن الإنس فقال : يا بني يكذبون — هو ذا يتكلم على لسانه ويتحدث ابن تيمية عما كان عليه بعض الناس من استعاذتهم بالجن وكيف كان الرجل من الإنس ينزل بالوادي وهي الأماكن التي تنتشر فيها الجن أكثر من غيرها . فكان الإنسي يقول أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه فلما رأت الجن أن الإنس تستعيذ بها زاد طغيانهم ومن هنا نهى المولى سبحانه عن الشرك بالجن وغيرهم ....

—

ويحكي القرآن الكريم ما كان يصنعه هؤلاء الناس فيقول في سورة الجن [وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا] (3)

ويعلق ابن تيمية على ذلك فيقول (2) — فلما رأت الجن أن الإنس تستعيذ بها زاد طغيانهم وغيهم . وبهذا يجيبون المعزم والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم فإنه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه . فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف

---

(1) راجع فتاوى ابن تيمية ص 12 مجلد 19

(2) " " " ص 22 "

(3) آية رقم 6

الإنس ما يحملهم على أن يطيعوهم بعض سؤلهم لا سيما وهم يعلمون أن الإنس أشرف منهم وأعظم قدراً. فإذا خضعت الإنس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة أكابر الناس إذا خضع لأصاغرهم ليقضي له حاجته.

ويستطرد ابن تيمية فيقول: ثم الشياطين منهم من يختار الكفر والشرك ومعاصي الرب، وإبليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر، ويلتذون به ويطلبونه ويحرصون عليه بمقتضى خبث أنفسهم، وإن كان موجباً لعذابهم وعذاب من يغوونه. كما قال إبليس: [فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين] وقال تعالى: [قال: أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا] - وقال تعالى: [ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين]

ويقول ابن تيمية:

والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به، بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله - والشيطان هو نفسه خبيث. فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم، فيقضون بعض أغراضه. كمن يعطي غيره مالا ليقتل له من يريد قتله، أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة - ثم يقول:

ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة، وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل - إما حروف الفاتحة - وإما حروف قل هو الله أحد - وإما غيرهما - إما دم وإما غيره، وإما بغير نجاسة - أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان - أو يتكلمون بذلك - فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم إما تغوير ماء من المياه - وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة -

وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس، كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين، ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به وإما غير ذلك

ويقول: وأعرف في كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له ممن أعرفه ما يطول حكايته، فإنهم كثيرون جداً.

هكذا يقول الإمام ابن تيمية (1) فلو كان هذا الكلام قد نسب إلى واحد آخر غير ابن تيمية لقلنا إنه كلام مكذوب وغير صحيح -

---

(1) مجموعة فتاوى ابن تيمية ص ٢٤، ٢٥ مجلد ١٩

ولو كنت أنا شخصيا لم أر شيئا من ذلك بعيني رأسي - وهو كثير أيضا - لأنكرت
لما أنكر بعض مشايخنا وعلمائنا - ومنهم الدكتور - أنا أعذرهم في إنكارهم. لأنهم لم يروا شيئا
من ذلك ولم يمارس شيء منه أمامهم
وقد استطعت بحمد الله أن أحصل على نتائج. أزعم أنها صحيحة. لأنها جاءت
نتيجة تجارب شخصية وبعد دراسات واستنتاجات استغرقت قرابة ٢٥ عاما . وأزعم أيضا
أن كثيرا من الناس ضحوا وعوملوا بالجن. وأنه نتيجة استعانة بعض السحرة
المحترفين بالجن واستعمالهم للعزائم والرقى - وكذلك استعانة بعض من يظنون
أنهم يعالجون المرضى والمسحورين من الناس من خلال ما يظهرونه
من زهد وعبادة تتم على غير وجهها الشرعي - انتشرت البدع والضلالات
وكثر السحرة والمشعوذون. وكان كثير من الناس أن يشرك بالله بسبب ألاعيب
شياطين الجان. التي تتعامل مع بعض هؤلاء المخدوعين حيث تظهر هذه الشياطين
بعضا من هؤلاء المشعوذين ومدعي التصوف، وكأن عندهم كرامات وأنهم من أهل
الولاية والكشف وأن الله قد منحهم كثيرا من المكاشفات والتأثيرات. وقد لاحظت أنا
كثيرا من هذه الأمور عندما اتصلت .... ببعض هؤلاء الناس من باب
الدراسة وحب الاستطلاع أن هؤلاء الناس يبدون أمام أتباعهم ومريديهم وتبين لي
ولهم فعلا مكاشفات وتأثيرات على الرغم من اكتشافي أن معظمهم غير ملتزم التزاما
كاملا بأحكام وتعاليم الإسلام -
والإمام ابن تيمية يعترف بذلك ويرى أن هذه المكاشفات والتأثيرات تتم
من خلال الشياطين: حيث يأوي هؤلاء إلى مواضع الشياطين التي نهى الإسلام عن
الصلاة فيها. وعندها تتنزل عليهم الشياطين وتخاطبهم ببعض الأمور كما تخاطب الكهان
وما كانت تدخل في الأصنام وتكلم من يعبدها (أي الأصنام) وتعينهم في بعض المطالب
كما تعين السحرة. وكما تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب إذا
عبدوها العبادات التي يظنون أنها تناسبها من تسبيح لها ولباس وبخور وغير
ذلك. ثم يقول [فإنه قد تتنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكواكب وقد تقضي
بعض حوائجهم. إما قتل بعض أعدائهم. أو إمراضه. وإما جلب بعض من يهوونه
وإما إحضار بعض المال] -
ويقول ابن تيمية [ولكن الضرر الذي يحصل لهم بذلك أعظم من النفع بل قد يكون
أضعاف أضعاف النفع[1]]
وإذا كان ابن تيمية يرى أن الشياطين تتنزل على هؤلاء السحرة وكثير منهم الآن

---

(1) راجع فتاوى ابن تيمية مجلد ١٩ ص (٤١) ٤٢.

(الوقوع في حبائلهم ← وأنه يجب الحذر منهم وعدم) الشهرة

ـية التصوف والانتساب إلى بعض الطرق المبتدعة، وأنا أعرف واحداً من هؤلاء

ـه أن جبريل نزل عليه. وطلب منه أن يؤسس جماعة مستقلة يسميها باسمه

على أن يصبح اتصاله المباشر بالنبي (ص) بعيداً عن الطريقة الشاذلية التي كان ينتسب إليها

وأخذ العهد على أحد شيوخها.

وقد وصل الأمر إلى حد أنه جاءني في يوم من الأيام ليخبرني بأن النبي (ص)

قد حضر إليه وكلمه. وطلب منه أن يخبرني بأنه اختارني لأكون خليفته من بعده

وساعده الأيمن في أثناء حياته، وهذا الرجل على الرغم من أنه شبه

أمي له أتباع وأعوان ومريدون. وكثير منهم من المتعلمين والأساتذة وأصحاب المناصب

وقد زاد إيمانهم به واقتناعهم بشخصيته وولايته لأنهم رأوا على يديه بعض الخوارق التي

تتم من خلال اتصاله بالجان والتي رأيت أنا أيضاً كثيراً منها في الفترات التي كنت أزوره

فيها على الرغم من أنه لا يلتزم بأحكام الإسلام ولا يهتم كثيراً بأداء الصلوات في أوقاتها

بالإضافة إلى أنه يدخن بشراهة. ويتحدث كثيراً عن قدراته الخارقة وكراماته

الكثيرة وقتله لعشرات ومئات ممن يتلبسون أجساد الناس من الجان. وقد

صممت على مقاطعته تماماً وعدم الاتصال به بعد أن أخبرني برؤياه لجبريل. وأكد

أنه يستطيع أن يلتقي بالنبي في أي لحظة. ويتلقى الأوامر منه وأنه قد استطاع أن

يقيد إبليس وأن يضعه في الحبس عن طريق بعض أعوانه من كبار ملوك الجان.

لقد اكتشفت أن كثيراً من السحرة الذين قضوا وقتاً طويلاً في إيذاء الناس واستغلال

الجن في هذا الإيذاء حيث يفرقون بين المرء وزوجه. ويكتبون لبعض الناس بسحرهم هذا

الأسحار التي قد تؤدي إلى إمراضهم وجلب الضرر لهم. لاحظت أن معظم هؤلاء

يدعون في نهاية أعمارهم وبعد أن يكونوا قد وصلوا إلى ثراء كبير بسبب الرجل

الشعوذة التي قضوا حياتهم فيها - يدعون توبتهم وامتناعهم عن عمل السحر للغير

وتفرغهم لفك الأسحار نظير مبالغ كبيرة. ويحاولون الظهور أمام الناس بمظهر الشيوخ

الصالحين. ويدعي الكثيرون منهم انتسابهم لبعض الطرق الصوفية وادعاء الولاية

ويجمعون الأتباع والمريدين. ويقوم بعض أتباعهم وأعوانهم ومريديهم بنشر

الخوارق عنهم وظهور الكرامات على أيديهم. وما هذه الكرامات التي يتحدث عن

الأتباع والأعوان. إلا أفعال شيطانية وخداعات ممن يتقربون إليهم أو يتلون

العزائم عليهم من الجان الذين يضللونهم والذين يعتبرون أن ما يقدم إليهم

من الإنس إنما هو خضوع الأصاغر للأكابر.[1] وكما قال الإمام ابن تيمية!

(كالرشوة والبرطيل) ويقضون بعض أغراضهم والتي شبهها ابن تيمية بمن

يعطي غيره مالاً ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو نيل منفعة

١- انظر فتاوى ابن تيمية مجلد ١٩ ص ٢٤، ٢٥

للناس أعلن منذ سنوات أنه تاب عن عمل الأسحار وتفرغ للذكر والعبادة كما يقول ويجمع حوله الأتباع والأعوان من جميع المستويات الاجتماعية ويقدم العلاج للمرضى وصور العلاج

ما هو الشيخ ابو طاهر الذي تحدثت عنه قبل ذلك يدعى أنه ترك ايذاء الناس بالسحر واستعمال الطرق الشيطانية وغيرها من الأسحار ويدعى أنه تاب إلى الله وأناب وتفرغ الآن لعلاج المسحورين والمصروعين وغيرهم ممن أوذوا ويعتبر الآن من كبار الأثرياء في قريتنا بسبب ما يتقاضاه من مبالغ هائلة نظير تقديم العلاج الظاهر نفعه جيدا إلا أنه يشتمل على كثير من الشركيات حيث أنه لا يزال يستعمل الرقى كما رأيت. عزائم وطلاسم لا يفقه هو شيئا مما يقول. ويستعمل أيضا كما يستعمل غيره من السحرة أسلوب ذبح بعض الحيوانات أو الاستحمام ببعض الأعشاب وأوراد بعض الصلوات غير المعروفة لفك هذه الأسحار وقد ذكرنا قبل ذلك كيف نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها لاحتمال أن تتضمنه الشرك حتى وإن لم يعرف الراقي أنها شرك وذكرنا حديث مسلم الذي رواه عن عوف بن مالك الأشجعي والذي ذكر فيه سؤاله للنبي عن الرقى فقال له النبي (ص) [لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك] وذكرنا ما رواه مسلم عن جابر من موافقة النبي (ص) لآل عمرو بن حزم باستعمال الرقية التي قالوا له أنهم يرقون بها من العقرب وذلك بعد أن عرضوها عليه ورأى أنها لا تتضمن شركا وقال لهم [ما أرى بأسا. من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه] م[1]

ولقد استدل العلماء بهذا الحديث وقوله (ص) [من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه] على جواز فك السحر والعلاج منه بالقرآن وبالأدعية المشروعة وبخاصة ما ثبت عن النبي (ص) من علاج المسحورين والمصروعين وغيرهم.

وفي كثير من كتب الفقهاء والمحدثين ما يدل على تأثير القرآن والذكر في أبدان الجن وفرارهم من ذلك - يقول ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين حدثني يحيي بن إسحاق البجلي حاتم بن حوثرة عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال :-

[قال شيطاني : أي [قرينه من الجن] دخلت فيك وأنا مثل الجزور (أي الجمل) وأنا فيك اليوم مثل العصفور. قال :- قلت : ولم ذا لك؟ قال :- تذيبني بكتاب الله عز وجل]

وفي حديث النبي (ص) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ص) قال : إن المؤمن ينضي شيطانه أي يتعبه ويرهقه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر.

ويقول : القسطلاني في شرح البخاري : الطب الروحاني أقوى من الطب الجسماني فلما عز هذا الفن فزع الناس إلى الطب الجسماني -

ويقول القرطبي بجواز الرقية بكلام الله تعالى وأسمائه جاز أن كان مأثورا استحب.
وقال الربيع سألت الشافعي عن الرقية؟ فقال :- لا بأس أن يرقى بكتاب

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٤ ص ١٨٦

تعالى وبما يعرفه من ذكر الله وقال ابن بطال في المعوذات: سر ليست في غيرها من القرآن بما اشتملت عليه من جوامع الدعاء التي تعم أكثر المكروهات من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته"(1) لذلك فقد أجاز العلماء أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله عز وجل بالمداد المباح ويغسل ويسقى. وقد نص على ذلك الإمام أحمد وغيره واحتج بما رواه عن ابن عباس بأنه كان يكتب للمرأة إذا أصابها الطلق كلمات الكرب وآيتين من كتاب الله عز وجل تناسب الحال. يكتب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم" "سبحان الله رب العرش العظيم" "الحمد لله رب العالمين" "كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها" "كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون".

وخلاصة القول في قضية علاج السحر أن معظم ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى ... لا تفقه بالعربية معناها. ولهذا نهى علماء المسلمين عن العزائم بل ما لم يفهم معناها وإلا فهي مظنة الشرك. حتى وإن لم يعرف الراقي أنه شرك وقد رخص الإسلام في الرقى ما لم تكن شركاً بل دعا المسلمين القادرين على علاج المرضى والمصروعين أن يستطيعوا ذلك مستدلين بقول النبي (صلعم) من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل.

وقد ثبت أن التطبب والاستشفاء بكتاب الله عز وجل فيه غنى تام. وصدق الله القائل عن قرآنه وكتابه الكريم [وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين] فهو شفاء للصدور والأجسام معاً. وفيه وقاية ودفع لكل محظور بالإضافة لكونه رحمة للمؤمنين من الأحياء وأهل القبور وخواص الآيات والأذكار لا ينكرها إلا من كانت عقيدته واهية. جمعت تدبر آيات الكتاب من ذوي الألباب وقف على الدواء الشافي لكل داء سوى الموت الذي هو غاية كل حي.

ولعل في الكتاب الذي بين أيدينا ما يؤكد ذلك وما يصف العلاج بالقرآن والذكر لكثير من الأمراض والعلل التي يعاني منها كثير من الناس وبخاصة التي جاءت عن طريق السحر الذي عادة لا يعرفه المريض ذاته أو من يحيط ... به من أهله وأقاربه ولا نزيد هنا في هذه المقدمة أن نذكر أدلة أكثر من التي قلناها. لنستدل بها على إمكان أذى الجن للإنسان وإمكان تشكله بالأشكال الحسنة والقبيحة وإمكان رؤية الناس لهم واعتدائهم على من يعتدي عليهم من البشر. وقد ورد ما يدل على ذلك في أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم. ومنها ما رواه البخاري عن الجني الذي ضبطه أبو هريرة أكثر من مرة وهو يسرق بعضاً من زكاة رمضان: التي أمر بحراستها

---

(1) راجع هامش كتاب "غرائب وعجائب الجن والشياطين" ص ١٤٤.

حيث كان أبو هريرة يقبض عليه ويوثقه ثم يطلق سراحه بعد أن يستعطفه ثلاث مرات متتاليات. حتى اضطر الجني في المرة الثالثة أن يخبر أبا هريرة بأن آية الكرسي إن قرئت حفظت من يقرأها من أذى الجن والشياطين فقال النبي (صلعم) لأبي هريرة: "صدقك وهو كذوب".

كما روى مسلم حديثاً ذكر فيه قصة الفتى الذي قتل الثعبان بعد عودته من غزوة الخندق ووجده في فراشه بين... فمات الثعبان والفتى الذي قتله في وقت واحد ولما جاء بعض الصحابة للنبي (صلعم) يذكرون ذلك له وسألوه أن يدعو الله ليحييه. قال لهم: "استغفروا لصاحبكم واذهبوا فادفنوه. ثم قال إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدى لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان" وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً فقال رسول الله (صلعم) "إن لهذه البيوت عوامر أي (عمار وسكان) من الجن فإن رأيتم شيئاً منهم فحرجوا عليهم ثلاثاً فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر".

ولذلك يرى معظم العلماء أن قتل الجن بغير حق لا يجوز كما لا يجوز قتل الإنس بلا حق. ولذا فأنا أشك كثيراً فيما يصنعه بعض من يدعون أنهم يقتلون الجان بمجرد نفخة ينفخونها. ويتم ذلك كما شاهدت بنفسي دون أن يطلب المعزم من الجني الذي يدعى تلبسه بالإنسي أن يخرج من جسد المريض وبعضهم يدعي أنه يقتل كل جني يعرف أنه تلبس بالإنسي من غير أن يأمره أو ينذره كما طلب الإسلام وشيخ الإسلام ابن تيمية. يقول[1]: إن الجن إذا اعتدوا على الإنس أخبروا بحكم الله ورسوله وأقيمت عليهم الحجة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كما يفعل بالإنس لأن الله يقول:- [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] وقال تعالى [يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا] ثم يقول: ولهذا نهى النبي (ص) عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن ثلاثاً كما في صحيح مسلم وغيره] وذكر الحديث الذي ذكرناه عند قليل [إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً فإن بدى له بعد ذلك فليقتله]

وقد لاحظت أن بعض المعزمين يطلبون من بعض من يسخرونهم من الجن أن يأتوهم بجن آخر لمعاقبته أو يطلبون منهم قتله - يقول ابن تيمية[2] [وأهل العزائم والأقسام يقسمون على بعض ليعينهم على بعض: تارة يبرون قسمه وكثيراً لا يفعلون ذلك بأن يكون ذلك الجني معظماً عندهم وليس للمعزم وعزيمته من الحرمة ما يقتضي إعانتهم على ذلك... ثم يقول[3]:... إن أرباب العزائم مع كون عزائمهم تشتمل على شرك ولهذا لا تجوز العزيمة والقسم به. فهم كثيراً ما يعجزون عن دفع الجني. وكثيراً ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع للإنس أو حبسه

---

(1) فتاوى ابن تيمية مجلد ١٩ ص ٤٢، ٤٣

(2) المرجع السابق ص ٤٥

(3) " " ص ٤٦

ملوا اليهم أنهم قتلوه أو حبسوه . ويكون ذلك تخييلاً وكذباً]
وفي علاج المسحورين أو الممروضين بسحر تفريج لكربتهم وقد أمرنا بتفريج كربة المظلومين .

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال :- [من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس له عنه كربة من كرب يوم القيامة - ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة - ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة .
والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه]
وفي صحيح مسلم أيضاً عن جابر أن رسول الله (ص) لما سئل عن الرقى قال :-
[من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل]
وشيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن علاج المسحور وإخراج الجن من جسد الإنسي الذي تلبس به لنصرته ويدخل تحت قول الرسول (ص) : [انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قلت يا رسول الله (ص) أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه]
ويعلق على ذلك بقوله [لكن ينصر بالعدل كما أمر الله ورسوله مثل الأدعية والأذكار الشرعية ومثل أمر الجن ونهيهم كما يأمر الإنس وينهون[1] - ويقول :-
[ويجوز من ذلك ما يجوز مثله في حق الإنسي مثل أن يحتاج إلى انتهار الجني وتهديده ولعنه وسبه] (٢)
ثم يستدل ابن تيمية على ذلك بما ثبت في صحيح مسلم عن أبي الدرداء أنه قال قام رسول الله (ص) وسمعناه يقول :- [أعوذ بالله منك ثم قال : ألعنك بلعنة الله ثلاثاً) وبسط يده كأنه يتناول شيئاً - فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله : قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك فرأيناك بسطت يدك - قال : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات - ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات - ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة]
ولاحظوا هنا كيف تجرأ الشيطان على رسول الله (ص) نفسه وجاءه وهو في الصلاة يصلي لله رب العالمين - ولعل في ذلك ما يفيد أن الشيطان يحاول أن يتعرض للمسلم أثناء الصلاة أكثر من أي وقت آخر - ويحاول أن يشغله بأمور الدنيا ويبعده عن الخشوع والتقرب إلى الله في صلاته ولهذا نلاحظ كثيراً من الناس يتثاءبون ويبدو عليهم الكسل والخمول وهم يؤدون

---

(١) فتاوى ابن تيمية مجلد ١٩ ص ٥٠
(٢) المرجع السابق ص ٥١
(٣) نفس المرجع ص ٥٢

ة - وفي الصحيحين عن أبي هُريرة عن النبي (ص) [أن الشيطان عرض لي فشد عليّ
يقطع الصلاة عليّ، فأمكنني الله منه - فذعته (أي خنقته) ولقد هممت
أن أوثقه إلى سارية أي (عمود من أعمدة المسجد) حتى تصبحوا فتنظروا إليه
فذكرت قول أخي سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من
بعدي) فرده الله خاسئا -

وربما كانت هذه مرة أخرى جاء فيها الشيطان للنبي وهو يصلي وأراد أن
يقطع عليه صلاته فخنقه النبي فتركه ليرده الله خاسئا -

وهناك حديث آخر رواه النسائي على شرط البخاري عن عائشة رضي
الله عنها أن النبي (ص) كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه
قال رسول الله (ص): حتى وجدت برد لسانه على يدي
[ولولا دعوة سليمان لأصبح موثقا حتى يراه الناس -]

وفي رواية أخرى لأحمد وأبي داود من حديث أبي سعيد وفيه [فأهويت
بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين إصبعي هاتين - الإبهام
والتي تليها -

من هذه الأحاديث الصحيحة يتبين لنا إمكان ظهور الجن ورؤيتهم وإمكان تأثيرهم
في الناس وإضلالهم. ولعلنا نلاحظ أن بعض المعالجين المشعوذين يطلبون من مرضاهم
ذبح حمام أو دجاج أو خروف أو غير ذلك من الحيوانات يحددون لونها وحجمها،
ويطلبون منهم أحيانا دهان جسمهم بدمها والقاء جثتها في مكان معين كخرابة أو
غير ذلك، وهذا ولا شك من أساليب تضليل الناس وجرهم إلى الشرك
والعياذ بالله - فهم بذلك يتقربون إلى الجن بهذه الذبائح. ونحن نعرف
أن الإسلام حرم الذبح لغير الله لأنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله
كما ورد أن النبي (ص) نهى عن ذبائح الجن[1] -

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [إن من الناس من يذبح للجن وهو من الشرك الذي
حرمه الله ورسوله، وروى أنه نهى عن ذبائح الجن، وإذا برئ المصاب بالدعاء
والذكر وأمر الجن ونهيهم وانتهارهم وسبهم ولعنهم ونحو ذلك من الكلام حصل
المقصود، وإن كان ذلك يتضمن مرض طائفة من الجن أو موتهم فهم الظالمون لأنفسهم،
إذا كان الراقي الداعي المعالج لم يتعد عليهم كما يتعدى عليهم كثير من أهل العزائم - فيأمرون
بقتل من لا يجوز قتله، وقد يحبسون من لا يحتاج إلى حبسه، ولهذا قد تقاتلهم الجن
على ذلك، فمنهم من تقتله الجن أو تمرضه - ومنهم من يفعل ذلك بأهله
وأولاده أو دوابه .....

---

(1) المرجع السابق ص 52

ثم يقول [فإن سلك في رفع عداوتهم مسلك العدل الذي أمر الله به ورسوله فإنه لم يظلمهم، بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم وإغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعي التي ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق. ومثل هذا لا تؤذيه الجن، إما لمعرفتهم بأنه عادل، وإما لعجزهم عنه وإن كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد تؤذيه، فينبغي لمثل هذا أن يحترز بقراءة العوذ مثل آية الكرسي والمعوذات والصلاة والدعاء، ونحو ذلك مما يقوي الإيمان ويجنب الذنوب التي بها يسلطون عليه، فإنه مجاهد في سبيل الله وهذا من أعظم الجهاد، فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه وإن كان الأمر فوق قدرته فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها فلا يتعرض من البلاء لما لا يطيق]

يتحدث ابن تيمية عن فضل آية الكرسي، فيقول [جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في رفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته، فإن لها تأثيرا عظيما في رفع الشيطان عن نفس الإنسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين مثل أهل الظلم والغضب والشهوة ... الخ][2]

وقد ثبت أن النبي (ص) عالج المرضى والمصروعين بالقرآن وبالعديد من الأدعية التي جمعها العلماء في كثير من كتبهم والتي رجع إليها مؤلف الكتاب الذي نقدم له الآن والتي هي البديل الإسلامي والشرعي لعلاج السحر

أما دليل علم القارئ الكريم أن الجن أضعف من الإنس، وأكثر خوفا منهم لكنهم إن وجدوا إنسيا يخاف منهم تشجعوا ليرعبوه ويخيفوه. وقد روي عن مجاهد قال: "الشيطان أشد فرقا من أحدكم منه فإن تعرض لكم فلا تفرقوا منه (أي تخافوا) فيركبكم ولكن شدوا عليه فإنه يذهب"[3]. كذلك روي عن مجاهد أيضا أنه قال: "بينا أنا ذات ليلة أصلي إذ قام مثل الغلام بين يدي. قال: فشددت عليه لآخذه فقام فوثب فوقع خلف الحائط حتى سمعت وقعته فما عاد إلي بعد ذلك. قال مجاهد إنهم يهابونكم كما تهابونهم"[4]. كذلك روى القاضي بدر الدين عبد الله الشبلي في كتابه "آكام المرجان في أحكام الجان" أن رجلا كان يكنى أبا شراعة قال: "رآني يحيى بن الجزار وأنا أهاب أن أدخل زقاقا بالليل فقال إن الذي تهاب هو أشد منك فرقا"[5] ولعل تمكن بعض الناس رغم ضعفهم الجسمي وضعف إيمانهم من تسخير الجن وأمره ونهيه وطاعة بعضهم لهم، دليل على ضعف هذا الخلق أمام الأقوياء من الإنس وخاصة أقوياء الإيمان على الرغم من قدرة الجن على أذى الإنس إلا أن الله حفظ الناس من شرهم والاعتداء عليهم بصفة عامة وإن كان بعض سفلتهم الكفار أو الفاسقة يعتدون أحيانا على بعض الناس دون سبب، أو بسبب قد لا يعرفه المسلم ويظن الجني أن اعتداء المسلم عليه كان اعتداء

---

(1) المرجع السابق ص ٥٣
(2) " " ص ٥٦
(3) غرائب وعجائب الجن والشياطين ص ١٢١
(4) المرجع السابق
(5) نفس المرجع ... ٨

ومتعمداً.

مقصوداً كأن يلقي عليه ماء ساخناً، أو يدخل عليهم أماكنهم التي غالباً ما يعيشون فيها كالخرابات ودورات المياه وغيرها دون أن يستأذنهم أو يستعيذ بالله منهم ولذا فإن على المسلم أن يعرف أن الجن يرونه من حيث لا يرونهم وأنهم يعمرون كثيراً من الأماكن التي يعيش فيها البشر، وأن صرعة الجن والشياطين بعضهم يخافون الجماعة وأن الشياطين يحاولون التسلط على العلماء أكثر من غيرهم. إلا أن الذين لا يخافونهم من العلماء يلتزمون بقتال السادة أشد على الشيطان من غيرهم. كما أنه قد ثبت حضور الشيطان لكل شيء من شئون الإنسان كطعامه وشرابه وجماع الرجل أهله وحضوره المولود حين يولد وقد رويت في ذلك أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم. فقد روى مسلم والترمذي من حديث جابر أن رسول الله (صلعم) قال: "إن الشيطان يحضر عندكم كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان". كذلك روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: "قال رسول الله (صلعم): لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد[1] من ذلك لم يضره الشيطان أبداً". وهناك أحاديث أخرى رواها البخاري ومسلم وغيرهما تؤكد حضور الشيطان المولود حين يولد.

وننبه الناس إلى انتشار الجن والشياطين من جنح الليل وتعرضهم للصبيان لذا فعليهم أن يلتزموا بما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله حيث قال: قال رسول الله (صلعم) "إذا كان جنح الليل وأمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشيطان ينتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله تعالى وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله عز وجل ولو تعرضوا عليها شيئاً وأطفئوا مصابيحكم". ونستطيع أن نقول إنه إذا حدث مرض أو صرع لواحد من الناس فلا بأس من أن نتداوى وأن نعالج هذا المرض كما قلنا. بشرط ألا يكون في التداوي ذبح لغير الله أو الاستعانة بمحرم أو استعمال طلاسم وتعاويذ لا يعرف معناها، ويقول ابن تيميه[2] "قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب فيضرب ضرباً كثيراً جداً والضرب إنما يقع على الجن ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع فيخبر بأنه لا يحس بشيء من ذلك ولا يؤثر في بدنه ويكون قد ضرب بعصا على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة أو أكثر أو أقل بحيث لو كان على الإنس لقتله وإنما هو على الجني. والجني يصيح ويحدث الحاضرين بأمور متعددة. ويستطرد ابن تيمية فيقول كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثير. أ.هـ"

ويشهد الله أني رأيت أيضاً شيئاً من ذلك. ورأيت مصروعين من الرجال

---

[1] ولد: أي مولود سواء كان ذكراً أو أنثى.

[2] الفتاوى مجلد ١٩ ص٦٠